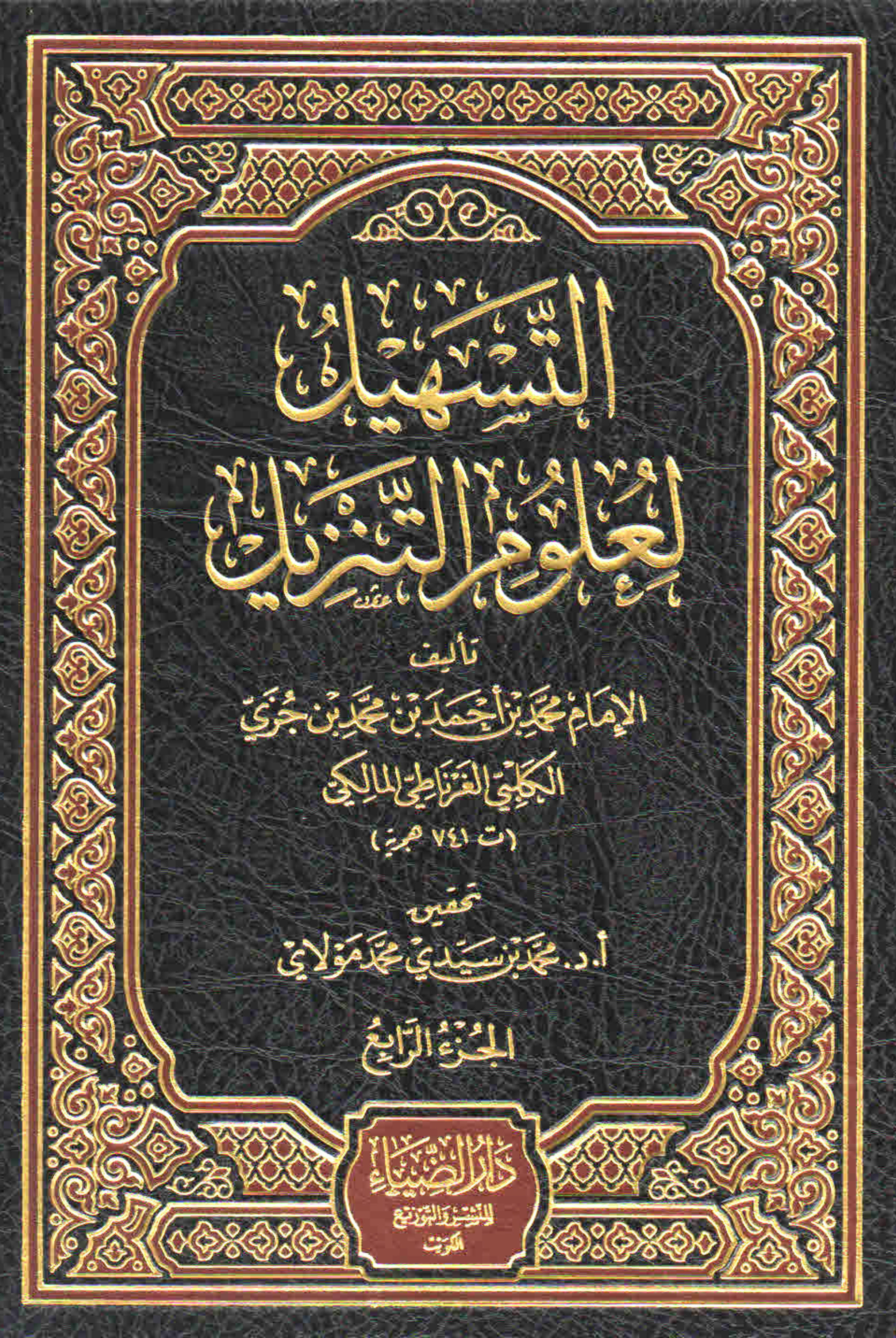


التسهيل لعلوم التنزيل
تأليف
الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)
تحقيق
أ. د. محمد بن سيدي محمد مولاي
الجزء الرابع
دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت

دار الضياء
للنشر والتوزيع - الكويت

الكويت - حولي - شارع الحسن البصري
ص. ب : ١٣٤٦ حولي
الرمز البريدي : ٣٢٠١٤
تلفاكس : ٢٢٦٥٨١٨٠ (+٩٦٥)
نقال : ٩٩٣٩٦٤٨٠ (+٩٦٥)

dar_aldheyaa@yahoo.com





الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

التجليد الفني
مؤسسة فؤاد البعينو للتجليد
بيروت

www.daraldheya.com

الموزعون المعتمدون

دولة الكويت:

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي	تلفاكس: ٢٢٦٥٨١٨٠	نقال: ٩٩٣٩٦٤٨٠

المملكة العربية السعودية:

دار المنهاج للنشر والتوزيع - جدة	هاتف: ٦٣١١٧١٠	فاكس: ٦٣٢٠٣٩٢
دار التدمرية للنشر والتوزيع - الرياض	هاتف: ٤٩٢٥١٩٢	فاكس: ٤٩٣٧١٣٠
المكتبة المكية - مكة المكرمة	هاتف: ٥٣٤٠٨٢٢	فاكس: ٥٣٦٦٢٩٩٠
مكتبة العبيكان - جميع فروعها في المملكة	هاتف: ٩٠٠٢٠٠٢٠٢٠٩	

الجمهورية التركية:

مكتبة الارشاد - اسطنبول	هاتف: ٠٢١٢٦٣٨١٦٣٣/٣٤	فاكس: ٠٢١٢٦٣٨١٧٠٠
المكتبة الهاشمية - اسطنبول	هاتف: ٠٢١٢٥٢٠٢٥٣٣	فاكس: ٠٢١٢٥٢٠١٥٩٦

الجمهورية اللبنانية:

دار إحياء التراث العربي - بيروت	هاتف: ٥٤٠٠٠٠	فاكس: ٨٥٠٧١٧
شركة دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان	هاتف: ٧٠٢٨٥٧	فاكس: ٧٠٤٩٦٣
شركة التمام - بيروت - كورنيش المزرعة	هاتف: ١٧٠٧٠٣٩	

الجمهورية العربية السورية:

دار الفجر - دمشق - حلبوني	هاتف: ٢٢٢٨٣١٦	فاكس: ٢٤٥٣١٩٣
دار الكلم الطيب - دمشق - حلبوني	هاتف: ٢٤٥١٢٢٦	فاكس: ٢٢٣٧٦٠٢

جمهورية مصر العربية:

دار البصائر - القاهرة - زهراء مدينة نصر	تلفاكس: ٠٢٢٤١١١٤٤١	محمول: ٠١٠٠٢٤٣٦٢٦٣

المملكة الأردنية الهاشمية:

دار الرازي - عمان - العبدلي	تلفاكس: ٤٦٤٦١١٦	
دار محمد دنديس للنشر والتوزيع - عمان	هاتف: ٦٤٦٥٣٣٩٠	تلفاكس: ٦٤٦٥٣٣٨٠

الجمهورية اليمنية:

مكتبة تريم الحديثة - تريم	هاتف: ٤١٧١٣٠	فاكس: ٤١٨١٣٠

الجمهورية الإسلامية الموريتانية:

شركة الكتب الإسلامية - نواكشوط	هاتف: ٠٠٢٢٢٥٢٥٢٤٦١	

مملكة البحرين:

جمعية الإمام مالك بن أنس - المحرق	هاتف: ١٧٣٣٤٣٥٠	فاكس: ١٧٣٣٤٣٦٠



التسهيل لعلوم التنزيل

تأليف

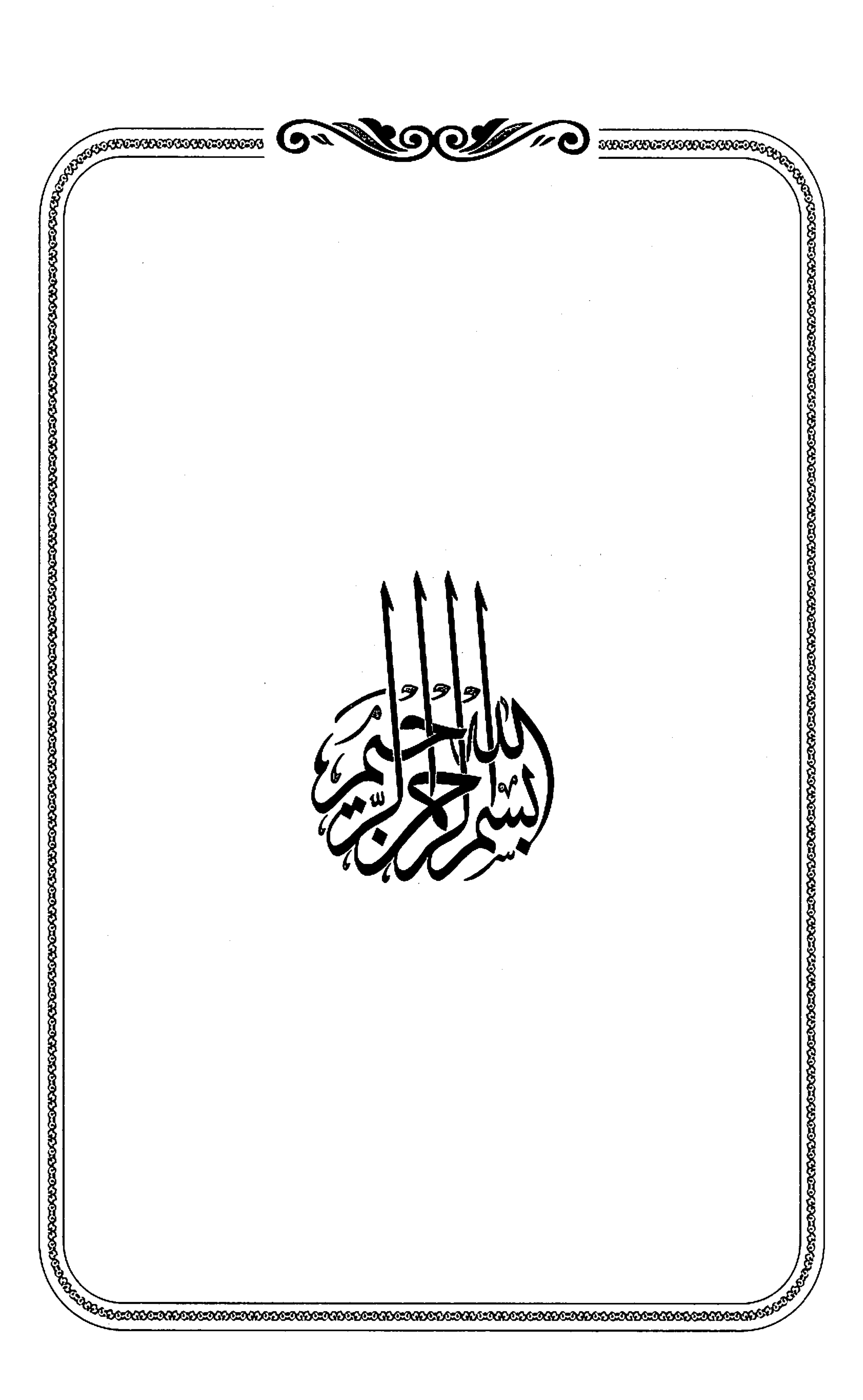
الإمام محمد بن أحمد بن محمد بن جزي
الكلبي الغرناطي المالكي
(ت ٧٤١ هجرية)

تحقيق

أ.د. محمد بن سيدي محمد مولاي

الجزء الرابع

دار الضياء
للنشر والتوزيع
الكويت


بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ الفَتْحِ — ترتيبها ٤٨ — آياتها ٢٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً (١) لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً (٣) هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً (٤) لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً (٥) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً (٦) وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً (٧) ۞ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً (٨) لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٩)

ثمن

سورة الفتح

نزلت هذه السورة حين انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية، لما أراد أن يعتمر بمكة فصده المشركون، وقال رسول الله ﷺ لعمر وهما راجعان إلى المدينة: لقد نزلت علي سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها(١).

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ يحتمل هذا الفتح في اللغة أن يكون بمعنى الحكم أي حكمنا لك على أعدائك، أو من الفتح بمعنى العطاء كقوله: ﴿مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ﴾ أو من فتح البلاد، واختلف في المراد بهذا الفتح على أربعة أقوال:

الأول: أنه فتح مكة، وعده الله به قبل أن يكون، وذكره بلفظ الماضي لتحققه، وهو على هذا بمعنى فتح البلاد.

الثاني: أنه ما جرى في الحديبية من بيعة الرضوان ومن الصلح الذي عقده رسول الله ﷺ مع قريش، وهو على هذا بمعنى الحكم أو بمعنى العطاء، ويدل على صحة هذا القول أنه لما وقع صلح الحديبية شق ذلك على بعض المسلمين بشروط كانت فيه حتى أنزل الله هذه السورة ويتبين أن ذلك الصلح له عاقبة محمودة، وهذا هو الأصح لأنه روي: أنها لما نزلت قال بعض الناس: ما هذا

(١) البخاري تفسير سورة الفتح الحديث رقم: (٤٧٢٥) باب فضل سورة الفتح، وتمامه: ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾.

الفتح وقد صدنا المشركون عن البيت، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: بل هو أعظم الفتوح قد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالروح، ورغبوا إليكم في الأمان.

الثالث: أنه ما أصاب المسلمون بعد الحديبية من الفتوح كفتح خيبر وغيرها.

الرابع: أنه الهداية إلى الإسلام، ودليل هذا القول قوله ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ فجعل الفتح علة للمغفرة، ولا حجة في ذلك إذ يتصور في الجهاد وغيره أن يكون علة للمغفرة أيضا، أو تكون اللام للصيرورة والعاقبة لا للتعليل فيكون المعنى إنا فتحنا لك فتحا مبينا فكان عاقبة أمرك أن جمع الله لك بين سعادة الدنيا والآخرة بأن غفر لك وأتم نعمته عليك وهداك ونصرك.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي السكون والطمأنينة يعني سكونهم في صلح الحديبية وتسليهم بفعل رسول الله ﷺ، وقيل: معناه الرحمة.

﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ﴾ معناه أنهم ظنوا أن الله يخذل المؤمنين، وقالوا ﴿لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ وقيل: معناه أنهم لا يعرفون الله بصفاته، فذلك هو ظن السوء به، والأول أظهر بدليل ما بعده. ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ يحتمل أن يكون خبرا أو دعاء.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ أي تشهد على أمتك.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي تعظموه، وقيل: تنصرونه وقرئ[1] تعززوه بزايين منقوطتين، والضمير في تعزروه وتوقروه للنبي ﷺ، وفي تسبحوه لله تعالى، وقيل: الثلاثة لله.

(١) قال ابن عطية: وقرأ محمد بن السميفع اليماني وابن عباس «وتعززوه» بزايين من العزة، المحرر الوجيز: ٥/١١٣.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ هذا تشريف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث جعل مبايعته بمنزلة مبايعة الله، ثم أكد هذا المعنى بقوله: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وذلك على وجه التخييل والتمثيل، يريد أن يد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تعلو يد المبايعين له هي يد الله في المعنى، وإن لم تكن كذلك في الحقيقة، وإنما المراد أن عقد ميثاق البيعة مع الرسول عليه الصلاة والسلام كعقده مع الله كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ وتأول المتأولون ذلك بأن يد الله معناها النعمة أو القوة وهذا بعيد هنا، ونزلت الآية في بيعة الرضوان تحت الشجرة وسنذكرها بعد. ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ يعني أن ضرر نكثه على نفسه ويراد بالنكث هنا نقض البيعة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ الآية سماهم بالمخلفين لأنهم تخلفوا عن غزوة الحديبية[1]، والأعراب هم أهل البوادي من العرب لما خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى مكة يعتمر، رأوا أنه يستقبل عدوا كثيرا من قريش وغيرهم، فقعدوا عن الخروج معه ولم يكن إيمانهم متمكنا، فظنوا أنه لا يرجع هو والمؤمنون من ذلك السفر، ففضحهم الله في هذه السورة، وأعلم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقولهم واعتذارهم قبل

---

(١) لفظ مسلم: قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ: أَخْبَرَتْنِي أُمُّ مُبَشِّرٍ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ حَفْصَةَ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ. الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا». قَالَتْ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَانْتَهَرَهَا فَقَالَتْ حَفْصَةُ ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾» صحيح مسلم الحديث رقم (٦٥٦٠): وصحيح ابن حبان (٤٨٠٢).

أن يصل إليهم، وأعلمه أنهم كاذبون في اعتذارهم. ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يحتمل أن يريد قولهم شغلتنا أموالنا وأهلونا لأنهم كذبوا في ذلك، أو قولهم فاستغفر لنا لأنهم قالوا ذلك رياء من غير صدق ولا توبة.

﴿قَوْماً بُوراً﴾ أي هالكين، من البوار وهو الهلاك ويعني به الهلاك في الدين.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الآية أخبر الله رسوله ﷺ أن المخلفين عن غزوة الحديبية يريدون الخروج معه إذا خرجوا إلى غزوة أخرى، وهي غزوة خيبر فأمر الله بمنعهم من ذلك وأن يقول لهم لن تتبعونا. ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواْ كَلَامَ اللَّهِ﴾ أي يريدون أن يبدلوا وعد الله لأهل الحديبية، وذلك أن الله وعدهم أن يعوضهم من غنيمة مكة غنيمة خيبر وفتحها، وأن يكون ذلك مختصا بهم دون غيرهم، وأراد المخلفون أن يشاركوهم في ذلك، فهذا هو ما أرادوا من التبديل، وقيل: كلام الله قوله: ﴿لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَداً وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوّاً﴾ وهذا ضعيف لأن هذه الآية نزلت بعد رجوع رسول الله ﷺ من تبوك بعد الحديبية بمدة. ﴿كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ يريد وعده باختصاصه أهل الحديبية بغنائم خيبر ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ معناه يعز عليكم أن نصيب معكم مالا وغنيمة، وبل هنا للإضراب عن الكلام المتقدم، وهو قوله: ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ فمعناها رد أن يكون الله حكم بأن لا يتبعوهم، وأما بل في قوله تعالى ﴿بَلْ كَانُواْ لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ فهي إضراب عن وصف المؤمنين بالحسد، وإثبات لوصف المخلفين بالجهل.

﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ اختلف في هؤلاء القوم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم هوازن ومن حارب النبي ﷺ في غزوة خيبر.

والثاني: أنهم الروم إذ دعا رسول الله ﷺ إلى قتالهم في غزوة تبوك.

والثالث: أنهم أهل الردة من بني حنيفة وغيرهم الذين قاتلهم أبو بكر الصديق.

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

حزب

والرابع: أنهم الفرس ويتقوى الأول والثاني بأن ذلك ظهر في حياة رسول الله ﷺ، وقوى المنذر بن سعيد القول الثالث بأن الله جعل حكمهم القتل أو الإسلام، ولم يذكر الجزية، قال وهذا لا يوجد إلا في أهل الردة.

قلت: وكذلك هو موجود في كفار العرب، إذ لا تؤخذ منهم الجزية، فيقوي ذلك أنهم هوازن، أو يسلمون عطف على تقاتلونهم، وقال ابن عطية: هو مستأنف.

﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ﴾ يريد في غزوة الحديبية.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ الآية معناها أن الله تعالى عذر الأعمى والأعرج والمريض في تركهم للجهاد لسبب أعذارهم.

﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار إن شاء الله أحد من أهل الشجرة الذين بايعوا تحتها» وفي الحديث أنهم كانوا ألفا وأربعمائة[1] وقيل: ألفا وخمسمائة، وسبب هذه البيعة أن رسول الله ﷺ لما بلغ الحديبية وهي موضع على نحو عشرة أميال من مكة، أرسل عثمان بن عفان رضي الله عنه رسولا إلى أهل مكة يخبرهم أنه إنما جاء ليعتمر، وأنه لا يريد حربا، فلما وصل إليهم عثمان حبسه أقاربه كرامة له، فصرخ صارخ أن عثمان قد قتل، فدعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة على القتال،

(١) البغوي في معالم التنزيل: ٣٠٤/٧.

وأن لا يفر أحد، وقيل: بايعوه على الموت، ثم جاء عثمان بعد ذلك سالما، وانعقد الصلح بين رسول الله ﷺ وبين أهل مكة، على أن يرجع ذلك العام، ويعتمر[(١)] في العام القابل، والشجرة المذكورة كانت سمرة هنالك ثم ذهبت بعد سنين، فمر عمر بن الخطاب بالموضع في خلافته، فاختلف الصحابة في موضعها.
﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ يعني من صدق الإيمان وصدق العزم على ما بايعوا عليه وقيل من كراهة البيعة على الموت وهذا باطل لأنه ذم للصحابة وقد ذكرنا السكينة.
﴿وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: فتح مكة، والأول أشهر، أي جعل الله ذلك ثوابا لهم على بيعة الرضوان زيادة على ثواب الآخرة، وأما المغانم المذكورة أولا فهي غنائم خيبر، وهي المعطوفة على الفتح القريب، وأما المغانم الكثيرة التي وعدهم الله وهي المذكورة ثانيا فهي كل ما يغنم المسلمون إلى يوم القيامة، والإشارة بقوله: ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ إلى خيبر، وقيل: إن المغانم التي وعدهم هي خيبر، والإشارة بهذه إلى صلح الحديبية.

﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ﴾ أي كف أهل مكة عن قتالكم في الحديبية، وقيل: كف اليهود وغيرهم عن إضرار نسائكم وأولادكم، بينما خرجتم إلى الحديبية. ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي تكون هذه الفعلة وهي كف أيدي الناس عنكم آية للمؤمنين يستدلون بها على النصر، واللام تتعلق بفعل محذوف، تقديره: فعل الله ذلك لتكون آية.

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ يعني فتح مكة، وقيل: فتح بلاد فارس والروم، وقيل: مغانم هوازن في حنين، والمعنى: لم تقدروا أنتم عليها وقد أحاط الله بها بقدرته ووهبها لكم، وإعراب أخرى عطف على ﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ﴾ أو مفعول بفعل مضمر، تقديره: أعطاكم أخرى أو مبتدأ.

﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني أهل مكة. ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أي عادته،

---

(١) في نسخة (م) فيعتمر.

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ۞ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

ثمن

والإشارة إلى يوم بدر، وقيل: الإشارة إلى نصر الأنبياء قديما.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ روى في سببها أن جماعة من فتيان قريش خرجوا إلى الحديبية ليصيبوا من عسكر رسول الله ﷺ فبعث إليهم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد في جماعة من المسلمين فهزموهم وأسروا منهم قوما، وساقوهم إلى رسول الله ﷺ فأطلقهم، فكف أيدي الكفار هو أن هزموا وأسروا، وكف أيدي المؤمنين عن الكفار هو إطلاقهم من الأسر وسلامتهم من القتل، وقوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ يعني من بعدما أخذتموهم أسارى.

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني أهل مكة. ﴿وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني أنهم منعوهم عن العمرة بالمسجد الحرام عام الحديبية. ﴿وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ الهدى ما يهدي إلى البيت من الأنعام، وكان رسول الله ﷺ قد ساق حينئذ مائة بدنة[1]، وقيل: سبعين ليهديها، والمعكوف المحبوس، ومحله موضع نحره يعني مكة والبيت، وإعراب الهدى عطف على الضمير المفعول في صدوكم، ومعكوفا حال من الهدى، وأن يبلغ مفعول بالعكف، فالمعنى: صدوكم

---

(١) روى بن عباس: أن رسول الله ﷺ أهدى مائة بدنة فيها جمل لأبي جهل في أنفه برة من فضة، ورواه مالك بن أنس في الموطإ مرسلا، وفي رواية: وأشرك عليا رضي الله عنه في ثلثها. شرح معاني الآثار للطحاوي: ٤/١٧٩، والسنن الكبرى للبيهقي: ٩/٢٩٢.

عن المسجد الحرام وصدوا الهدى عن أن يبلغ محله، والعكف المذكور يعني به منع المشركين للهدي عن بلوغ مكة، أو حبس المسلمين بالهدي بينما ينظرون في أمورهم. ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ الآية تعليل لصرف الله المؤمنين عن استئصال أهل مكة بالقتل، وذلك أنه كان بمكة رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم، فلو سلط الله المسلمين على أهل مكة لقتلوا أولئك المؤمنين وهم لا يعرفونهم، ولكن كفهم رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم، وجواب لولا محذوف، تقديره: لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لسلطناكم عليهم. ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ في موضع بدل من رجال ونساء، أو بدل من الضمير المفعول في ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ والوطء هنا الإهلاك بالسيف وغيره. ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ أي تصيبكم من قتلهم مشقة وكراهة، واختلف هل يعني الإثم في قتلهم، أو الدية، أو الكفارة، أو الملامة، أو عيب الكفار لهم بأن يقولوا قتلوا أهل دينهم، أو تألم نفوسهم من قتل المؤمنين؟، وهذا أظهر؛ لأن قتل المؤمن الذي لا يعلم إيمانه وهو بين أهل الحرب لا إثم فيه ولا دية ولا ملامة ولا عيب. ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يعني رحمة للمؤمنين الذين كانوا بين أظهر الكفار، بأن كف سيوف المسلمين عن الكفار من أجلهم أو رحمة لمن شاء من الكفار بأن يسلموا بعد ذلك، واللام تتعلق بمحذوف يدل عليه سياق الكلام، تقديره: كان كف القتل عن أهل مكة ليدخل الله في رحمته من يشاء. ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ معنى تزيلوا تميزوا عن الكفار، والضمير للمؤمنين المستوري الإيمان، أي لو انفصلوا عن الكفار لعذبنا الكفار فقوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لو الثانية، وجواب الأولى محذوف كما ذكرنا، ويحتمل أن يكون لعذبنا جواب لو الأولى، وكررت لو الثانية تأكيدا.

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ﴾ يعني أنفة الكفر وهي منعهم

للنبي ﷺ والمسلمين عن العمرة، ومنعهم من أن يكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، ومنعهم من أن يكتب محمد رسول الله، وقولهم: لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، والعامل في إذ جعل محذوف، تقديره: اذكر أو قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ والسكينة هي سكون المسلمين ووقارهم حين جرى ذلك. ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ قال الجمهور: هي لا إله إلا الله، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ[1]، وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: لا إله إلا الله، والله أكبر، وهذه كلها متقاربة، وقيل: هي بسم الله الرحمن الرحيم التي أبى الكفار أن تكتب. ﴿وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ أي كانوا كذلك في علم الله وسابق قضائه لهم أحق بها من اليهود والنصارى.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ كان رسول الله ﷺ قد رأى في منامه عند خروجه إلى العمرة أنه يطوف بالبيت هو وأصحابه بعضهم محلقون وبعضهم مقصرون، وروي: أنه أتاه ملك في النوم، فقال له: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾ الآية، فأخبر الناس برؤياه ذلك فظنوا أن ذلك يكون في ذلك العام، فلما صده المشركون عن العمرة عام الحديبية، قال المنافقون: أين الرؤيا؟ ووقع في نفوس المسلمين شيء من ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ﴾ أي تلك الرؤيا صادقة وسيخرج تأويلها بعد ذلك، فاطمأنت قلوب المؤمنين، وخرج رسول الله ﷺ في العام المقبل هو وأصحابه فدخلوا مكة واعتمروا وأقاموا بمكة ثلاثة أيام، وظهر صدق رؤياه، وتلك عمرة القضية، ثم فتح مكة بعد ذلك، ثم حج هو وأصحابه، وصدق في هذا الموضع يتعدى إلى مفعولين، وبالحق يتعلق بصدق أو بالرؤيا على أن يكون حالا منها. ﴿إِن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لما كان الاستثناء بمشيئة الله يقتضي الشك في الأمر وذلك محال على الله، اختلف في هذا الاستثناء على خمسة أقوال:

(١) أخرجه التِّرمِذِي (٣٢٦٥) من حديث الطُّفَيْل بْنِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الأول: أنه استثناء قاله الملك الذي رآه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام فحكى الله مقالته كما وقعت.

والثاني: أنه تأديب من الله لعباده ليقولون إن شاء الله في كل أمر مستقبل.

والثالث: أنه استثناء بالنظر إلى كل إنسان على حدته لأنه يمكن أن يتم له الأمر أو يموت أو يمرض فلا يتم له.

والرابع: أن الاستثناء راجع إلى قوله: ﴿ءَامِنِينَ﴾ لا لدخول المسجد.

والخامس: أن إن شاء الله بمعنى إذا شاء الله.

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ الحلق والتقصير من سنة الحج والعمرة، والحلق أفضل من التقصير لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رحم الله المحلقين ثلاثا، ثم قال في المرة الأخيرة والمقصرين»[1]. ﴿فَعَلِمَ مَالَمْ تَعْلَمُواْ﴾ يريد ما قدره من ظهور الإسلام في تلك المدة، فإنه لما انعقد الصلح وارتفعت الحرب ورغب الناس في الإسلام فكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غزوة الحديبية في ألف وخمسمائة، وقيل: ألف وأربعمائة، وغزا غزوة الفتح بعدها بعامين، ومعه عشرة آلاف. ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾ يعني فتح خيبر، وقيل: بيعة الرضوان، وقيل: صلح الحديبية، وهذا هو الأصح؛ لأن عمر[2] قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أفتح هو يا رسول الله؟ قال: نعم، وقيل: هو فتح مكة، وهذا ضعيف؛ لأن معنى قوله: ﴿مِن دُونِ ذَٰلِكَ﴾ قبل دخول المسجد الحرام، وإنما كان فتح مكة بعد ذلك، فإن الحديبية كانت عام ستة من الهجرة، وعمرة القضية عام سبعة، وفتح مكة عام ثمانية.

﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ ذكر في براءة. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيداً﴾ أي

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٦٤٠)، ومسلم الحديث رقم: (٣٢٠٤)، وغيرهما.

(٢) سنن أبي داود الحديث رقم: (٢٧٣٨) قال الألباني: ضعيف.

مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

ربع

شاهدا بأن محمدا رسول الله أو شاهدا بإظهار دينه.

﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ يعني جميع أصحابه، وقيل: من شهد معه الحديبية، وإعراب الذين معطوف على محمد رسول الله صفته، وأشداء خبر عن الجميع، وقيل: الذين معه مبتدأ وأشداء خبره، ورسول الله خبر محمد، ورجح ابن عطية هذا، والأول عندي أرجح لأن الوصف بالشدة والرحمة يشمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، وأما على ما اختاره ابن عطية فيكون الوصف بالشدة والرحمة مختصا بالصحابة دون النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وما أحق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالوصف بذلك؛ لأن الله قال فيه بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقال: ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ فهذه هي الشدة على الكفار والرحمة بالمؤمنين.

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ السيما العلامة، وفيه ستة أقوال:

الأول: أنه الأثر الذي يحدث في جبهة المصلي من كثرة السجود.

والثاني: أنه أثر التراب في الوجه.

الثالث: أنه صفرة الوجه من السهر والعبادة.

والرابع: حسن الوجه لما ورد في لحديث[1]: «من كثرت صلاته بالليل حسن

---

(١) سنن ابن ماجه الحديث رقم: (١٣٣٣) حدثنا إسماعيل بن محمد الطلحي. حدثنا ثابت بن موسى أبو يزيد عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» قال المعلق محمد فؤاد عبد الباقي:=

وجهه بالنهار» وهذا الحديث غير صحيح بل وقع فيه غلط من الراوي فرفعه إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو غير مروي عنه.

الخامس: أنه الخشوع.

السادس: أن ذلك يكون في الآخرة يجعل الله لهم نورا من أثر السجود، كما يجعل غرة من أثر الوضوء، وهذا بعيد؛ لأن قوله: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ وصف حالهم في الدنيا فكيف يكون سيماهم في وجوههم كذلك؟ والأول أظهر، وقد كان بوجه علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعلي بن عبد الله بن العباس أثر ظاهر من أثر السجود.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ أي وصفهم فيها، وتم الكلام هنا، ثم ابتدأ قوله: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ﴾ وقيل: إن مثلهم في الإنجيل عطف على مثلهم في التوراة، ثم ابتدأ قوله: كزرع، وتقديره: هم كزرع، والأول أظهر ليكون وصفهم في التوراة بما تقدم من الأوصاف الحسان، وتمثيلهم في الإنجيل بالزرع المذكور بعد ذلك، وعلى هذا يكون مثلهم في الإنجيل بمعنى التشبيه والتمثيل، وعلى القول الآخر يكون المثل بمعنى الوصف كمثلهم في التوراة.

﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ هذا مثل ضربه الله للإسلام حيث بدأ ضعيفا ثم قوي وظهر، وقيل: الزرع مثل للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه بعث وحده وكان كالزرع حبة

= معنى الحديث ثابت بموافق القرآن وشهادة التجربة، لكن الحفاظ على أن الحديث بهذا اللفظ غير ثابت. وأخرج البيهقي في الشعب عن محمد بن عبد الرحمن بن كامل قال قلت لمحمد بن عبد الله بن نمير ما تقول في ثابت ابن موسى؟ قال شيخ له فضل وإسلام ودين وصلاح وعبادة. قلت ما تقول في هذا الحديث؟ قال غلط من الشيخ، وأما غير ذلك فلا يتوهم عليه. وقد تواردت أقوال الأئمة على عد هذا الحديث في الموضوع على سبيل الغلط لا التعمد. وخالفهم القضاعي في مسند الشهاب فمال في الحديث إلى ثبوته. اهـ السندي، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

واحدة، ثم كثر المسلمون فهم كالشطء وهو فراخ السنبلة التي تنبت حول الأصل، ويقال بإسكان الطاء[(١)] وفتحها بمد وبدون مد وهي لغات. ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي قواه وهو من الموازرة بمعنى المعاونة، ويحتمل أن يكون الفاعل الزرع والمفعول شطأه أو بالعكس؛ لأن كل واحد منهما يقوى الآخر، وقيل: معناه ساواه طولا، فالفاعل على هذا الشطء ووزن آزره فاعله، وقيل: أفعله وقرئ[(٢)] بقصر الهمزة على وزن فعل. ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ أي صار غليظا. ﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ جمع ساق أي قام الزرع على سوقه، وقيل: قوله: كزرع يعني النبي ﷺ، أخرج شطأه بأبي بكر، فآزره بعمر، فاستغلظ بعثمان، فاستوى على سوقه بعلي بن أبي طالب. ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ تعليل لما دل عليه المثل المتقدم من قوة المسلمين فهو يتعلق بفعل يدل عليه الكلام، تقديره: جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم الكفار، وقيل: يتعلق بوعد وهو بعيد. ﴿مِنْهُم﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض لأنه وعد عم جميعهم رضي الله عنهم.

*** *** ***

(١) ﴿شطأه﴾ قرأ ابن كثير وابن ذكوان بفتح الطاء. وقرأ الباقون بإسكانها. النشر: ٢/٤١٥.

(٢) الداني: ابن ذكوان ﴿فأزره﴾ بالقصر والباقون بالمد. التيسير، ص: ١٣٠.

سورة الحجرات

﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: لا تتكلموا بأمر قبل أن يتكلم هو به، ولا تقطعوا في أمر إلا بنظره.

والثاني: لا تقدموا الولاة بمحضره، فإنه يقدم من شاء.

والثالث: لا تتقدموا بين يديه إذا مشى، وهذا إنما يجري على قراءة يعقوب[١] لا تقدموا بفتح التاء والقاف والدال، والأول هو الأظهر؛ لأن عادة العرب الاشتراك في الرأي، وأن يتكلم كل أحد بما يظهر له، فربما فعل ذلك قوم مع النبي ﷺ فنهاهم الله عن ذلك، ولذلك قال مجاهد[٢]: معناه لا تفتاتوا على الله شيئا حتى يذكره على لسان رسوله ﷺ، وإنما قال: بين يدي الله لأن النبي ﷺ إنما يتكلم بوحي من الله.

﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي ﷺ بهذا الأدب كرامة له وتعظيما، وسببها[٣]: أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم. ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ مفعول من أجله تقديره: مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول ﷺ، فالمفعول من أجله يتعلق بالفعلين معا من طريق المعنى، وأما من طريق الإعراب فيتعلق عند البصريين بالثاني، وهو (لا تجهروا)، وعند الكوفيين بالأول وهو ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ وهذا الإحباط؛ لأن قلة الأدب معه ﷺ والتقصير في توقيره يحبط الحسنات وإن فعله مؤمن، لعظيم ما وقع فيه من ذلك، وقيل: إن الآية خطاب للمنافقين وهذا ضعيف لقوله في أولها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقوله:

---

(١) ﴿لا تقدموا﴾ قرأ يعقوب بفتح التاء والدال، وقرأ الباقون بضم التاء وكسر الدال. النشر: ٢/٤١٥.

(٢) البخاري في صحيحه، باب تفسير سورة الحجرات: ٤/١٨٣٢ الحديث رقم: (٣٢٨).

(٣) الدر المنثور: ٧/٥٤٨.

﴿وَأَنتُمْ لاَ تَشْعُرُونَ﴾ فإنه لا يصح أن يقال هذا لمنافق فانه يفعله جرأة وهو يقصده.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فإنه لما نزلت لآية قبلها قال أبو بكر: والله يا رسول الله لا أكلمك إلا سرا، وكان عمر يخفي كلامه حين يستفهمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]، ولفظها مع ذلك على عمومه، ومعنى امتحن اختبر فوجدها كما يجب مثل ما يختبر الذهب بالنار فيوجد طيبا، وقيل: معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتماله بغير تكلف، وقيل: معناه أخلصها الله للتقوى.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط، وكان لكل واحدة من أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حجرة، ونزلت الآية[2] في وفد بني تميم قدموا على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ووقفوا خارجها، ونادوا: يا محمد اخرج إلينا! فكان في فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير، فتربص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مدة، ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس، يا محمد: إن مدحي زين وذمي شين، فقال له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ويحك ذلك الله تعالى. ﴿أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفي العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم.

والآخر: أن يكون جميعهم ممن لا يعقل، وأوقع القلة موضع النفي، والأول أظهر في مقتضى اللفظ، والثاني أبلغ في الذم.

(١) مصنف عبد الرزاق الحديث رقم (٢٨٣٧): والدر المنثور ٥٥٣/٧ والطبري ٢٢/٢٨٤.

(٢) الكشاف: ٣٦٠/٤.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْماً بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ (٦) وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (٧) فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٨) ۞ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُواْ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَٰبِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الظَّٰلِمُونَ (١١)

ثمن

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ﴾ يعني خيرا في الثواب وفي انبساط نفس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقضائه حوائجهم وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم.

﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ سببها[1] أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأخذ زكاتهم، فروي أنه كان معاديا لهم فأراد إذايتهم فرجع من بعض طريقه فكذب عليهم، وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنهم قد منعوني الصدقة وطردوني وارتدوا، فغضب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم بغزوهم، ونظر في ذلك فورد وفدهم منكرين لذلك، وروي: أن الوليد بن عقبة لما قرب منهم خرجوا إليه متلقين له فرآهم على بعد، ففزع منهم وظن بهم الشر، فانصرف فقال ما قال، وروي: أنه بلغه أنهم قالوا لا نعطيه صدقة ولا نطيعه، فانصرف وقال: ما قال، فالفاسق المشار اليه في الآية هو: الوليد بن عقبة، ولم يزل بعد ذلك يفعل أفعال الفساق حتى صلى بالناس صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران، ثم قال لهم: أزيدكم إن شئتم[2]. ثم هي باقية في كل من اتصف بهذه الصفة إلى آخر الدهر، وقرئ فتبينوا[3] من التبين وتثبتوا بالثاء من التثبت، ويقوى هذه القراءة أنها

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٣٠٣، والطبري في جامع البيان: ٢٢/٢٨٨.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص: ١٣٨.

(٣) ﴿فتبينوا﴾ قرأ حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت، وقرأ الباقون من التبين. النشر: ٢/٢٨٤.

لما نزلت روي: أن رسول الله ﷺ قال[1]: «التثبت من الله والعجلة من الشيطان»، واستدل بهذه الآية القائلون بقبول خبر الواحد؛ لأن دليل الخطاب يقتضي أن خبر غير الفاسق مقبول، قال المنذر البلوطي: وهذه الآية ترد على من قال إن المسلمين كلهم عدول لأن الله أمر بالتبين قبل القبول، فالمجهول الحال يخشى أن يكون فاسقا. ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْماً بِجَهَالَةٍ﴾ في موضع المفعول من أجله تقديره مخافة أن تصيبوا قوما بجهالة والإشارة إلى قتال بني المصطلق لما ذكر عنهم الوليد ما ذكر.

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي لشقيتم، والعنت المشقة، وإنما قال: لو يطيعكم لم يقل لو أطاعكم للدلالة على أنهم كانوا يريدون استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم، والحق خلاف ذلك، وإنما الواجب أن يطيعوه لا أن يطيعهم، وذلك أن رأي رسول الله ﷺ خير وأصوب من رأي غيره، ولو أطاع الناس في رأيهم لهلكوا، فالواجب عليهم الانقياد إليه والرجوع إلى أمره، وإلى ذلك الإشارة بقوله: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ﴾ الآية.

﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ اختلف في سبب نزولها فقال الجمهور: هو ما وقع بين المسلمين وبين المتحزبين منهم لعبد الله بن أبي ابن سلول[2] حين مر به رسول الله ﷺ وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة

---

(١) لم أجده مسندا، وقال ابن عطية قال قتادة: وقال رسول الله ﷺ عندما نزلت هذه الآية التثبت من الله والعجلة من الشيطان. المحرر الوجيز: ٥/١٣٠.

(٢) في صحيح البخاري: حدثنا مسدد حدثنا معتمر قال سمعت أبي أن أنسا رضي الله عنه قال: قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حمارا فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سبخة فلما أتاه النبي ﷺ قال إليك عني والله لقد آذاني نتن حمارك فقال رجل من الأنصار منهم والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتمه فغضب لكل واحد منهما أصحابه فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها نزلت ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ الحديث رقم: (٢٥٤٥)، ومسلم الحديث رقم: (٤٧٦٢).

في مرضه، فبال حمار رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبي للنبي ﷺ: لقد آذاني نتن حمارك، فرد عليه عبد الله بن رواحة وتلاحا الناس حتى وقع بين الطائفتين ضرب بالجريد، وقيل: بالحديد، وقيل سببها: أن فريقين من الأنصار وقع بينهما قتال فصالحهم رسول الله ﷺ بعد جهد، ثم حكمها باق إلى آخر الدهر، وإنما قال: اقتتلوا ولم يقل اقتتلا؛ لأن الطائفة في معنى القوم والناس فهي في معنى الجمع. ﴿فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي﴾ أمر الله في هذه الآية بقتال الفئة الباغية وذلك إذا تبين أنها باغية، فأما الفتن التي تقع بين المسلمين فاختلف العلماء فيها على قولين:

أحدهما: أنه لا يجوز النهوض في شيء منها ولا القتال، وهو مذهب سعد بن أبي وقاص وأبي ذر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وحجتهم قول رسول الله ﷺ[(١)]: «قتال المسلم كفر» وأمره عليه الصلاة والسلام بكسر السيوف في الفتن.

والقول الثاني: أن النهوض فيها واجب لتكف الطائفة الباغية، وهذا قول علي وعائشة وطلحة والزبير وأكثر الصحابة، وهو مذهب مالك وغيره من الفقهاء، وحجتهم هذه الآية، فإذا فرعنا على القول الأول فإن دخل داخل على من اعتزل الفريقين منزله يريد نفسه أو ماله فليدفعه عن نفسه، وإن أدى ذلك إلى قتله، لقوله ﷺ[(٢)] «من قتل دون نفسه أو ماله فهو شهيد»، وإذا فرعنا على القول الثاني

(١) أخرجه الترمذي في سننه بلفظ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» الحديث رقم: (٢٦٣٥)، وفي معناه الحديث المتفق عليه: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» البخاري الحديث ر قم: (١٦٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (٤٤٧٧)، وغيرهما.

(٢) صحيح. رواه أبو داود (٤٧٧٢)، والنسائي (٧/١١٦)، والترمذي (١٤٢١)،. بلفظ: «ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» والسياق للترمذي ـ وليست الجملة الأولى عند النسائي ـ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجه (٢٥٨٠)، واقتصر على «مِنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ».

فاختلف مع من يكون النهوض في الفتن؟ فقيل: مع السواد الأعظم، وقيل: مع العلماء، وقيل: مع من يرى أن الحق معه، وحكم القتال في الفتن أن لا يجهز على جريح، ولا يطلب هارب، ولا يقتل أسير، ولا يقسم فيء.

﴿حَتَّىٰ تَفِيٓءَ﴾ أي ترجع إلى الحق.

﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إنما ذكره بلفظ التثنية لأن أقل من يقع بينهم البغي اثنان، وقيل: أراد بالأخوين الأوس والخزرج، وقرئ[1] بين إخوتكم بالتاء على الجمع، وقرئ بين إخوانكم بالنون على الجمع أيضا.

﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ نهى عن السخرية وهي الاستهزاء بالناس. ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ﴾ أي لعل المسخور منه خير من الساخر عند الله، وهذا تعليل للنهي. ﴿وَلاَ نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾ لما كان القوم لا يقع إلا على الذكور عطف النساء عليهم. ﴿وَلاَ تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا يطعن بعضكم على بعض واللمز العيب سواء كان بقول أو إشارة أو غير ذلك وسنذكر الفرق بينه وبين الهمز في سورة الهمزة وأنفسكم هنا بمنزلة قوله فسلموا على أنفسكم. ﴿وَلاَ تَنَابَزُواْ بِالْأَلْقَابِ﴾ أي لا يدع أحد أحدا بلقب، والتنابز بالألقاب التداعي بها، وقد أجاز المحدثون أن يقال الأعمش والأعرج ونحوه إذا دعت إليه الضرورة، ولم يقصد النقص والاستخفاف. ﴿بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾ يريد بالاسم أن يسمى الإنسان فاسقا بعد أن سمي مؤمنا، وفي ذلك ثلاثة أوجه:

أحدها: استقباح الجمع بين الفسق وبين الإيمان، فمعنى ذلك أن من فعل شيئا من هذه الأشياء التي نهى عنها فهو فاسق، وإن كان مؤمنا.

والآخر: بئس ما يقوله الرجل للآخر: يا فاسق بعد إيمانه، كقولهم لمن أسلم

(١) ﴿بين أخويكم﴾ قرأ يعقوب بكسر الهمزة وإسكان الخاء وتاء مكسورة على الجمع وقرأ الباقون بفتح الهمزة والخاء وياء ساكنة على التثنية. النشر ٢/٤١٥.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

ربع

من اليهود: يا يهودي.

الثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن وهذا على مذهب المعتزلة.

﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ يعني ظن السوء بالمسلمين، وأما ظن الخير فهو حسن. ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ قيل: في معنى الإثم هنا الكذب، لقوله ﷺ[1]: «الظن أكذب الحديث» لأنه قد لا يكون مطابقا للأمر، وقيل: إنما يكون إثما إذا تكلم به، وأما إذا لم يتكلم به فهو في فسحة لأنه لا يقدر على دفع الخواطر، واستدل بعضهم بهذه الآية على صحة سد الذرائع في الشرع لأنه أمر باجتناب كثير من الظن، وأخبر أن بعضه إثم فأمر باجتناب الأكثر من الإثم احترازا من الوقوع في البعض الذي هو إثم. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا تبحثوا عن مخبآت الناس، وقرأ الحسن تحسسوا بالحاء[2] والتجسس بالجيم في الشر وبالحاء في الخير، وقيل: التجسس ما كان من وراء، والتحسس بالحاء: الدخول والاستعلام. ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ المعنى: لا يذكر أحدكم من أخيه المسلم ما يكره لو سمعه، والغيبة هي ما يكره الإنسان ذكره من خلقه أو خلقه أو دينه أو أفعاله أو غير ذلك،

(١) في صحيح البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا وهيب حدثنا ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» الحديث رقم: (٦٣٤٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٧٠١)، وغيرهما.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/١٣٤.

وفي الحديث[١] أنه عليه الصلاة والسلام قال: «**الغيبة أن تذكر أخاك المؤمن بما يكره، قيل: يا رسول الله وإن كان حقا، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان**» وقد رخص في الغيبة في مواضع، منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنكاح، وشبهه، وفي التحذير من أهل الضلال.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتا لأن الجيفة مستقذرة، ويجوز أن يكون ميتا حال من الأخ أو من لحمه، وقيل: فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير، كأنه لما قررهم قال: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ أجابوا فقالوا: لا نحب ذلك، فقال لهم: فكرهتموه، وبعد هذا محذوف، تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه، وحذف هذا لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يعطف قوله: ﴿وَاتَّقُواْ اللَّهَ﴾ قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل، وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة، منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها: جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها: إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتا ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخا له.

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه. قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى، والأول أظهر وأصح لقوله ﷺ[٢]: «أنتم من آدم وآدم

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٦٧٥٨)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٥٧٥٩)، والترمذي الحديث رقم: (١٩٣٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه الحديث رقم: (٥١١٨)، والترمذي الحديث رقم: (٣٩٥٦).

من التراب»، ومقصود الآية التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب، إنما هو بالتقوى قال رسول الله ﷺ[1] «من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله» وروي[2]: أن سبب الآية أن رسول الله ﷺ أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم، فقالوا: كيف نزوج بناتنا لموالينا؟ ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم من القبيلة، وتحته القبيلة، ثم البطن، ثم الفخذ، ثم الفصيلة، وهم القرابة الأدنون، فمضر وربيعه وأمثالهما شعوب، وقريش قبيلة، وبني عبد مناف بطن، وبنو هاشم فخذ، ويقال بإسكان الخاء فرقا بينه وبين الجارحة، وبنو عبد المطلب فصيلة، وقيل: الشعوب في العجم، والقبائل في العرب، والأسباط في بني إسرائيل، ومعنى لتعارفوا ليعرف بعضكم بعضا.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾ نزلت[3] في بني أسد بن خزيمة وهي قبيلة كانت تجاور المدينة أظهروا الإسلام، وكانوا إنما يحبون المغانم وعرض الدنيا، فأكذبهم الله في قولهم آمنا، وصدقهم لو قالوا أسلمنا، وهذا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإسلام هو الانقياد بالنطق بالشهادتين والعمل بالجوارح، فالإسلام والإيمان في هذا الموضع متباينان في المعنى، وقد يكونان متفقان وقد يكون الإسلام أعم من الإيمان فيدخل فيه الإيمان حسبما ورد في مواضع أخر ﴿وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا﴾ معنى لا يلتكم لا ينقصكم شيئا من أجور أعمالكم، وفيه لغتان، يقال لات وعليه قراءة نافع ﴿لَا يَلِتْكُم﴾[4]

---

(١) المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٧٧٠٧)، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٦٠.

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) أسباب النزول للواحدي، ص: ٢٩٦، وبعضه في الطبري في جامع البيان: ٢٢/٣١٥.

(٤) قرأ جمهور القراء (لا يلتكم) من لات يليت إذا نقص يقال لاته حقه إذا نقصه منه، ولت السلطان إذا لم يصدقه فيما سأل عنه، وقرأ أبو عمرو والأعرج والحسن وعمرو ﴿لا يألتكم﴾ من ألت يألت وهو بمعنى لات. الطبري في جامع البيان: ٢٢/٣١٧، والمحرر الوجيز: ٥/١٣٧.

بغير همز، ويقال ألت وعليه قراءة من قرأ لا يألتكم بهمزة قبل اللام، فإن قيل: كيف يعطيهم أجور أعمالهم وقد قال إنهم لم يؤمنوا ولا يقبل عمل إلا من مؤمن؟ فالجواب: أن طاعة الله ورسوله تجمع صدق الإيمان وصلاح الأعمال، فالمعنى: إن رجعتم عما أنتم عليه من الإيمان بألسنتكم دون قلوبكم وعملتم أعمالا صالحة فإن الله لا ينقصكم منها شيئا.

﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ﴾ أي لم يشكوا في إيمانهم وفي ذلك تعريض بالأعراب المذكورين بأنهم في شك وكذلك قوله في هؤلاء أولئك هم الصادقون تعريض أيضا بالأعراب إذ كذبوا في قولهم آمنا وإنما عطف ثم لم يرتابوا بثم إشعارا بثبوت إيمانهم في الأزمنة المتراخية المتطاولة. ﴿وَجَاهَدُواْ﴾ يريد جهاد الكفار لأنه دليل على صحة الإيمان ويبعد أن يريد جهاد النفس والشيطان، لقوله: ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ﴾ نزلت في بني أسد أيضا فإنهم قالوا للنبي ﷺ إنا آمنا بك واتبعناك ولم نحاربك كما فعلت هوازن وغطفان وغيرهم. ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ أي هداكم للإيمان على زعمكم ولذلك قال: ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ ويمن عليكم يحتمل أن يكون بمعنى ينعم عليكم، أو بمعنى يذكر إنعامه، وهذا أحسن لأنه في مقابلة يمنون عليك.

*** *** ***

سُورَةُ قٓ
مكيّة — آياتها ٤٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ
الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ
رَجْعٌ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ
حَفِيظٌ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾
• أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا إِلَى السَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا
مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾
وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ
﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا
بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ
وَأَصْحَٰبُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾
وَأَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾
أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

ثمن

سورة ق

تكلمنا على حروف الهجاء في أول سورة البقرة، ويختص ق بأنه قيل: إنه من اسم الله القاهر، أو القدير، وقيل: هو اسم للقرآن، وقيل: اسم للجبل الذي يحيط بالدنيا. ﴿وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾ من المجد وهو الشرف والكرم وجواب هذا القسم محذوف، تقديره: ما ردوا أمرك بحجة وما كذبوك ببرهان، وشبه ذلك، وعن هذا المحذوف وقع الإضراب ببل، وقيل: الجواب ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ﴾، وقيل: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ وقيل: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ وهذه الأقوال ضعيفة متكلفة.

﴿بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾ الضمير في عجبوا لكفار قريش، والمنذر هو سيدنا محمد ﷺ، وقيل: الضمير لجميع الناس واختاره ابن عطية، قال: ولذلك قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ﴾ أي الكافرون من الناس، والصحيح أنه لقريش، وقوله: ﴿فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ﴾ وضع الظاهر موضع المضمر لقصد ذمهم بالكفر، كما تقول: جاءني فلان، فقال الفاجر كذا، إذا قصدت ذمه، وقوله منذر منهم إن كان الضمير لقريش فمعنى منهم من قبيلتهم يعرفون صدقه وأمانته وحسبه فيهم وإن كان الضمير لجميع الناس، فمعنى منهم إنسان مثلهم وتعجبهم يحتمل أن يكون من أن بعث الله بشرا أو من الأمر الذي يتضمنه الإنذار وهو الحشر ويؤيد هذا ما يأتي بعد.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ العامل في إذا محذوف، تقديره: أنبعث إذا متنا؟ ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ الرجع مصدر رجعته والمراد به البعث بعد الموت، ومعنى بعيد أي بعيد الوقوع عندهم، وقيل: الرجع الجواب، أي جوابهم هذا بعيد عن الحق، وعلى هذا يكون قوله: ﴿ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ من كلام الله تعالى، وأما على الأول فهو حكاية كلام الكفار، وهو أظهر.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ هذا رد على الكفار في إنكارهم للبعث، معناه قد علمنا ما تنقص الأرض منهم من لحومهم وعظامهم، فلا يصعب علينا بعثهم، قال رسول الله ﷺ[1]: «كل جسد ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب»، وقيل: المعنى قد علمنا ما يحصل في بطن الأرض من موتاهم، والأول قول ابن عباس[2] والجمهور وهو أظهر. ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ يعني اللوح المحفوظ، ومعنى حفيظ جامع لا يشذ عنه شيء، وقيل: معناه محفوظ من التغيير والتبديل.

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ هذا الإضراب أتبع به الإضراب الأول للدلالة على أنهم جاؤوا بما هو أقبح من تعجبهم وهو التكذيب بالحق الذي هو النبوءة وما تضمنته من الإخبار بالحشر وغير ذلك، وقال ابن عطية: هذا الإضراب عن كلام محذوف، تقديره: ما أجادوا النظر ونحو ذلك. ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ أي مضطرب لأنهم تارة يقولون شاعر، وتارة ساحر، وغير ذلك من أقوالهم، وقيل: معناه منكر، وقيل: ملتبس، وقيل: مختلط.

﴿وَزَيَّنَّٰهَا﴾ يعني بالنجوم. ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي من شقوق، وذلك دليل

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّب» الحديث رقم: (٧٦٠٤)، ومالك في الموطإ الحديث رقم: (٥٦٧)، وابن حبان في صحيحه الحديث رقم: (٣١٣٨)، وأبو داود في سننه الحديث رقم: (٤٧٤٥).

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢٢/٣٢٩.

على إتقان الصنعة.

﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ أي من كل نوع جميل.

﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ يعني المطر كله، وقيل: الماء المبارك ماء مخصوص ينزله الله كل سنة وليس كل المطر يتصف بالمبارك، وهذا ضعيف. ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ هو القمح والشعير ونحو ذلك مما يحصد.

﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ أي طويلات. ﴿طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ الطلع أول ما يظهر من الثمر وهو أبيض منضد كحب الرمان، فما دام ملتصقا بعضه ببعض فهو نضيد، فإذا تفرق فليس بنضيد.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ تمثيل لخروج الموتى من القبور بخروج النبات من الأرض.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ﴾ قوم كانت لهم بئر عظيم، وهي الرس بعث إليهم نبيء فجعلوه في الرس وردموا عليه فأهلكهم الله.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ﴾ يعني قوم شعيب وقد ذكر. ﴿وَقَوْمُ تُبَّعٍ﴾ ذكر في الدخان. ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أي حل بهم الهلاك.

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ يقال: عي بالأمر إذا لم يعرف علمه[1]، والخلق الأول خلق الإنسان من نطفة، ثم من علقة، وقيل: يعني خلق آدم، وقيل: خلق السموات والأرض، والأول أظهر ومقصود الآية الاستدلال بالخلقة الأولى على البعث، والهمزة للإنكار. ﴿بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أي هم في شك من

(١) يُقال: عَيِي، كرضَي، وَعيَ بالإدغام، وهو أكثر. قاله في الصحاح، وفي القاموس: عَيَ بالأمر وعَيِيَ كرَضِيَ، وتَعايا واسْتَعيا وتَعَيَّا: لم يهتدِ لوجه مُراده، أو عَجَزَ عنه ولم يُطِقْ إحْكَامه. مادة (عي).

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ
سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾
لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ
حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ
كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا
ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُۥ
وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ
إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾
يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ
لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ
خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ
ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

ربع

البعث، وإنما نكر الخلق الجديد لأنه كان غير معروف عند الكفار المخاطبين، وعرف الخلق الأول لأنه معروف معهود.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ﴾ يعني جنس الإنسان، ومعنى ﴿تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ تحدثه نفسه في فكرتها، وذلك أخفى الأشياء، وقيل: يعني آدم ووسوسته عند أكله من الشجرة، والأول أظهر وأشهر. ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو عرق كبير في العنق وهما وريدان عن يمين وشمال، وهذا مثل في فرط القرب والمراد به قرب علم الله واطلاعه على عبده، وإضافة الحبل إلى الوريد كقولك: مسجد الجامع، أو يراد بالحبل العاتق.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ﴾ يعني الملكين الحافظين الكاتبين للأعمال، والتلقي هو تلقي الكلام بحفظه وكتابته، والعامل في ﴿إِذْ﴾ ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ﴾ وقيل: مضمر، تقديره: اذكر واختاره ابن عطية. ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ أي قاعد، وقيل: مقاعد بمعنى مجالس، ورده ابن عطية بأن المقاعد إنما يكون مع قعود الإنسان، والقاعد يكون على جميع هيئة الإنسان، وإنما أفرده وهما اثنان؛ لأن التقدير: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين، فحذف أحدهما لدلالة الآخر عليه، وقال الفراء: لفظ قعيد يدل على الاثنين والجماعة فلا يحتاج إلى حذف.

﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ العتيد الحاضر وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال[١]: «إن مقعد الملكين على الشفتين قلمهما اللسان ومدادهما الريق»، وعموم الآية يقتضي أن الملكين يكتبان جميع أعمال العبد ولذلك قال الحسن وقتادة: يكتبان جميع الكلام، فيثبت الله من ذلك الحسنات والسيئات ويمحو غير ذلك، وقال عكرمة إنما تكتب الحسنات والسيئات لا غير.

﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ﴾ أي بلقاء الله، أو فراق الدنيا، وفي مصحف عبد الله ابن مسعود[٢] «وجاءت سكرة الحق بالموت» وكذلك قرأها أبو بكر الصديق[٣] وإنما قال: جاءت بالماضي لتحقق الأمر وقربه، وكذلك ما بعده من الأفعال. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ أي تفر وتهرب والخطاب للإنسان.

﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ السائق ملك يسوقه، وأما الشهيد فقيل: ملك آخر يشهد عليه وهو الأظهر، وقيل: صحائف الأعمال، وقيل: جوارح الإنسان.

﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ خطاب للإنسان الذي يقتضيه قوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ يريد أنه كان غافلا عما لقي في الآخرة، وقيل: هو خطاب لسيدنا محمد ﷺ، أي كنت في غفلة من هذا القصص وهذا في غاية الضعف؛ لأنه خروج عن سياق الكلام. ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ قيل: كشف الغطاء معاينته أمور الآخرة. ﴿فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ أي يبصر ما لم يبصره قبل، قال رسول الله ﷺ[٤] «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

---

(١) لم أجده مسندا وأورده ابن عطية، وكذلك الأثرين عن الحسن وقتادة، وعكرمة، كما في المحرر الوجيز: ٥/٢٤٣.

(٢) النكت والعيون للماوردي: ٥/٣٤٨.

(٣) الطبري في جامع البيان: ١٦/٤٧٧.

(٤) لا أصل له، كما أورده السبكي في كتابه: أحاديث الإحياء التي لا أصل لها. ص/٤٨، وهو جزء من كتابه: طبقات الشافعية الكبرى.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ القرين هنا الشيطان الذي كان يغويه، وقيل: الملك الذي يتولى عذابه في جهنم، والأول أرجح؛ لأنه هو القرين المذكور بعد، ولقوله: ﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ ومعنى قوله: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ أي هذا الإنسان حاضر لدي أعتدته ويسرته لجهنم، وكذلك المعنى إن قلنا إن القرين هو الملك السائق، وإن قلنا إنه أحد الزبانية فمعناه هذا العذاب لدي حاضر، ويحتمل أن يكون ما في قوله: ﴿مَا لَدَيَّ﴾ موصوفة أو موصولة، فإن كانت موصوفة فعتيد وصف لها وإن كانت موصولة فعتيد بدل منها، أو خبر بعد خبر، أو خبر مبتدإ محذوف، وما هي خبر المبتدإ على هذه الوجوه، ويحتمل أن يكون عتيد الخبر وتكون ما بدلا من هذا، أو منصوبة بفعل مضمر.

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ الخطاب للملكين السائق والشهيد، وقيل: إنه خطاب لواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة، ثم أبدل منها ألف، أو على أن يكون معناه ألق ألق مثنى مبالغة وتأكيدا، أو على أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم: خليلي وصاحبي، وهذا كله تكلف بعيد ومما يدل على أن الخطاب لاثنين قوله: ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾.

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ قيل: مناع للزكاة المفروضة، والصحيح العموم. ﴿مُّرِيبٍ﴾ شاك في الدين فهو من الريب بمعنى الشك.

﴿الَّذِي جَعَلَ﴾ يحتمل أن يكون مبتدءا وخبره فألقياه، وأدخل فيه ألفا لتضمنه معنى الشرط، أو يكون بدلا أو صفة، ويكون فألقياه تكرارا للتوكيد.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُۥ﴾ القرين هنا شيطانه الذي وكل به في الدنيا بلا خلاف، ومعنى ما أطغيته ما أوقعته في الطغيان، ولكنه طغى باختياره، وإنما حذف الواو هنا لأن هذه جملة مستأنفة، بخلاف قوله: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ قبل هذا، فإنه عطف.

﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَيَّ﴾ خطاب للناس وقرنائهم من الشياطين.

﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ أي قد حكمت بتعذيب الكفار فلا تبديل لذلك، وقيل: معناه لا يكذب أحد لعلمي بجميع الأمور، فالإشارة على هذا إلى قول القرين ما أطغيته.

﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ الفعل مسند إلى جهنم، وقيل: إلى خزنتها من الملائكة، والأول أظهر، واختلف: هل تتكلم جهنم حقيقة أو مجازا بلسان الحال؟ والأظهر أنه حقيقة، وذلك على الله يسير، ومعنى قولها: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ إنما تطلب الزيادة وكانت لم تمتلئ، وقيل: معناه لا مزيد، أي ليس عندي موضع للزيادة، فهي على هذا قد امتلأت، والأول أظهر وأرجح، لما ورد في الحديث[1] «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يلقى فيها الجبار قدمه» وفي الحديث كلام ليس هذا موضعه، والمزيد يحتمل أن يكون مصدرا كالمحيض، أو اسم مفعول فإن كان مصدرا فوزنه مفعل، وإن كان اسم مفعول فوزنه مفعول.

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ﴾ أي قربت ثم أكد ذلك بقوله: ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾.

﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ أي كثير الرجوع إلى الله، فهو من آب يؤوب إذا رجع، وقيل: هو المسبح لله من قوله: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾. ﴿حَفِيظٍ﴾ أي حافظ لأوامر الله، فيفعلها ولنواهيه فيتركها.

﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أي اتقى الله وهو غائب عن الناس، فالمجرور في موضع الحال، ومن خشي بدل أو مبتدأ، فإن قيل: كيف قرن بالخشية الاسم الدال على الرحمة؟ فالجواب: أن ذلك لقصد المبالغة في الثناء على من يخشى الله؛ لأنه يخشاه مع علمه برحمته وعفوه، قال ذلك الزمخشري، ويحتمل أن يكون الجواب عن ذلك: أن الرحمن صار يستعمل استعمال الاسم الذي ليس بصفة

---

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (٦٢٨٤)، ومسلم الحديث رقم: (٧٣٥٨).

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾

كقولنا الله.

﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ قيل: معناه النظر إلى وجه الله كقوله: ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ وقيل: يعني ما لم يخطر على قلوبهم كما ورد في الحديث مما يرويه النبي ﷺ عن ربه أنه قال[1]: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر**».

﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ الضمير في هم للقرون المتقدمة، وفي منهم لكفار قريش. ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ أي طافوا فيها وأصله دخولها من أنقابها أو من التنقب عن الأمر بمعنى البحث عنه. ﴿هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾ أي قالوا هل من مهرب من الله، أو من العذاب.

﴿لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ أي قلب واع يعقل ويفهم. ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي استمع وهو حاضر القلب.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ اللغوب الإعياء والتعب.

﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ يعني كفار قريش وغيرهم. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ يحتمل أن يريد التسبيح باللسان، أو يريد الصلاة، وقد ذكر الزمخشري فيه الوجهين وقال ابن عطية: معناه صل بإجماع من المتأولين وهي على هذا إشارة إلى الصلوات الخمس، فقبل طلوع الشمس الصبح، وقبل الغروب الظهر والعصر، ومن الليل

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه الحديث ر قم: (٣٠٧٢)، ومسلم الحديث رقم: (٧٣١١).

المغرب والعشاء، وقيل: هي النوافل.

﴿وَإِدْبَارَ ٱلسُّجُودِ﴾ قال عمر بن الخطاب[١] وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[٢] الركعتين بعد المغرب، وقال ابن عباس[٣] هي النوافل بعد الفرائض، وقيل: الوتر.

﴿وَاسْتَمِعْ﴾ معناه انتظر فهو عامل في يوم يناد على أنه مفعول به صريح، وقيل: المعنى استمع لما نقص عليك من أهوال القيامة، فعلى هذا لا يكون عاملا في يوم يناد فيوقف على استمع، والأول أظهر. ﴿يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ المنادي هنا إسرافيل الذي ينفخ في الصور، وقيل: إنما وصفه بالقرب لأنه يسمعه جميع الخلق، وقيل: المكان صخرة بيت المقدس، وإنما وصفها بالقرب لقربها من مكة، وقيل: لقربها من السماء لأنها أقرب إلى الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا، وهذا ضعيف.

﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ يعني خروج الناس من القبور.

﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ﴾ العامل في هذا الظرف معنى قوله: ﴿حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ أو هو بدل مما قبله.

﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾ أي بقهار تقهرهم على الإيمان كقوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ وقيل: إخبار بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رؤوف بهم غير جبار عليهم، وهذا أظهر. ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ كقوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم﴾ لأنه لا ينفع التذكير إلا فيمن يخاف.

❋❋ ❋❋ ❋❋

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال رقم: (٤٦٢٢).
(٢) المصدر السابق الحديث رقم: (٤٦١٦)، وتفسير السمعاني: ٢٤٨/٥.
(٣) تفسير البحر المحيط: ١٢٨/٨.

سورة الذاريات

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ هي الرياح تذرو التراب وغيره، ومنه قوله تعالى: ﴿تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ وانتصب ذروا على المصدرية.

﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ هي السحاب تحمل المطر، والوقر الحمل وهو مفعول به.

﴿فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا﴾ هي السفن تجري في البحر، وإعراب يسرا صفة لمصدر محذوف، ومعناه: بسهولة.

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ هي الملائكة تقسم أمر الملكوت من الأرزاق والآجال وغير ذلك، وأمرا مفعول به، وقيل: إن الحاملات وقرا السفن، وقيل: جميع الحيوان الحامل، وقيل: إن الجاريات يسرا السحاب، وقيل: الجواري من الكواكب، والأول أشهر وهو قول علي[1] بن أبي طالب.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ هذا جواب القسم، ويحتمل توعدون أن يكون من الوعد أو من الوعيد، والأظهر أنه يراد به البعث في الآخرة، وهو يشمل الوعد والوعيد.

﴿وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ الدين هنا الجزاء وقيل الحساب.

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ أي ذات الطرائق مثل الطرائق التي تكون في الماء إذا هبت عليه الرياح، وكذلك حبك الزرع وهي الطرائق التي فيه، وقيل: الحبك النجوم وقيل زينة السماء، وقيل: حسن خلقتها وواحد الحبك حباك أو حبيكة.

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ يحتمل أن يكون خطابا لجميع الناس لأنهم

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور: ٧/٦١٤.

وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

اختلفوا فمنهم مؤمن ومنهم كافر، ويحتمل أن يكون خطابا للكفار خاصة لأنهم اختلفوا، فقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم شاعر.

﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ﴾ معنى يؤفك يصرف والضمير في عنه يحتمل أربعة أوجه:

أحدها: أن يكون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو للقرآن أو للإسلام، والمعنى يصرف عن الإيمان به من صرف، أي من سبق في علم الله أنه مصروف.

الثاني: أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين والمعنى يصرف عن الأيمان به من صرف.

الثالث: أن يكون الضمير للقول المختلف، والمعنى يصرف عن ذلك القول إلى الإسلام من قضى الله بسعادته وهذا القول حسن؛ إلا أن عرف الاستعمال في أفك ويؤفك إنما هو في الصرف من خير إلى شر، وهذا من شر إلى خير.

الرابع: أن يكون الضمير للقول المختلف وتكون عن سببية والمعنى يصرف بسبب ذلك القول من صرف عن الإيمان.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ دعاء عليهم كقولهم: قاتلك الله، وقيل: قتل بمعنى لعن، قال ابن عطية: واللفظ لا يقتضي ذلك، وقال الزمخشري: أصله الدعاء بالقتل ثم جرى مجرى لعن وقبح، والخراصون الكذابون وأصل الخرص التخمين والقول

بالظن، والإشارة إلى الكفار، وقيل: إلى الكهان، والأول أظهر.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ الغمرة ما يغطى عقل الإنسان، وأصله من غمرة الماء، والمراد به هنا الجهلة والغفلة عن النظر.

﴿يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ أي يقولون: متى يوم الدين؟ على وجه الاستبعاد والاستخفاف.

﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾ هذا جواب عن سؤالهم ومعنى يفتنون يحرقون ويعذبون، ومنه قيل للحرة فتين؛ لأن الشمس أحرقت حجارتها، ويحتمل أن يكون يوم هم معربا والعامل فيه مضمر، تقديره: يقع ذلك يوم هم على النار يفتنون وأن يكون مبنيا لإضافته إلى مبني، وعلى هذا يجوز أن يكون في موضع نصب بالفعل المضمر حسبما ذكرنا أو في موضع رفع، والتقدير: هو يومهم على النار يفتنون.

﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾ أي يقال لهم ذوقوا حرقتكم.

﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ يعني يأخذون في الجنة ما أعطاهم ربهم من الخيرات والنعيم، وقيل: المعنى آخذين في الدنيا ما آتاهم ربهم من شرعه، والأول أظهر وأرجح لدلالة الكلام عليه.

﴿كَانُواْ قَلِيلاً مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ الهجوع النوم وفي معنى الآية قولان: أحدهما: وهو الصحيح، أنهم كانوا ينامون قليلا من الليل ويقطعون أكثر الليل بالسهر في الصلاة والتضرع والدعاء.

والآخر: أنهم كانوا لا ينامون بالليل قليلا ولا كثيرا، ويختلف الإعراب باختلاف المعنيين، فأما على القول الأول ففي الإعراب أربعة أوجه:

الأول: أن يكون قليلا خبر كانوا و﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ فاعل بقليلا لأن قليلا صفة مشبهة باسم الفاعل وتكون ما مصدرية، والتقدير: كانوا قليلا هجوعهم من الليل.

والثاني: مثل هذا إلا أن ما موصولة، والتقدير: كانوا قليلا الذي يهجعون فيه من الليل.

والثالث: أن تكون ما زائدة، وقليلا ظرف والعامل فيه يهجعون والتقدير: كانوا يهجعون وقتا قليلا من الليل.

والرابع: مثل هذا، إلا أن قليلا صفة لمصدر محذوف، والتقدير: كانوا يهجعون هجوعا قليلا، وأما على القول الثاني ففي الإعراب وجهان:

أحدهما: أن تكون ما نافية وقليلا ظرف والعامل فيه يهجعون، والتقدير: كانوا ما يهجعون قليلا من الليل.

والآخر: أن تكون ما نافية وقليلا خبر كان، والمعنى كانوا قليلا في الناس ثم ابتدأ بقوله: ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وكلا الوجهين باطل عند أهل العربية؛ لأن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها، فظهر ضعف هذا المعنى لبطلان إعرابه.

﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي يطلبون من الله مغفرة ذنوبهم، والأسحار آخر الليل وقد جاء في الحديث: أن الله تعالى يقول في الثلث الآخر من الليل «من يستغفرني فأغفر له»[1] وقيل: معنى يستغفرون يصلون، وهذا بعيد من اللفظ.

﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الحق هنا نوافل الصدقات، وقيل: المراد الزكاة، وهذا بعيد؛ لأن الآية مكية وإنما فرضت الزكاة بالمدينة، وقيل: إن الآية منسوخة بالزكاة، وهذا لا يحتاج إليه لأن النسخ إنما يكون مع التعارض ولا تعارض بين الزكاة والنوافل، وتسمية النوافل بالحق كقوله: ﴿حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

---

(١) روى مالك في الموطإ: بسنده عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له» الحديث رقم: (٤٩٨)، والبخاري الحديث رقم: (١٠٩٤)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٧٥٨٢).

وإن كان غير واجب، وقال بعض العلماء: حق سوى الزكاة ورجحه ابن عطية، واختلف الناس في المحروم حتى قال الشعبي[(١)]: أعياني أن أعلم ما المحروم؟ وقيل: المحروم الذي ليس له في بيت المال سهم، وقيل: الذي أجيحت ثمرته، وقيل: الذي ماتت ماشيته، وقيل: هو الكلب، وهذه أمثلة، والمعنى الجامع لها: أن المحروم الذي حرمه الله المال بأي وجه كان.

﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ﴾ إشارة إلى ما في خلقة الإنسان من الآيات والعبر، ولقد قال بعض العلماء فيه: إن فيه خمسة آلاف حكمة، وقال بعضهم: الإنسان نسخة مختصرة من العالم.

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ معنى في السماء رزقكم المطر، وقيل: القضاء والقدر، ويحتمل أن يكون ما توعدون من الوعد والوعيد والكل في السماء، ولذلك قيل يعني الجنة والنار، وقيل: الخير والشر.

﴿إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ هذا جواب القسم والضمير لما تقدم من الآيات أو الرزق أو لما توعدون. ﴿مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ أي حق مثل نطقكم لا يمكن الشك فيه، وما زائدة وقرئ[(٢)] مثل بالنصب والرفع فالرفع صفة لحق والنصب على الحال من حق أو من الضمير المستتر فيه أو صفة لحق وبني لإضافته إلى مبني أو لتركيبه مع ما فيصير نحو أينما وكلما.

﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ المراد بالاستفهام في مثل هذا التفخيم والتهويل، وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين جاؤوا ليبشروه بالولد وبإهلاك قوم لوط، ووصفهم بالمكرمين لأنهم مكرمون عند الله، ولأن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أكرمهم لأنه خدمهم بنفسه، وعجل لهم الضيافة، والعامل في ﴿إِذْ دَخَلُوا﴾

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٢/٤١٨، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٧/٤١٩.

(٢) ﴿مثل ما﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب. النشر: ٢/٤١٦.

على هذا المكرمين، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكر

﴿فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ﴾ نصب هذا لأنه في معنى الطلب وهو مفعول بفعل مضمر ورفع الثاني لأنه خبر تقديره أمري سلام، وهذا على أن يكون السلام بمعنى السلامة، وإن كان بمعنى التحية فإنما رفع الثاني ليدل على إثبات السلام فيكون قد حياهم بأكثر مما حيوه، وينتصب السلام الأول على هذا على المصدرية، تقديره سلمنا عليك سلاما، ويرتفع الثاني بالابتداء تقديره: سلام عليكم قوم منكرون، أي لم يعرفهم.

﴿قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يحتمل أن يكون ألا حضا على الأكل، أو تكون الهمزة للإنكار دخلت على لا النافية.

﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۖ﴾ إنما خاف منهم لما لم يأكلوا. ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ هو إسحاق عَلَيْهِ السَّلَامُ لقوله: ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾.

﴿فِي صَرَّةٍ﴾ أي صيحة وذلك قولها: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ﴾ وهو من صر القلم وغيره إذا صوت، وقيل: معناه في جماعة من النساء. ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ أي ضربته حياء منهم، وتعجبا من ولادتها وهي عجوز. ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تقديره: قالت أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟ أو تقديره: أتلد عجوز عقيم؟.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ أي ما شأنكم وخبركم والخطب أكثر ما يقال في الشدائد.

﴿قَالُواْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ يعني قوم سيدنا لوط، وقد ذكرنا الحجارة ومسومة في هود.

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الضمير المجرور لقرية قوم سيدنا لوط؛ لأن الكلام يدل عليها وإن لم يتقدم ذكرها، والمراد بالمؤمنين لوط وأهله، أمرهم

حزب

• قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥١﴾

الله بالخروج من القرية لينجوا من العذاب الذي أصاب أهلها، ووصفهم بالمؤمنين وبالمسلمين لأنهم جمعوا الوصفين، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان في الأحزاب.

﴿وَفِي مُوسَىٰ﴾ معطوف على قوله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ أو على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً﴾.

﴿فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِ﴾ معنى تولى أعرض عن الإيمان، وركنه سلطانه وقوته. ﴿وَقَالَ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ أي قالوا إن موسى ساحر أو مجنون فأو للشك أو للتقسيم، وقيل: بمعنى الواو وهذا ضعيف، ولا يستقيم هنا.

﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي فعل ما يلام عليه يعني فرعون.

﴿الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وصفها بالعقم لأنها لا بركة فيها من إنشاء المطر أو إلقاح الشجر.

﴿كَالرَّمِيمِ﴾ أي الفاني المنقطع، والعموم هنا يراد به الخصوص فيما أذن للريح أن تهلكه.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن الحين هي الثلاثة الأيام بعد عقرهم الناقة.

والآخر: أن الحين من بعد ما بعث صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حين هلاكهم، وعلى هذا يكون ﴿فَعَتَوْا﴾ مرتبا بعد تمتعهم، وأما على الأول فيكون إخبارا عن حالهم،

غير مرتب على ما قبله.

﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ يعني الصيحة التي صاحها جبريل. ﴿وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ أي يعاينونها لأنها كانت بالنهار.

﴿وَالسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾ أي بقوة وانتصاب السماء بفعل مضمر. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه قادرون، فهو من الوسع وهو الطاقة، ومنه ﴿عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ﴾ أي القوي على الإنفاق.

والآخر: جعلنا السماء واسعة أو جعلنا بينها وبين الأرض سعة.

والثالث: أوسعنا الأرزاق بمطر السماء.

﴿فَنِعْمَ الْمَـٰهِدُونَ﴾ الماهد الموطئ للموضع.

﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي نوعين مختلفين كالليل والنهار والسواد والبياض والصحة والمرض وغير ذلك.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى اللَّهِ﴾ أمر بالرجوع إليه بالتوبة والطاعة، وفي اللفظ تحذير وترهيب.

﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ توقيف وتعجيب أي هم بمثابة من أوصى بعضهم بعضا أن يقول ذلك.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ﴾ أي قد بلغت الرسالة فلا لوم عليك.

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ قيل: معناه خلقتهم لكي آمرهم بعبادتي، وقيل: ليتذللوا لي فإن جميع الإنس والجن متذلل.



﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ﴾ أي ما أريد أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم. ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾ أي لا أريد أن يطعمون لأني منزه عن الأكل وعن صفات البشر وأنا غني عن العالمين، وقيل: المعنى ما أريد أن يطعموا عبيدي فحذف المضاف تجوزا، وقيل: معناه ما أريد أن ينفعوني لأني غني عنهم وعبر عن النفع العام بالإطعام، والأول أظهر.

﴿الْمَتِينُ﴾ أي الشديد القوة.

﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا﴾ الذنوب: النصيب ويريد به هنا نصيبا من العذاب، وأصل الذنوب الدلو والمراد بالذين ظلموا كفار قريش وبأصحابهم من تقدم من الكفار.

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يحتمل أن يريد يوم القيامة أو يوم هلاكهم ببدر، والأول أرجح لقوله في المعارج: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة.

❋❋ ❋❋ ❋❋

سورة الطور

﴿وَالطُّورِ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: الطور كل جبل فكأنه أقسم بجنس الجبال. ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: القرآن، وقيل: صحائف الأعمال.

﴿فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ الرق في اللغة الصحيفة، وخصصت في العرف بما كان من جلد، والمنشور خلاف المطوي.

﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ هو بيت في السماء السابعة(١) يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدا، وبهذا عمرانه وهو حيال الكعبة، وقيل: البيت المعمور الكعبة وعمرانها بالحجاج والطائفين، والأول أظهر وهو قول علي وابن عباس(٢).

﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ يعني السماء.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ هو بحر الدنيا وقيل بحر في السماء تحت العرش،

---

(١) قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا روح بن جناح، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «في السماء السابعة بيت يقال له: «المعمور»؛ بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له: «الحيوان» يدخله جبريل كل يوم، فينغمس فيه انغماسة، ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور، فيصلوا فيه فيفعلون، ثم يخرجون فلا يعودون إليه أبدا، ويولي عليهم أحدهم، يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة» هذا حديث غريب جدا، تفرد به روح بن جناح هذا، وهو القرشي الأموي مولاهم أبو سعد الدمشقي، وقد أنكر هذا الحديث عليه جماعة من الحفاظ منهم: الجوزجاني، والعقيلي، والحاكم أبو عبد الله النيسابوري، وغيرهم. قال الحاكم: لا أصل له من حديث أبي هريرة، ولا سعيد، ولا الزهري، تفسير ابن كثير: ٤٢٨/٧، وذكره الثعلبي النيسابوري في الكشف والبيان: ١٣٤/٩ بدون ذكر سند وبدون رفع.

(٢) المحرر الوجيز: ١٦٧/٥.

أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا
تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ
ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ
وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم
بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ
أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ
ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا
يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾
۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا
مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا
مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ
رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ
ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

ربع

والأول أظهر وأشهر ومعنى المسجور المملوء ماء، وقيل: الفارغ من الماء، ويروى: أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة واللغة تقتضي الوجهين؛ لأن اللفظ من الأضداد، وقيل: معناه الموقد نارا، من قولك: سجرت التنور، واللغة أيضا تقتضي هذا، وروي: أن جهنم في البحر.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ هذا جواب القسم ويعني عذاب الآخرة.

﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ أي تجيء وتذهب، وقيل: تدور، وقيل: تتشقق والعامل في الظرف واقع ودافع أو محذوف.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ﴾ الخوض التخبط في الأباطيل شبه بخوض الماء.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ﴾ أي يدفعون بتعنيف، ويوم بدل من الظرف المتقدم.

﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا﴾ توبيخ للكفار على ما كانوا يقولونه في الدنيا من أن القرآن سحر. ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ توبيخ أيضا لهم وتهكم بهم، أي هل أنتم لا تبصرون هذا العذاب الذي حل بكم كما كنتم في الدنيا لا تبصرون الحقائق؟.

﴿فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟﴾ ليس المراد بذلك الأمر بالصبر ولا النهي عنه، وإنما المراد التسوية بين الصبر وعدمه في أن كل واحد من الحالين لا ينفعهم ولا يخفف عنهم شيئا من العذاب. ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ هذا تعليل لما ذكر

من عذابهم وليس تعليلا للصبر ولا لعدمه، كما قال بعض الناس.

﴿فَٰكِهِينَ﴾ يحتمل أن يكون معناه أصحاب فاكهة فيكون نحو: لابن وتامر أو يكون من الفكاهة بمعنى السرور. ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ معطوف على قوله: ﴿فِي جَنَّٰتٍ﴾ أو على ﴿ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ﴾ أو تكون الواو للحال.

﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ أي يقال لهم كلوا. ﴿هَنِيٓـًٔا﴾ صفة لمصدر محذوف، تقديره: كلوا أكلا هنيئا، ويحتمل أن يكون وقع موقع فعل تقديره: هنأكم الأكل والشرب.

﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ الحور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين وسواد سوادها، والعين جمع عيناء وهي الكبيرة العينين مع جمالها، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿بِحُورٍ﴾ لأنه تضمن قوله: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم﴾ معنى قرناهم قاله الزمخشري، وقال: إن الذين آمنوا معطوف على بحور عين، أي قرناهم بحور للتلذذ بهن وبالذين آمنوا للأنس معهم، والأظهر أن الكلام تم في قوله: ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ ويكون والذين آمنوا مبتدأ خبره ألحقنا.

﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ معنى الآية ما ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ قال[1]: **«إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته في الجنة وإن كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه»** فذلك كرامة للأبناء بسبب الآباء، قيل: إن ذلك في الأولاد الذين ماتوا صغارا، وقيل: على الإطلاق في الأبناء المؤمنين، وبإيمان في موضع الحال من الذرية، والمعنى أنهم اتبعوا آباءهم في الإيمان، وقال الزمخشري: إن هذا المجرور يتعلق بألحقنا، والمعنى عنده بسبب الإيمان ألحقنا بهم ذريتهم، والأول أظهر **فإن قيل**: لم قال

---

(١) الدر المنثور: ٦٣٢/٧، وهو في تفسير البغوي موقوف على ابن عباس: ٣٨٩/٧، وكذلك في المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٣٧٤٤)، وسكت عنه الذهبي.

بإيمان بالتنكير؟ فالجواب: أن المعنى بشيء من الإيمان لم يكونوا به أهلا لدرجة آبائهم، ولكنهم لحقوا بهم كرامة للآباء، فالمراد تقليل إيمان الذرية ولكنه رفع درجتهم، فكيف إذا كان إيمانا عظيما؟. ﴿وَمَا أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أي ما أنقصناهم من ثواب أعمالهم بل وفينا لهم أجورهم، وقيل: المعنى ألحقنا ذريتهم بهم وما نقصناهم شيئا من ثواب أعمالهم بسبب ذلك، بل فعلنا ذلك تفضلا زيادة إلى ثواب أعمالهم، والضمير على القولين يعود على الذين آمنوا، وقيل: إنه يعود على الذرية. ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أي مرتهن فإما أن تنجيه حسناته وإما أن تهلكه سيئاته.

﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ﴾ الإمداد هو الزيادة مرة بعد مرة.

﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ أي يتعاطونها إذ هم جلساء على الشراب. ﴿لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ اللغو الكلام الساقط، والتأثيم الذنب، فهي بخلاف خمر الدنيا.

﴿غِلْمَانٌ لَّهُمْ﴾ يعني خدامهم. ﴿كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ اللؤلؤ الجوهر، والمكنون: المصون وذلك لحسنه، وقيل: هو الذي لم يخرج من الصدف.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ أي كنا في الدنيا خائفين من الله، والإشفاق: شدة الخوف.

﴿السَّمُومِ﴾ أشد الحر، وقيل: هو من أسماء جهنم.

﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى نعبده، أو من الدعاء بمعنى الرغبة، ومن قبل يعنون في الدنيا قبل لقاء الله. ﴿إِنَّهُۥ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ البر الذي يبر عباده ويحسن إليهم وقرئ[1] أنه بفتح الهمزة على أن يكون مفعولا من

---

(١) قرأ ﴿أنه﴾ بفتح الألف نافع والكسائي وأبو جعفر والحسن وأبو نوفل أي من أجل أنه، وقرأ باقي السبعة والأعرج وجماعة: ﴿إنه﴾ على القطع والاستئناف. التيسير، ص: ١٣١، والمحرر الوجيز: ٥/١٧١.

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ۞ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

ثمن

أجله، أو يكون هذا اللفظ هو المدعو به وقرئ بكسرها على الاستئناف.

﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ، أي ذكر الناس ثم نفى عنه ما نسبه إليه الكفار من الكهانة والجنون، ومعنى بنعمة ربك بسبب إنعام الله عليك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ أم في هذا الموضع وفيما بعده للاستفهام بمعنى الإنكار، والتربص الانتظار، وريب المنون: حوادث الدهر، وقيل: الموت، وكانت قريش قد قالت إنما هو شاعر ننتظر به ريب المنون؛ فيهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء كزهير والنابغة.

﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمر على وجه التهديد.

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُم بِهَٰذَا﴾ الأحلام العقول أي كيف تأمرهم عقولهم بهذا والإشارة إلى قولهم هو شاعر أو إلى ما هم عليه من الكفر والتكذيب وإسناد الأمر إلى الأحلام مجاز كقوله: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ﴾. ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أم هنا بمعنى بل، ويحتمل أن تكون بمعنى بل وهمزة الاستفهام بمعنى الإنكار كما هي في هذه المواضع كلها.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ أي اختلقه من تلقاء نفسه وضمير الفاعل لرسول الله ﷺ وضمير المفعول للقرآن.

﴿فَلْيَأْتُواْ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ﴾ رد عليهم وإقامة حجة عليهم والأمر هنا للتعجيز.

﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه أم خلقوا من غير رب أنشأهم واستعبدهم، فهم من أجل ذلك لا يعبدون الله.

الثاني: أم خلقوا من غير أب ولا أم كالجمادات فهم لا يؤمرون ولا ينهون كحال الجمادات.

الثالث: أم خلقوا من غير أن يحاسبوا ولا يجازوا بأعمالهم، فهو على هذا كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾.

﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ معناه أهم الخالقون لأنفسهم بحيث لا يعبدون الخالق، وقيل: أهم الخالقون للمخلوقات بحيث يتكبرون؟.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ﴾ المعنى أعندهم خزائن الله بحيث يستغنون عن عبادته، وقيل: أعندهم خزائن الله بحيث يعطون من شاؤوا ويمنعون من شاؤوا، ويخصون بالنبوءة من شاءوا. ﴿أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ أي الأرباب الغالبون، وقيل: المسيطر المسلط القاهر.

﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ يعني أم لهم سلم يصعدون به إلى السماء فيسمعون ما تقول الملائكة بحيث يعلمون صحة دعواهم ثم عجزهم بقوله: ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾ أي بحجة واضحة على دعواهم.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ معناه أتسألهم عن الإسلام أجرة فيثقل عليهم غرمها فيشق عليهم اتباعك.

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ المعنى أعندهم علم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وإن بعثنا لا نعذب، وقيل: المعنى فهم يكتبون

للناس سننا وشرائع من عبادة الأصنام، وتسييب السوائب، وشبه ذلك.

﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ إشارة إلى كيدهم في دار الندوة بالنبي ﷺ، حيث تشاوروا في قتله أو إخراجه. ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ أي المغلوبون في الكيد، والذين كفروا يعني من تقدم الكلام فيهم، وهم كفار قريش، فوضع الظاهر موضع المضمر، ويحتمل أن يريد جميع الكفار.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ المعنى: هل لهم إله غير الله يعصمهم من عذاب الله ويمنعهم منه؟ وحصر الله في هذه الآية جميع المعاني التي توجب التكبر والبعد من الدخول في الإسلام، ونفاها عنهم؛ ليبين أن تكبرهم من غير موجب وكفرهم من غير حجة.

﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ كانوا قد طلبوا أن ينزل عليهم كسفا من السماء، فالمعنى: أنهم لو رأوا الكسف ساقطا عليهم لبلغ بهم الطغيان والجهل والعناد أن يقولوا ليس بكسف وإنما هو سحاب مركوم، أي كثيف بعضه فوق بعض.

﴿فَذَرْهُمْ﴾ منسوخ بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يعني يوم القيامة، والصعقة فيه هي النفخة الأولى، وقيل: غير ذلك والصحيح ما ذكرنا لقوله في المعارج عن يوم القيامة: ﴿ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

﴿عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ يعني قتلهم يوم بدر، وقيل: الجوع بالقحط، وقيل: عذاب القبر.

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي اصبر على تكذيبهم لك وإمهالنا لهم فإنا نراك. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه قول سبحان الله، ومعنى حين تقوم من كل مجلس، وقيل: أراد

حين تقوم وتقعد وفي كل حال، وجعل القيام مثالا.

الثاني: أنه الصلوات النوافل.

والثالث: أنه الصلوات الفرائض فـ ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ الظهر والعصر، أي حين تقوم من نوم القائلة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَإِدْبَارَ ٱلنُّجُومِ﴾ الصبح، ومن قال هي النوافل جعل إدبار النجوم ركعتي الفجر.

❁❁ ❁❁ ❁❁

سورة النجم

سُورَةُ النَّجْمِ — ترتيبها ٥٣ — آياتها ٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾

ربع

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الثريا لأنها غلب عليها التسمية بالنجم، ومعنى هوى غرب وانتثر يوم القيامة.

الثاني: أنه جنس النجوم ومعنى هوى كما ذكرنا، أو انقضت ترجم الشياطين.

الثالث: أنه من نجوم القرآن وهي الجملة التي تنزل، وهوى على هذا معناه نزل.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ هذا جواب القسم، والخطاب لقريش، وصاحبكم هو النبي ﷺ، فنفى عنه الضلال والغي، والفرق بينهما أن الضلال بغير قصد، والغي بقصد وتكسب.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ أي ليس يتكلم بهواه وشهوته، إنما يتكلم بما يوحي الله إليه.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ يعني القرآن. ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾ ضمير المفعول للقرآن أو للنبي ﷺ، والشديد القوى جبريل، وقيل: الله تعالى، والأول أرجح لقوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ﴾ والقوى جمع قوة.

﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوة، وقيل: ذو هيئة حسنة، والأول هو الصحيح في اللغة ﴿فَاسْتَوَىٰ﴾ أي استوى جبريل في الجو إذ رآه النبي ﷺ وهو بحراء، وقيل:

معنى استوى ظهر في صورته على ستمائة جناح قد سد الأفق، بخلاف ما كان يتمثل به من الصور إذا نزل بالوحي، وكان ينزل في صورة دحية[١].

﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ الضمير لجبريل، وقيل: لسيدنا محمد ﷺ والأول أصح.

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ الضميران لجبريل أي دنا من سيدنا محمد ﷺ فتدلى في الهواء وهو عند بعضهم من المقلوب تقديره فتدلى فدنا.

﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ القاب مقدار المسافة، أي كان جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام في القرب بمقدار قوسين عربيتين، ومعناه من طرف العود إلى الطرف الآخر، وقيل: من الوتر إلى العود، وقيل: ليس القوس التي يرمي بها، وإنما هي ذراع تقاس بها المقادير، ذكره الثعالبي[٢]، وقال: إنه من لغة أهل الحجاز، وتقدير الكلام فكان مقدار مسافة جبريل من سيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام مثل مسافة قوسين، ثم حذفت هذه المضافات ومعنى ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أو أقرب وأو هنا مثل قوله: ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ وأشبه التأويلات فيها أنه إذا نظر إليه البشر احتمل عنده أن يكون قاب قوسين، أو يكون أدنى، وهذا الذي ذكرنا أن هذه الضمائر المتقدمة لجبريل هو الصحيح، وقد ورد ذلك عن رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح[٣] وقيل: إنها لله تعالى، وهذا القول يرد عليه الحديث والعقل إذ يجب تنزيه الله تعالى عن تلك الأوصاف من الدنو والتدلي وغير ذلك.

﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَا أَوْحَىٰ﴾ في هذه الضمائر ثلاثة أقوال:

الأول: أن المعنى أوحى الله إلى عبده محمد ﷺ ما أوحى.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند الحديث رقم: (٥٨٥٧)، والنسائي في السنن الكبرى الحديث رقم: (١١٧٢٢) وقال الألباني: صحيح.

(٢) في تفسيره الكشف والبيان: ٩/١٥٤.

(٣) صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٥٩).

الثاني: أوحى الله إلى عبده جبريل ما أوحى وعاد الضمير على الله في القولين؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكره فهو كقوله: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَٰهُ فِي لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾.

الثالث: أوحى جبريل إلى عبد الله محمد ما أوحى وفي قوله: ﴿مَآ أَوْحَىٰٓ﴾ إبهام مراد يقتضي التفخيم والتعظيم.

﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ أي ما كذب فؤاد محمد ﷺ ما رآه بعينه، بل صدق بقلبه أن الذي رآه بعينه حق، والذي رأى هو جبريل يعني حين رآه بمقدار ملأ الأفق، وقيل: رأى ملكوت السموات والأرض، والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وقيل: الذي رآه هو الله تعالى، وقد أنكرت ذلك عائشة[1] وسئل رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك؟ فقال: نور، أنى أراه؟[2].

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ هذا خطاب لقريش والمعنى أتجادلونه على ما يرى وكانت قريش قد كذبت لما قال إنه رأى ما رأى.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ هذا لقد رأى محمد جبريل عليهما الصلاة والسلام مرة أخرى وهو ليلة الإسراء، وقيل: ضمير المفعول لله تعالى، وأنكرت ذلك عائشة، وقالت: من زعم أن محمدا رأى ربه ليلة الإسراء فقد أعظم الفرية على الله تعالى[3].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه الحديث رقم: (٣٢٧٨) جامع الأصول في أحاديث الرسول: ٢/٣٧٠.

(٢) في صحيح مسلم: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ يَزِيدَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»؟ الحديث رقم: (٤٦١)، والترمذي الحديث رقم: (٣٢٨٢)، وأخرجه أبو داود الحديث رقم: (٢٤١٥).

(٣) تقدم قبل قليل.

﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة في السماء السابعة، قال رسول الله ﷺ[١]: ثمرتها كالقلال وورقها كآذان الفيلة، وسميت سدرة المنتهى لأن إليها ينتهي علم كل عالم، ولا يعلم ما وراءها إلا الله تعالى، وقيل: سميت بذلك لأن ما نزل من أمر الله يلتقي عندها فلا يتجاوزها ملائكة العلو إلى أسفل ولا يتجاوزها ملائكة السفل إلى أعلى.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ يعني أن الجنة التي وعدها الله عباده هي عند سدرة المنتهى، وقيل: هي جنة أخرى تأوي إليها أرواح الشهداء، والأول أظهر وأشهر.

﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ فيه إبهام لقصد التعظيم قال ابن مسعود[٢] غشيها فراش من ذهب، وقيل: كثرة الملائكة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال[٣]: «فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟» وهذا أولى أن تفسر به الآية.

﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ أي ما زاغ بصر سيدنا محمد ﷺ عما رآه من العجائب، بل أثبتها وتيقنها، وما طغى أي ما تجاوز ما رأى إلى غيره.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ يعني ما رأى ليلة الإسراء من السموات والجنة والنار والملائكة والأنبياء وغير ذلك، ويحتمل أن تكون الكبرى مفعولا أو نعتا لآيات ربه، والمعنى يختلف على ذلك.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ هذه أوثان كانت تعبد من دون الله، فخاطب الله من كان يعبدها من العرب على وجه التوبيخ لهم، وقال ابن عطية: الرؤيا هنا رؤية العين؛ لأن الأوثان المذكورة أجرام مرئية، فأما اللات:

---

(١) مسلم في صحيحه الحديث رقم: (٤٢٩)، والمسند الحديث رقم: (١٢٥٢٧)، ومصنف ابن أبي شيبة: ١٤/٣٠٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥/٣٠، وزاد المسير لابن الجوزي: ٨/٧٠.

(٣) البخاري الحديث رقم: (٣١٦٤)، ومسلم الحديث رقم: (٤٣٣).

فصنم كان بالطائف، وقيل: كان بالكعبة. وأما العزى: فكانت صخرة بالطائف، وقيل: شجرة، فبعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد[1] فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها بالسيف حتى قتلها، وقيل: كانت بيتا تعظمه العرب، وأصل لفظ العزى مؤنثة الأعز. وأما مناة فصخرة كانت لهذيل وخزاعة بين مكة والمدينة، وكانت أعظم هذه الأوثان، قال ابن عطية: ولذلك قال تعالى: ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ فأكدها بهاتين الصفتين، وقال الزمخشري: الأخرى ذم وتحقير، أي المتأخرة الوضيعة القدر، ومنه: ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ﴾.

﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾ كانوا يقولون: إن الملائكة وهذه الأوثان بنات الله، فأنكر الله عليهم ذلك، أي كيف تجعلون لأنفسكم الأولاد الذكور وتجعلون لله البنات التي هي عندكم حقيرة بغيضة، وقد ذكر هذا المعنى في النحل وغيرها، ويحتمل أن يكون أنكر عليهم جعل هذه الأوثان شركاء لله تعالى مع أنهن إناث، والإناث حقيرة بغيضة عندهم.

﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ أي هذه القسمة التي قسمتم جائرة غير عادلة، يعني: جعلهم الذكور لأنفسهم والإناث لله تعالى، ووزن ضيزى فعلى بضم الفاء ولكنها كسرت لأجل الياء التي بعدها.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ﴾ الضمير للأوثان، وقد ذكر هذا المعنى في الأعراف في قوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ﴾. ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يعني أنهم يقولون أقوالا بغير حجة، كقولهم: إن الملائكة بنات الله، وقولهم: إن الأصنام تشفع لهم وغير ذلك.

﴿أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ﴾ أم هنا للإنكار، والإنسان هنا جنس بني آدم، أي ليس لأحد ما يتمنى، بل الأمر بيد الله، وقيل: إن الإشارة إلى ما طمع فيه الكفار

---

(١) البغوي في معالم التنزيل: ٤٠٨/٧، والسراج المنير: ٨٥/٤.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴿٣١﴾ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾

من شفاعة الأصنام، وقيل: إلى قول العاصي بن وائل: لأوتين مالا وولدا، وقيل: هو تمني بعضهم أن يكون نبيئا، والأحسن حمل اللفظ على إطلاقه.

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ الآية رد على الكفار في قولهم: إن الأوثان تشفع لهم، كأنه يقول: الملائكة الكرام لا تغني شفاعتهم شيئا إلا بإذن الله، فكيف أوثانكم؟. ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ معناه أن الملائكة لا يشفعون لشخص إلا بعد أن يأذن الله لهم في الشفاعة فيه ويرضى عنه.

﴿لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ﴾ يعني قولهم إن الملائكة بنات الله، ثم رد عليهم بقوله: ﴿وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ﴾ أي إلى ذلك انتهى علمهم لأنهم علموا ما ينفع في الدنيا، ولم يعلموا ما ينفع في الآخرة.

﴿لِيَجْزِيَ﴾ اللام متعلقة بمعنى ما قبلها، والتقدير: أن الله ملك أمر السموات والأرض ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وقيل: يتعلق بضل واهتدى.

﴿كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ ذكرنا الكبائر في النساء. ﴿إِلَّا اللَّمَمَ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أنه صغائر الذنوب فالاستثناء على هذا منقطع.

الثاني: أنه الإلمام بالذنوب على وجه الفلتة والسقطة دون دوام عليها.

الثالث: أنه ما ألموا به في الجاهلية من الشرك والمعاصي.

الرابع: أنه الهم بالذنوب وحديث النفس به دون أن يفعل.

﴿أَجِنَّةٌ﴾ جمع جنين. ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ﴾ أي لا تنسبوا أنفسكم إلى الصلاح والخير، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون نهيا عن أن يزكي بعض الناس بعضا، وهذا بعيد؛ لأنه تجوز التزكية في الشهادة وغيرها.

﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ الآية نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: نزلت في العاصي بن وائل.

﴿وَأَكْدَىٰ﴾ أي قطع العطاء وأمسك.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ﴾ قيل: في طاعة الله في ذبح ولده، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ تبليغ الرسالة، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ شرائع الإسلام، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ الكلمات التي ابتلاه الله بهن، وقيل: ﴿وَفَّىٰ﴾ هذه العشر الآيات.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ ذكر فيما تقدم، وهذه الجملة تفسير لما في صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ السعي هنا بمعنى العمل، وظاهرها أنه لا ينتفع أحد بعمل غيره، وهي حجة لمالك في قوله: لا يصوم أحد عن وليه إذا مات وعليه صيام، واتفق العلماء على أن الأعمال المالية كالصدقة والعتق يجوز أن يفعلها الإنسان عن غيره ويصل نفعها إلى من فعلت عنه، واختلفوا في الأعمال البدنية كالصلاة والصيام، وقيل: إن هذه الآية منسوخة بقوله: ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ والصحيح أنها محكمة لأنها خبر، والأخبار لا تنسخ وفي تأويلها ثلاثة أقوال:

الأول: أنها إخبار عما كان في شريعة غيرنا فلا يلزم في شريعتنا.

الثاني: أن للإنسان ما عمل بحق وله ما عمل له غيره بهبة العامل له، فجاءت الآية في إثبات الحقيقة دون ما زاد عليها.

الثالث: أنها في الذنوب وقد اتفق أنه لا يحتمل أحد ذنب أحد، ويدل على هذا قوله بعدها.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ وكأنه يقول: لا يؤاخذ أحد بذنب غيره، ولا يؤاخذ إلا بذنب نفسه.

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ قيل: معناه يراه الخلق يوم القيامة، والأظهر أنه صاحبه لقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾.

﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه إلى الله المصير في الآخرة.

والآخر: أن معناها أن العلوم تنتهي إلى الله ثم يقف العلماء عند ذلك، وروي: أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال[1]: «لا فكرة في الرب».

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ قيل: معناه أضحك أهل الجنة وأبكى أهل النار، وهذا تخصيص لا دليل عليه، وقيل: أبكى السماء بالمطر وأضحك الأرض بالنبات، وهذا مجاز، وقيل: خلق في بني آدم الضحك والبكاء، والصحيح أنه عبارة عن الفرح والحزن؛ لأن الضحك دليل على السرور والفرح، كما أن البكاء دليل على الحزن، فالمعنى: أن الله تعالى أحزن من شاء من عباده، وأسر من شاء.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ يعني الحياة المعروفة والموت المعروف، وقيل: أحيا بالإيمان وأمات بالكفر، والأول أرجح لأنه حقيقة.

---

(١) معالم التنزيل: ٤١٧/٧، وابن كثير في تفسيره: ٤٦٦/٧.

وَأَنَّهُۥ خَلَقَ اَ۬لزَّوْجَيْنِ اِ۬لذَّكَرَ وَالْأُنث۪ىٰ (٤٥) مِن نُّطْفَةٍ اِذَا تُمْن۪ىٰ (٤٦)
• وَأَنَّ عَلَيْهِ اِ۬لنَّشْأَةَ اَ۬لْأُخْر۪ىٰ (٤٧) وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْن۪ىٰ وَأَقْن۪ىٰ (٤٨) وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ
اُ۬لشِّعْر۪ىٰ (٤٩) وَأَنَّهُۥ أَهْلَكَ عَاداً اَ۬لْأُولَىٰ (٥٠) وَثَمُوداً فَمَا أَبْق۪ىٰ (٥١)
وَقَوْمَ نُوحٖ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغ۪ىٰ (٥٢) وَالْمُوتَفِكَةَ
أَهْو۪ىٰ (٥٣) فَغَشّ۪ىٰهَا مَا غَشّ۪ىٰ (٥٤) فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَار۪ىٰ (٥٥)
• هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ اَ۬لنُّذُرِ اِ۬لْأُول۪ىٰ (٥٦) أَزِفَتِ اِ۬لْأٓزِفَةُ (٥٧) لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ
اِ۬للَّهِ كَاشِفَةٌ (٥٨) أَفَمِنْ هَٰذَا اَ۬لْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا
تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ وَاعْبُدُواْ (٦٢)

سُورَةُ الْقَمَرِ

بِسْمِ اِ۬للَّهِ اِ۬لرَّحْمَٰنِ اِ۬لرَّحِيمِ

اِ۪قْتَرَبَتِ اِ۬لسَّاعَةُ وَانشَقَّ اَ۬لْقَمَرُ (١) وَإِن يَّرَوْاْ ءَايَةٗ يُعْرِضُواْ
وَيَقُولُواْ سِحْرٞ مُّسْتَمِرّٞ (٢) وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُواْ أَهْوَآءَهُمْ
وَكُلُّ أَمْرٖ مُّسْتَقِرّٞ (٣) وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ اَ۬لْأَنۢبَآءِ
مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٤) حِكْمَةُۢ بَٰلِغَةٞ فَمَا تُغْنِ اِ۬لنُّذُرُ (٥)
فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ اُ۬لدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٖ نُّكُرٍ (٦)

﴿مِن نُّطْفَةٍ﴾ يعني المني.

﴿إِذَا تُمْنَىٰ﴾ من قولك: أمنى الرجل إذا خرج منه المني.

﴿اَلنَّشْأَةَ اَ۬لْأُخْرَىٰ﴾ يعني الإعادة للحشر.

﴿وَأَقْنَىٰ﴾ يعني أكسب عباده المال وهو من قنية المال وهو كسبه وادخاره، وقيل: معنى أقنى أفقر وهذا لا تقتضيه اللغة، وقيل: معناه أرضى، وقيل: قنع عبده.

﴿اُ۬لشِّعْرَىٰ﴾ نجم في السماء وتسمى كلب الجبار، وهما شعريان وهما الغميصاء والعبور، وخصها بالذكر دون سائر النجوم؛ لأن بعض العرب كان يعبدها.

﴿عَاداً اَ۬لْأُولَىٰ﴾ وصفها بالأولى لأنها كانت في قديم الزمان، فهي الأولى بالإضافة إلى الأمم المتأخرة، وقيل: إنما سميت أولى لأن ثم عادا أخرى متأخرة وهذا لا يصح، وقرأ نافع[1] عادا الأولى بإدغام تنوين عادا في لام الأولى بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، وضعف المزني والمبرد هذه القراءة، وهمز قالون الأولى دون ورش، وقرأ الباقون على الأصل بكسر تنوين عادا وإسكان لام الأولى.

---

(١) قال الداني: نافع وأبو عمرو ﴿عادا الأولى﴾ بضم اللام بحركة الهمزة وإدغام النون فيها وأتى قالون بعد ضمة اللام بهمزة ساكنة في موضع الواو، والباقون يكسرون التنوين ويسكنون اللام ويحققون الهمزة بعدها. التيسير، ص: ١٣١، وانظر إتحاف فضلاء البشر، ص: ٥٢٣.

﴿وَثَمُودَاْ فَمَا أَبْقَىٰ﴾ أي ما أبقى منهم أحدا، وقيل: ما أبقى عليهم.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ۝ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾ هي مدينة قوم لوط، ومعنى أهوى طرحها من علو إلى أسفل، وفي قوله: ﴿مَا غَشَّىٰ﴾ تعظيم للأمر.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾ هذا مخاطبة للإنسان على الإطلاق معناه بأي نعم ربك تشك.

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ﴾ يعني القرآن أو النبي ﷺ، ومعنى من النذر الأولى من نوعها وصفتها.

﴿أَزِفَتِ الْأَزِفَةُ﴾ أي قربت القيامة.

﴿كَاشِفَةٌ﴾ يحتمل لفظة ثلاثة أوجه: أن يكون مصدرا كالعافية، أي ليس لها كشف، وأن يكون بمعنى كاشف والتاء للمبالغة كعلامة، وأن يكون صفة لمحذوف، تقديره: نفس كاشفة، أو جماعة كاشفة، ويحتمل معناه وجهين:

أحدهما: أن يكون من الكشف بمعنى الإزالة، أي ليس لها من يزيلها إذا وقعت.

والآخر: أن يكون بمعنى الاطلاع أي ليس لها من يعلم وقتها إلا الله.

﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ الإشارة إلى القرآن، وتعجبهم منه إنكاره.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ أي لاعبون لاهون، وقيل: غافلون مفرطون.

﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره، وقد قال ابن مسعود[1] قرأها رسول الله ﷺ فسجد وسجد كل من كان معه.

---

(١) قال البخاري في تفسير سورة النجم: حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي ﷺ بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس البخاري الحديث رقم: (٤٥٨١)، والسنن الكبرى للنسائي: ٦/٤٧٥.

سورة القمر

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ أي قربت القيامة، ومعنى قربها أنها بقي لها من الزمان قليل بالنسبة إلى ما مضى، ولذلك قال رسول الله ﷺ[١]: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار بالسبابة والوسطى. ﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ هذا إخبار بما جرى في زمان رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشا سألته آية فأراهم انشقاق القمر، فقال ﷺ[٢] اشهدوا، وقال ابن مسعود انشق القمر[٣] فرأيته فرقتين فرقة وراء الجبل وأخرى دونه، وقيل: معنى انشق القمر أنه ينشق يوم القيامة، وهذا قول باطل ترده الأحاديث الصحيحة الواردة بانشقاق القمر، وقد اتفقت الأمة على وقوع ذلك وعلى تفسير الآية بذلك إلا من لا يعتبر قوله.

﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ هذه الضمائر لقريش، والآية المشار إليها انشقاق القمر، وعند ذلك قالت قريش: سحر محمد القمر، ومعنى مستمر دائم، وقيل: معناه ذاهب يزول عن قريب، وقيل: شديد، وهو على هذا المعنى من المرة وهي القوة.

﴿وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾ أي كل شيء لا بد له من غاية، فالحق يحق، والباطل يبطل.

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ الأنباء هنا يراد بها ما ورد في القرآن من القصص، والبراهين والمواعظ، و﴿مُزْدَجَرٌ﴾ اسم مصدر بمعنى الازدجار، أو اسم موضع بمعنى أنه مظنة أن يزدجر به.

---

(١) البخاري الحديث ر قم: (٤٦٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (٢٠٤٢)، وقد تقدم.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٥٦٧/٢٢.

(٣) الذي في البخاري حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن قتادة عن أنس قال: انشق القمر فرقتين الحديث رقم: (٤٥٨٧)، ومسلم الحديث رقم: (٧٢٥٦).

خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ (٧) مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (٨) ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ (٩) فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ (١٠) فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ (١٣) تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ (١٤) وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٥) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٦) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (١٧)

ربع

• كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (١٨) إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ (١٩) تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ (٢٠) فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ (٢١) وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٢٢) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ (٢٣) فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ (٢٤) أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ (٢٥) سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ (٢٦) إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ (٢٧)

﴿حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ﴾ بدل من ما فيه أو خبر ابتداء مضمر. ﴿فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية لمعنى الاستبعاد والإنكار.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي أعرض عنهم لعلمك أن الإنذار لا ينفعهم. ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ العامل في يوم مضمر، تقديره: اذكر أو قوله: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بعد ذلك، وليس العامل فيه تول عنهم لفساد المعنى، فقد تم الكلام في قوله: تول عنهم فيوقف عليه، وقيل: المعنى: تول عنهم أي يوم يدع الداع، والأول أظهر وأشهر، والداعي جبريل أو إسرافيل إذ ينفخ في الصور، والشيء النكر الشديد الفظيع، وأصله من الإنكار أي هو منكور لأنه لم ير قط مثله، والمراد به يوم القيامة.

﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ﴾ كناية عن الذلة، وانتصب خشعا على الحال من الضمير في يخرجون. ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أي من القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ شبههم بالجراد في خروجهم من الأرض فكأنه استدلال على البعث كالاستدلال بخروج النبات، وقيل: إنما شبههم بالجراد في كثرتهم، وأن بعضهم يموج في بعض ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين، وقيل: ناظرين إلى الداع.

﴿فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا﴾ يعني نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ ووصفه هنا بالعبودية تشريفا له واختصاصا. ﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ أي زجروه بالشتم والتخويف، وقالوا له: ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾.

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾ أي قد غلبني الكفار فانتصر لي، أو انتصر لنفسك، وقالت المتصوفة: معناه قد غلبتني نفسي حين دعوت على قومي فانتصر مني، وهذا بعيد ضعيف.

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ عبارة عن كثرة المطر، فكأنه يخرج من أبواب، وقيل: فتحت في السماء أبواب يومئذ حقيقة والمنهمر الكثير.

﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء وماء الأرض. ﴿عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ﴾ أي قد قضي في الأزل، ويحتمل أن يكون المعنى أنه قدر بمقدار معلوم، وروي في ذلك أنه علا فوق الأرض أربعين ذراعا.

﴿وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ يعني السفينة، والدسر هي المسامير واحدها دسار، وقيل: هي مقادم السفينة، وقيل: أضلاعها، والأول أشهر.

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ عبارة عن حفظ الله ورعيه لها. ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي جزاء لنوح، وقيل: جزاء لله تعالى، والأول أظهر، وانتصب جزاء على أنه مفعول من أجله، والعامل فيه ما تقدم من فتح أبواب السماء وما بعده من الأفعال، أي جعلنا ذلك كله جزاء لنوح، ويحتمل أن يكون قوله: كفر، من الكفر بالدين، والتقدير لمن كفر به فحذف الضمير أو يكون من الكفر بالنعمة؛ لأن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ نعمة من الله كفرها قومه فلا يحتاج على هذا إلى ضمير محذوف.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَـٰهَآ ءَايَةً﴾ الضمير للقصة المذكورة، أو الفعلة، أو السفينة، وروي[1] في هذا المعنى أنها بقيت على الجودي حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة. ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ تحضيض على الادكار، فيه ملاطفة جميلة من الله لعباده، ووزن مذكر مفتعل وأصله مدتكر ثم أبدل من التاء دالا وأدغمت فيها الدال.

﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ توقيف فيه تهديد لقريش والنذر جمع نذير.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي: ٣٥١/٧، والسراج المنير للشربيني: ٩٧/٤.

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾ أي يسرناه للحفظ، وهذا معلوم بالمشاهدة فإنه يحفظه الأطفال الأصاغر وغيرهم حفظا بالغا، بخلاف غيره من الكتب، وقد روي[1] أنه لم يحفظ شيء من كتب الله عن ظهر قلب إلا القرآن، وقيل: معنى الآية سهلناه للفهم والاتعاظ به، لما تضمن من البراهين والحكم البليغة، وإنما كرر هذه الآية البليغة وقوله: ﴿فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ لينبه السامع عند كل قصة فيعتبر بها؛ إذ كل قصة من القصص التي ذكرت عبرة وموعظة، فختم كل واحدة بما يوقظ السامع من الوعيد في قوله: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾، ومن الملاطفة في قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

﴿رِيحاً صَرْصَراً﴾ أي مصوتة فهو من الصرير يعني الصوت، وقيل: معناه باردة فهو من الصر. ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ روي: أنه كان يوم أربعاء حتى رأى بعضهم أن كل يوم أربعاء نحس، وروي: أن رسول الله ﷺ قال[2]: آخر أربعاء من الشهر يوم نحس مستمر.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي تقلعهم من مواضعهم. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ أعجاز النخل هي أصولها والمنقعر المنقطع فشبه الله عادا لما هلكوا بذلك لأنهم طوال عظام الأجساد كالنخل، وقيل: كانت الريح تقطع رؤوسهم فتبقى أجسادا بلا رؤوس، فشبههم بأعجاز النخل لأنها دون أغصان، وقيل: كانوا حفروا حفرا يمتنعون بها من الريح فهلكوا فيها فشبههم بأعجاز النخل إذا كانت في حفرها.

﴿أَبَشَراً﴾ هو صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وانتصب بفعل مضمر، والمعنى أنهم أنكروا أن يتبعوا بشرا وطلبوا أن يكون الرسول من الملائكة، ثم زادوا أن أنكروا أن يتبعوا واحدا وهم جماعة كثيرون. ﴿وَسُعُرٍ﴾ أي عناد، وقيل: معناه جنون، وقيل: معناه

---

(١) قال الزمخشري: ويروى: أن كتب أهل الأديان نحو التوراة والإنجيل لا يتلوها أهلها إلا نظراً، ولا يحفظونها ظاهراً كما القرآن. الكشاف: ٤/٤٣٦.

(٢) أخرجه الخطيب قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: موضوع. رقم: (١٥٨١).

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾

ثمن

هم وغم، وأصله من السعير بمعنى النار، وكأنه احتراق النفس بالهم.

﴿أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ أنكروا أن يخصه الله بالنبوءة دونهم، وذلك جهل منهم فإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. ﴿أَشِرٌ﴾ بطر متكبر.

﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ﴾ أي لهم يوم وللناقة يوم من غير أن يتعدوا على الناقة، فالضمير في نبئهم يعود على ثمود وعلى الناقة تغليبا للعقلاء، وقيل: إن الضمير لثمود، والمعنى لا يتعدى بعضهم على بعض. ﴿كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ﴾ أي محضور مشهود.

﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ يعني عاقر الناقة، واسمه قدار وهو أحيمر ثمود وأشقاها. ﴿فَتَعَاطَى﴾ أي اجترأ على أمر عظيم، وهو عقر الناقة، وقيل: تعاطى السيف.

﴿صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بها جبريل صيحة فماتوا منها. ﴿فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ الهشيم هو ما تكسر وتفتت من الشجر وغيرها، والمحتظر الرجل الذي يعمل الحظيرة وهي حائط من الأغصان أو القصب أو نحو ذلك، يكون تحليقا للمواشي أو السكنى فشبه الله ثمود لما هلكوا بما يتفتت من الحظيرة من الأوراق وغيرها، وقيل: المحتظر المحترق.

﴿حَاصِبًا﴾ ذكر في العنكبوت. ﴿فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ تشككوا.

﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ الضيف هنا هم الملائكة الذين أرسلهم الله إلى لوط ليهلكوا قومه، وكان قومه قد ظنوا أنهم من بني آدم وأرادوا منهم الفاحشة، فطمس الله على أعينهم فاستوت مع وجوههم، وقيل: إن الطمس عبارة عن عدم رؤيتهم لهم، وأنهم دخلوا منزل لوط فلم يروا فيه أحدا.

﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ﴾ هذا خطاب لقريش على وجه التهديد، والهمزة للإنكار، ومعناه: هل الكفار منكم خير عند الله من الكفار المتقدمين المذكورين بحيث أهلكناهم لما كذبوا الرسل، وتنجون أنتم وقد كذبتم رسلكم؟ بل الذي أهلكهم يهلككم. ﴿أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ معناه أم لكم في كتاب الله براءة من العذاب.

﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ أي نحن نجتمع وننتصر لأنفسنا بالقتال.

﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾ المراد بالمجرمين هنا الكفار وضلالهم في الدنيا والسعر لهم في الآخرة وهو الاحتراق، وقيل: أراد بالمجرمين القدرية لقوله في الرد عليهم: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ والأول أظهر.

﴿يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ﴾ أي يجرون فيها.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ المعنى: أن الله خلق كل شيء بقدر أي بقضاء معلوم سابق في الأزل، ويحتمل أن يكون معنى بقدر بمقدار في هيئته وصفته وغير ذلك، والأول أرجح وفيه حجة لأهل السنة على القدرية، وانتصب كل شيء بفعل مضمر يفسره خلقناه.

﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ عبارة عن سرعة التكوين ونفوذ أمر

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

مدنية — آياتها ٧٨

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾

حزب

الله، والواحدة يراد بها الكلمة وهي قوله كن.

﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ يعني أشياعكم من الكفار.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ أي كل ما فعلوه مكتوب في صحائف الأعمال.

﴿مُّسْتَطَرٌ﴾ أي مكتوب وهو من السطر، تقول: سطرت واستطرت بمعنى واحد، والمراد الصغير والكبير من أعمالهم، وقيل: جميع الأشياء.

﴿وَنَهَرٍ﴾ يعني أنهار الماء والخمر واللبن والعسل واكتفى باسم الجنس.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ﴾ أي في مكان مرضي.

*** *** ***

سورة الرحمن ﷻ

﴿۞ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ هذا تعديد نعمة على من علمه الله القرآن، وقيل: معنى علم القرآن جعله علامة وآية لسيدنا محمد ﷺ، والأول أظهر، وارتفع الرحمن بالابتداء والأفعال التي بعده أخبار متوالية ويدل على ذلك مجيئها بدون حرف عطف.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ قيل: جنس الناس، وقيل: يعني آدم، وقيل: يعني سيدنا محمدا ﷺ، ولا دليل على التخصيص والأول أرجح. ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ يعني النطق والكلام.

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ﴾ أي يجريان في الفلك بحسبان معلوم وترتيب مقدر، وفي ذلك دليل على الصانع الحكيم المريد القدير.

﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ النجم عند ابن عباس[1] النبات الذي لا ساق له كالبقول، والشجر النبات الذي له ساق، وقيل: النجم جنس نجوم السماء، والسجود عبارة عن التذلل والانقياد لله تعالى، وقيل: سجود الشمس غروبها، وسجود الشجر ظله.

﴿وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ﴾ يعني الميزان المعروف الذي يوزن به الطعام وغيره، وكرر ذكره اهتماما به، وقيل: أراد العدل.

﴿وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾ أي لا تنقصوا إذا وزنتم.

﴿لِلۡأَنَامِ﴾ أي للناس، وقيل: الإنس والجن، وقيل: الحيوان كله.

﴿ٱلۡأَكۡمَامِ﴾ يحتمل أن يكون جمع كم بالضم وهو ما يغطي ويلف النخل

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٢٢، والطبري في جامع البيان: ٢٢/١١.

من الليف وبه شبه كم القميص، أو يكون جمع كم بكسر الكاف وهو غلاف الثمرة.

﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الزرع، وقيل: التين. ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ قيل: هو الريحان المعروف، وقيل: كل مشموم طيب الريح من النبات وقيل: هو الرزق.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآلاء هي النعم واحدها إلى على وزن معى وقيل: ألى على وزن قضى، وقيل: ألي على وزن أمد، أو على وزن حصر والخطاب للثقلين الإنس والجن بدليل قوله: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ روي[1]: أن هذه الآية لما قرأها رسول الله ﷺ سكت أصحابه، فقال: إن جواب الجن خير من سكوتكم، إني لما قرأتها على الجن قالوا: لا نكذب بشيء من آلاء ربنا، وكرر هذه الآية تأكيدا ومبالغة، وقيل: إن كل موضع منها يرجع إلى معنى الآية التي قبله، فليس بتأكيد لأن التأكيد لا يزيد على ثلاث مرات.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ الإنسان هو آدم، والصلصال الطين اليابس فإذا طبخ فهو فخار.

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ الجان الجن يعني إبليس والد الجن، والمارج اللهيب المضطرب من النار.

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ يريد مشرق الشمس والقمر، ومغرب الشمس والقمر، وقيل: مشرقي الصيف والشتاء ومغربيهما.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ ذكر في الفرقان، أي يلتقي ماء هذا وماء هذا، وذلك إذا نزل المطر في البحر على القول بأن البحر العذب هو المطر، وأما على القول بأن البحر العذب هو الأنهار والعيون فالتقاؤهما بانصباب الأنهار في البحر،

---

(١) عن جابر قال، «قرأ رسول الله ﷺ الرحمن حتى ختمها فقال: ما لي أراكم سكوتا، للجن كانوا أحسن ردا منكم ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد» كنز العمال. رقم: (٤١٤٦).

رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَـَٔاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُ مَن فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ • يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

ثمن

وأما على قول من قال إن البحرين بحر فارس وبحر الروم، أو بحر القلزم واليمن، فضعيف لقوله في الفرقان: ﴿هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ وكل واحد من هذه أجاج، والمراد بالبحرين في هذه السورة ما أراد في الفرقان.

﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ أي حاجز يعني جرم الأرض أو حاجز من قدرة الله. ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ أي لا يبغى أحدهما على الآخر بالاختلاط، وقيل: لا يبغيان على الناس بالفيض.

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ اللؤلؤ كبار الجوهر والمرجان صغاره، وقيل: بالعكس، وقيل: إن المرجان أحجار حمر، قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وأما قوله: ﴿مِنْهُمَا﴾ ولا يخرج إلا من أحدهما فقد تكلمنا عليه في فاطر.

﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَـَٔاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ يعني السفن وسماها منشآت لأن الناس ينشؤونها وقرئ[1] بكسر الشين بمعنى أنها تنشئ السير أو تنشئ الموج والأعلام الجبال شبه السفن بها.

﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ الضمير في عليها للأرض يدل على ذلك سياق

---

(١) ﴿المنشآت﴾ قرأ حمزة بكسر الشين، واختلف عن أبي بكر فقطع له جمهور العراقيين من طريقيه كذلك،.. وقال بعضهم: الفتح والكسر في ﴿المنشآت﴾ سواء وبهما قرأ الداني على أبي الحسن والوجهان صحيحان عن أبي بكر، وبه قرأ الباقون. النشر: ٢/٤٢١.

الكلام وإن لم يتقدم لها ذكر، ويعني بمن عليها بني آدم وغيرهم من الحيوان، ولكنه غلب العقلاء.

﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ الوجه هنا عبارة عن الذات، وذو الجلال صفة الذات؛ لأن من أسمائه تعالى الجليل، ومعناه يقرب من معنى العظيم، وأما وصفه بالإكرام فيحتمل أن يكون بمعنى أنه يكرم عباده، كما قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ﴾ أو بمعنى أن عباده يكرمونه بتوحيده وتسبيحه وعبادته.

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ المعنى: أن كل من في السموات والأرض يسأل حاجته من الله، فمنهم من يسأله بلسان المقال وهم المؤمنون، ومنهم من يسأله بلسان الحال لافتقار الجميع إليه. ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ المعنى أنه تعالى يتصرف في ملكوته تصرفا يظهر في كل يوم من العطاء والمنع والإماتة والإحياء وغير ذلك، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ قرأها، فقيل له: وما ذلك الشأن؟ قال: من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قوما ويضع آخرين. وسئل بعضهم: كيف قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ والقلم قد جف بما هو كائن إلى يوم القيامة، فقال: هو في شأن يبديه، لا في شأن يبتديه.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ معناه الوعيد، كقولك: لمن تهدده سأفرغ لعقوبتك، وليس المراد التفرغ من شغل، ويحتمل أن يريد انتهاء مدة الدنيا، وأنه حينئذ ينقضي شأنها فلا يبقى إلا شأن الآخرة، فعبر عن ذلك بالتفرغ قال جعفر بن محمد: سمى الإنس والجن ثقلين كأنهما ثقلا بالذنوب.

﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟﴾ هذا كلام يقال للجن والإنس يوم القيامة، أي إن قدرتم على الهروب والخروج من أقطار السموات والأرض فافعلوا، وروي: أنهم يفرون يومئذ لما يرون من أهوال القيامة

(١) صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٦٨٩)، وابن ماجه الحديث رقم: (٢٠٢).

فيجدون سبعة صفوف من الملائكة قد أحاطت بالأرض فيرجعون، وقيل: بل خوطبوا بذلك في الدنيا، والمعنى: إن استطعتم الخروج عن قهر الله وقضائه عليكم فافعلوا، وقوله: ﴿فَانفُذُواْ﴾ أمر يراد به التعجيز. ﴿لاَ تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَٰنٍ﴾ أي لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وليس لكم قوة.

﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَنُحَاسٌ﴾ الشواظ لهيب النار، والنحاس الدخان، وقيل: هو الصفر يذاب ويصب على رؤوسهم، وقرئ[1] شواظ بضم الشين وكسرها وهما لغتان وقرئ[2] نحاس بالرفع عطف على شواظ وبالخفض عطف على نار.

﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَآءُ﴾ جواب إذا قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ﴾ وقال ابن عطية: جوابها محذوف. ﴿وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ معنى وردة حمراء كالوردة، وقيل: هو من الغرس الورد، قال قتادة[3]: السماء اليوم خضراء ويوم القيامة حمراء والدهان جمع دهن كالزيت وشبهه شبه السماء يوم القيامة به لأنها تذاب من شدة الهول وقيل: يشبه لمعانها بلمعان الدهن، وقيل: إن الدهان هو الجلد الأحمر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُسْئَلُ عَن ذَنۢبِهِۦ إِنسٌ وَلاَ جَآنٌّ﴾ السؤال المنفي هنا هو على وجه الاستخبار وطلب المغفرة؛ إذ لا يحتاج إلى ذلك لأن المجرمين يعرفون بسيماهم ولأن أعمالهم معلومة عند الله مكتوبة في صحائفهم، وأما السؤال الثابت في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وغيره فهو سؤال على وجه الحساب والتوبيخ، فلا تعارض بين المنفي والمثبت، وقيل: إن ذلك باختلاف المواطن، والأول أحسن.

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ يعني بعلامتهم وهي سواد الوجوه وغير ذلك،

---

(١) ﴿شواظ﴾ قرأ ابن كثير بكسر الشين، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٤٢١/٢.

(٢) ﴿ونحاس﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بخفض السين، وقرأ الباقون برفعها وبذلك انفرد ابن مهران عن روح. النشر المصدر السابق.

(٣) المحرر الوجيز: ٢١١/٥، وتفسير الثعالبي: ٤، ٢٤٥.

يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤١﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٠﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٤﴾ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴿٥٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٦﴾ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ • هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٥٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٠﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾

ربع

والمجرمون هنا الكفار بدليل قوله: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾. ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ﴾ قيل: معناه يؤخذ بعض الكفار بناصيته وبعضهم بقدميه، وقيل: بل يؤخذ كل واحد بناصيته وقدميه فيطوى ويطرح في النار.

﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ الحميم الماء السخن، والآن الشديد الحرارة، وقيل: الحاضر من قولك: آن الشيء إذا حضر، والأول أظهر.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ مقام ربه القيام بين يديه للحساب، ومنه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وقيل: قيام الله بأعماله، ومنه: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ وقيل: معناه لمن خاف ربه، وأقحم المقام كقولك: خفت جانب فلان، واختلف: هل الجنتان لكل خائف على انفراده، أو للصنف الخائف وذلك مبني على قوله: لمن خاف مقام ربه: هل يراد به واحد أو جماعة؟ وقال الزمخشري: إنما قال جنتان لأنه خاطب الثقلين، فكأنه قال: جنة للإنس، وجنة للجن.

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ ثنى ذات هنا على الأصل لأن أصله ذوات، قاله ابن عطية، والأفنان جمع فنن وهو الغصن، أو جمع فن وهو الصنف من الفواكه، وغيرها.

﴿مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ أي نوعان.

﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ الجنا هو ما يجتنى من الثمار، ودان قريب، وروي[١]: أن الإنسان يجتني الفاكهة في الجنة على أي حال كان، من قيام أو قعود أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى له إذا أرادها، وفي قوله: جنا الجنتين ضرب من ضروب التجنيس.

﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ المعنى أنهن أبكار، ولم يطمثهن معناه لم يفتضهن، وقيل: الطمث الجماع سواء كان لبكر أو غيرها، ونفى أن يطمثهن إنس أو جان مبالغة وقصدا للعموم، فكأنه قال: لم يطمثهن شيء، وقيل: أراد لم يطمث نساء الإنس إنس، ولم يطمث نساء الجن جن، وهذا على القول بأن الجن يدخلون الجنة ويتلذذون فيها بما يتلذذ به البشر.

﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ شبه النساء بالياقوت والمرجان في الحمرة والجمال، وقد ذكرنا المرجان في أول السورة.

﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ المعنى أن جزاء من أحسن بطاعة الله أن يحسن الله إليه بالجنة، ويحتمل أن يكون الإحسان هنا هو الذي سأل عنه جبريل رسول الله ﷺ، فقال له: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[٢]، وذلك هو مقام المراقبة والمشاهدة فجعل جزاء ذلك الإحسان بهاتين الجنتين، ويقوى هذا أنه جعل هاتين الجنتين الموصوفتين هنا لأهل المقام العلي، وجعل جنتين دونها لمن كان دون ذلك، فالجنتان المذكورتان أولا للسابقين، والجنتان المذكورتان ثانيا بعد ذلك لأصحاب اليمين حسبما ورد في الواقعة، وانظر كيف جعل أوصاف هاتين الجنتين أعلى من أوصاف الجنتين اللتين بعدهما؟ فقال هنا: عينان تجريان، وقال في الآخرتين عينان نضاختان والجري أشد من

(١) الكشف والبيان للنيسابوري: ٩/١٩٠.

(٢) سبق تخريجه.

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَٰلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْوَاقِعَةِ (ترتيبها ٥٦) (آياتها ٩٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَٰبُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ مَا أَصْحَٰبُ الْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّٰبِقُونَ السَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَٰٓئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْءَاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾

النضخ، وقال هنالك: من كل فاكهة زوجان، وقال هنا: فاكهة ونخل ورمان، وكذلك صفة الحور هنا أبلغ من صفتها هنالك، وكذلك صفة البسط، ويفسر ذلك قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «جنتان من ذهب آنيتهما وكل ما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وكل ما فيهما».

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ أي تضربان إلى السواد من شدة الخضرة.

﴿عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ أي تفوران بالماء والنضخ بالخاء المعجمة أشد من النضح بالحاء المهملة.

﴿فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ خص النخل والرمان بالذكر بعد دخولهما في الفاكهة تشريفا لهما وبيانا لفضلهما على سائر الفواكه وهذا هو التجريد.

﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ خيرات جمع خيرة وقال الزمخشري: وغيره أصله خيرات بالتشديد، ثم خفف كميت وقرئ[2] بالتشديد، قالت أم سلمة يا رسول الله، أخبرني عن قوله تعالى: ﴿خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ قال[3]: خيرات الأخلاق حسان الوجوه.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٧٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠). وشعب الإيمان للبيهقي: ٣٤٧/١، وفي المستدرك عن أبي موسى الأشعري في قوله ﷻ: - ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ قال: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. الحديث رقم: (٢٨٢).

(٢) قال ابن عطية: وقرأ أبو بكر بن حبيب السهمي «خيرات حسان» بشد الياء المكسورة. المحرر الوجيز: ٢١٤/٥.

(٣) التفسير القيم لابن القيم، ص: ١٥٨، والمحرر الوجيز: ٢١٤/٥، والبحر المحيط: ١٩٧/٨.

﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ﴾ الحور جمع حوراء والمقصورات المحجوبات لأن النساء يمدحن بملازمة البيوت ويذممن بكثرة الخروج، والخيام هي البيوت التي من الخشب والحشيش ونحو ذلك، وخيام الجنة من اللؤلؤ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾ الرفرف البسط، وقيل: الوسائد، وقيل: رياض الجنة ﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ العبقري الطنافس، وقيل: الزرابي، وقيل: الديباج الغليظ، وهو منسوب إلى عبقري، وتزعم العرب أنه بلد الجن فإذا أعجبها شيء نسبته إليه.

﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ﴾ ذكر تبارك في الفرقان وغيرها، والاسم هنا يراد به المسمى على الأظهر، وقرأ الجمهور[1] ذي الجلال بالياء صفة لربك وقرأ ابن عامر بالواو صفة للاسم وقد ذكر معنى ذي الجلال والإكرام.

❋❋ ❋❋ ❋❋

(١) ﴿ذي الجلال﴾ قرأ ابن عامر ﴿ذو الجلال﴾ بواو بعد الذال نعتاً للرب وكذلك هو في مصاحفهم. النشر: ٢/٤٢٣.

سورة الواقعة

روى ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال[١]: «من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا» ولما حضرت ابن مسعود الوفاة، قيل له: ما تركت لبناتك؟ قال: تركت لهن سورة الواقعة[٢].

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ يعني إذا قامت القيامة، فالواقعة اسم من أسماء القيامة تدل على هولها، كالطامة والصاخة، وقيل: الواقعة الصيحة وهي النفخة في الصور، وقيل: الواقعة صخرة بيت المقدس تقع يوم القيامة وهذا بعيد.

﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾ يحتمل ثلاثة أوجه:

الأول: أن تكون الكاذبة مصدر كالعافية، والمعنى: ليس لها كذب ولا رد.

الثاني: أن تكون كاذبة صفة محذوف كأنه قال: ليس لها حالة كاذبة، أي هي صادقة الوقوع ولا بد، وهذا المعنى قريب من الأول.

الثالث: أن يكون التقدير ليس لها نفس كاذبة أي تكذيب في إنكار البعث لأن كل نفس تؤمن حينئذ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ تقديره: هي خافضة رافعة فينبغي أن يوقف على ما قبله لبيان المعنى والمراد بالخفض والرفع أنها تخفض أقواما إلى النار وترفع أقواما إلى الجنة، وقيل: ذلك عبارة عن هولها لأن السماء تنشق، والأرض تتزلزل وتمر،

(١) شعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (٢٤٩٧) قال الألباني في الضعيفة رقم: (٢٨٩) ضعيف.

(٢) قال النيسابوري: روى جمع من المفسرين أن عثمان بن عفان دخل على ابن مسعود في مرضه الذي مات فيه، فقال له: ما تشتكي؟ قال: ذنوبي، قال: ما تشتهي؟ قال: رحمة ربي، قال: أفلا ندعو الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني، قال: أفلا نأمر بعطائك؟ قال: لا حاجة لي فيه، قال: تدفعه إلى بناتك، قال: لا حاجة لهن فيه، قد أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً» ١١٨/٧.

والجبال تنسف فكأنها تخفض بعض هذه الأجرام وترفع بعضها.

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا﴾ أي زلزلت وحركت تحريكا شديدا، وإذا هنا بدل من إذا وقعت، ويحتمل أن يكون العامل فيه خافضة رافعة.

﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ أي فتتت، وقيل: سيرت.

﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ الهباء ما يتطاير في الهواء من الأجزاء الدقيقة، ولا تكاد ترى إلا في الشمس إذا دخلت على كوة، قاله ابن عباس[١] وقال علي[٢] بن أبي طالب: هو ما تطاير من حوافر الدواب من التراب، وقيل: ما تطاير من شرر النار فإذا طفي لم يوجد شيئا، والمنبث المتفرق.

﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَٰثَةً﴾ هذا خطاب لجميع الناس لأنهم ينقسمون يوم القيامة إلى هذه الأصناف الثلاثة، وهم: السابقون، وأصحاب اليمين، وأصحاب الشمال، فأما السابقون: فهم أهل الدرجات العلا في الجنة، وأما أصحاب اليمين فهم سائر أهل الجنة، وأما أصحاب الشمال فهم أهل النار.

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ هذا ابتداء خبر فيه معنى التعظيم كقولك: زيد ما زيد؟ والميمنة يحتمل أن تكون مشتقة من اليمن وهو ضد الشؤم، وتكون المشأمة به مشتقة من الشؤم، أو تكون الميمنة من ناحية اليمين والمشأمة من ناحية الشمال، واليد الشؤمى هي الشمال، وذلك لأن العرب تجعل الخير من اليمين والشر من الشمال، أو لأن أهل الجنة يحملون إلى جهة اليمين، وأهل النار يحملون إلى جهة الشمال، أو يكون من أخذ الكتاب باليمين أو الشمال.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ الأول: مبتدأ والثاني خبره على وجه التعظيم كقولك: أنت أنت، أو على معنى أن السابقين إلى طاعة الله هم السابقون إلى

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٢٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٧/٥١٤.

الجنة، وقيل: إن السابقين الثاني صفة للأول، أو تأكيد، والخبر أولئك المقربون والأرجح أن يكون الثاني خبر الأول؛ لأنه في مقابلة قوله: أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة، وعلى هذا يوقف على السابقون الثاني، ويبتدأ بما بعده.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ الثلة: الجماعة من الناس، فالمعنى أن السابقين من الأولين أكثر من السابقين من الآخرين، والأولون هم أول هذه الأمة، والآخرون المتأخرون من هذه الأمة، والدليل على ذلك ما روي أن رسول الله ﷺ قال[1]: «الفرقتان في أمتي» وذلك لأن صدر هذه الأمة خير ممن بعدهم، فكثر السابقون من السلف الصالح وقلوا بعد ذلك، ويشهد لذلك قوله ﷺ[2]: «خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» وقيل: إن الفرقتين في أمة كل نبي فالسابقون في كل أمة يكثرون في أولها ويقلون في آخرها، وقيل: أن الأولين هم من كان قبل هذه الأمة، والآخرين هم هذه الأمة، فيقتضي هذا أن السابقين من الأمم المتقدمة أكثر من السابقين من هذه الأمة وهذا بعيد، وقيل: إن السابقين يراد بهم الأنبياء لأنهم كانوا في أول الزمان أكثر مما كانوا في آخره.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ السرر جمع سرير، والموضونة المنسوجة، وقيل: المشبكة بالدر والياقوت، وقيل: معناه متواصلة قد أدنى بعضها من بعض.

﴿مُتَقَٰبِلِينَ﴾ أي وجوه بعضهم إلى بعض.

﴿وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الولدان صغار الخدم والمخلدون الذين لا يموتون وقيل

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢١٨.

(٢) جاء في الصحيحين وغيرهما بعدة ألفاظ منها: «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته» البخاري الحديث رقم: (٢٥٠٩)، ومسلم الحديث رقم: (٦٦٣٢).

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٩﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٢٠﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿٢١﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٣﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٤﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٥﴾ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٧﴾ ۞ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٩﴾ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٣٠﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٣١﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٢﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣٣﴾ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٤﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٥﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٧﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٨﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٩﴾ لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٤٠﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٤١﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤٣﴾ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤٤﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٦﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٧﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٨﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٩﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٥٠﴾ أَوَ آبَآؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٥٢﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٣﴾

ثمن

المقرطون بالخلدات وهي ضرب من الأقراط والأول أظهر.

﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ﴾ الأكواب: جمع كوب، وهو الإناء وهو الذي لا أذن له ولا خرطوم يمسك به، والأباريق جمع إبريق وهو الإناء الذي له خرطوم أو أذن يمسك.

﴿وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ ذكر في الصافات.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ أي لا يلحق رؤوسهم الصداع الذي يصيب من خمر الدنيا، وقيل: لا يفرقون عنها فهو من الصدع وهو الفرقة ومعنى لا ينزفون: لا يسكرون.

﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ قيل: يتخيرون ما شاؤوا لكثرتها، وقيل: مخيرة مرضية.

﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ قدمنا معناه، وقرئ[1] بالرفع على تقدير فيها حور أو عطف على الضمير في متكئين أو على ولدان، وبالخفض عطف على المعنى كأنه قال: ينعمون بهذا كله وبحور عين، وقيل: خفض على الجوار.

﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ شبههن باللؤلؤ في البياض، ووصفه بالمكنون لأنه أبعد عن تغيير حسنه، وسألت أم سلمة رسول الله ﷺ عن هذا التشبيه،

(١) حمزة والكسائي وأبو جعفر: ﴿وحور عين﴾ بخفضهما، والباقون برفعهما. تحبير التيسير، ص: ٥٧٣.

فقال[١]: «صفاؤهن كصفاء الدر في الأصداف الذي لا تمسه الأيدي».

﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً﴾ اللغو الكلام الساقط كالفحش وغيره والتأثيم مصدر بمعنى لا يؤثم أحد هناك نفسه ولا غيره. ﴿إِلاَّ قِيلاً سَلَٰماً سَلَٰماً﴾ انتصب سلاما على أنه بدل من قيلا، أو صفة له، أو مفعول به لقيلا؛ لأن معناه قولا ومعنى السلام على هذا التحية والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاما بعد سلام، ويحتمل أن يكون معناه السلامة فينتصب بفعل مضمر تقديره: أسلموا سلاما.

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ مَا أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾ هذا مبتدأ وخبره قصد به التعظيم فيوقف عليه ويبتدأ بما بعده، ويحتمل أن يكون الخبر في سدر، ويكون ما أصحاب اليمين اعتراضا والأول أحسن، وكذلك إعراب أصحاب الشمال.

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ السدر شجر معروف، قال ابن عطية: هو الذي يقال له شجر أم غيلان، وهو كثير في بلاد المشرق وهي في بعض بلاد الأندلس دون بعض، والمخضود الذي لا شوك له كأنه خضد شوكه وذلك أن سدر الدنيا له شوك فوصف سدر الجنة بضد ذلك، وقيل: المخضود هو الموقر الذي انثنت أغصانه من كثرة حمله، فهو على هذا من خضد الغصن إذا ثناه.

﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ﴾ الطلح شجر عظيم كثير الشوك قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: «هو شجر الموز وحكى ابن عطية[٢] هذا عن علي بن أبي طالب وابن عباس، وقرأ علي بن أبي طالب[٣] وطلع منضود بالعين، فقيل له: إنما هو وطلح بالحاء، فقال: ما للطلح والجنة؟ فقيل له: أنصلحها في المصحف؟ فقال: المصحف اليوم لا يغير» والمنضود: الذي تنضد بالثمر من أعلاه إلى أسفله حتى لا يظهر له ساق.

---

(١) ضعيف الترغيب والترهيب. للألباني (٢٢٣٠)، وقال: منكر.

(٢) تفسير ابن كثير: ٥٢٦/٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٢١/٥.

﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ أي منبسط لا يزول لأنه لا تنسخه الشمس، وقال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾[1]» أي مصبوب، وذلك عبارة عن كثرته، وقيل: المعنى أنه جار في غير أخاديد، وقيل المعنى: أنه يجري من غير ساقية ولا دلو ولا تعب.

﴿لاَّ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ﴾ أي لا ينقطع إبانها كفاكهة الدنيا، فإن شجر الجنة يثمر في كل وقت، ولا تمتنع ببعد تناولها، ولا بغير ذلك من وجوه المنع.

﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾ هي الأسرة، وقد روي: أن ارتفاع السرير منها مسيرة خمسمائة عام، وقيل: هي النساء وهذا بعيد.

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ﴾ الضمير لنساء الجنة فإن سياق الكلام يقتضي ذلك وإن لم يتقدم ذكرهن، ولكن تقدم ذكر الفرش وهي تدل على النساء، وأما من قال إن الفرش هي النساء فالضمير عائد عليها، وقيل: يعود على الحور العين المذكورة قبل هذا، وذلك بعيد، فإن ذلك في وصف جنات السابقين، وهذا في وصف جنات أصحاب اليمين، ومعنى إنشاء النساء: أن الله تعالى يخلقهن في الجنة خلقا آخر في غاية الحسن بخلاف الدنيا، فالعجوز ترجع شابة والقبيحة ترجع حسنة.

﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً﴾ روي: أنهن دائمات البكارة متى عاود الوطء وجدها بكرا.

﴿عُرُباً﴾ جمع عروب وهي المتوددة إلى زوجها بإظهار محبته، وعبر عنهن ابن عباس[2] بأنهن العواشق لأزواجهن، وقيل: هي الحسنة الكلام. ﴿أَتْرَاباً ۝﴾

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٥٩٩) ومسلم الحديث رقم: (٧٣١٥).

(٢) وقال الضحاك، عن ابن عباس: العُرُب: العواشق لأزواجهن، وأزواجهن لهن عاشقون. وكذا قال عبد الله بن سَرْجس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو العالية، ويحيى بن أبي كثير، وعطية، تفسير ابن كثير: ٥٣٣/٧.

لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ أي مستويات في السن مع أزواجهن، وروي: أنهم يكونون في سن أبناء ثلاث وثلاثين عاما، ولأصحاب اليمين يتعلق بقوله: أنشأناهن على ما قاله الزمخشري، ويحتمل أن يتعلق بأترابا، وهذا هو الذي يقتضيه المعنى أي أترابا لأزواجهن.

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ أي جماعة من أول هذه الأمة وجماعة من آخرها، وقد قال رسول الله ﷺ: «الفرقتان من أمتي»[1] وفي ذلك رد على من قال إنهما من غير هذه الأمة، وتأمل كيف جعل أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين، بخلاف السابقين فإنهم قليل في الآخرين، وذلك لأن السابقين في أول هذه الأمة أكثر منهم في آخرها لفضيلة السلف الصالح، وأما أصحاب اليمين فكثير في أولها وآخرها.

﴿فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ۝ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾ السموم الحر الشديد والحميم الماء الحار جدا، واليحموم هو الأسود، وظل من يحموم، هو الدخان في قول الجمهور، وقيل: سرادق النار المحيط بأهلها، فإنه يرتفع من كل جهة حتى يظلهم، وقيل: هو جبل في جهنم.

﴿وَكَانُواْ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ﴾ معنى يصرون يدومون من غير إقلاع، والحنث هو الإثم، وقيل: هو الشرك، وقيل: هو الحنث في اليمين، أو اليمين الغموس.

﴿أَءِذَا مِتْنَا﴾ الآية معناها أنهم أنكروا البعث بعد الموت، وقد ذكرنا قراءة الاستفهامين في الرعد، وآباؤنا في الصافات.

﴿أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ﴾ خطاب لكفار قريش وسائر الكفار.

---

(١) لم أجده مسندا وتذكره كتب التفسير. المحرر الوجيز ٢١٨/٥ والبحر المحيط ١٥٤/٨ بدون سند..

ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ﴿٥١﴾ لآكلون من شجر من زقوم ﴿٥٢﴾ فمالئون منها البطون ﴿٥٣﴾ فشاربون عليه من الحميم ﴿٥٤﴾ فشاربون شرب الهيم ﴿٥٥﴾ هذا نزلهم يوم الدين ﴿٥٦﴾ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ﴿٥٧﴾ أفرأيتم ما تمنون ﴿٥٨﴾ ءانتم تخلقونه أم نحن الخالقون ﴿٥٩﴾ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴿٦٠﴾ على أن نبدل أمثالكم وننشئكم في ما لا تعلمون ﴿٦١﴾ ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴿٦٢﴾ أفرأيتم ما تحرثون ﴿٦٣﴾ ءانتم تزرعونه أم نحن الزارعون ﴿٦٤﴾ لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون ﴿٦٥﴾ إنا لمغرمون ﴿٦٦﴾ بل نحن محرومون ﴿٦٧﴾ أفرأيتم الماء الذي تشربون ﴿٦٨﴾ ءانتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ﴿٦٩﴾ لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴿٧٠﴾ أفرأيتم النار التي تورون ﴿٧١﴾ ءانتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون ﴿٧٢﴾ نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين ﴿٧٣﴾ فسبح باسم ربك العظيم ﴿٧٤﴾ ۞ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴿٧٥﴾ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴿٧٦﴾

ربع

﴿فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ﴾ الضمير للمأكول. ﴿فَشَـٰرِبُونَ شَرْبَ ٱلْهِيمِ﴾ وزن الهيم فعل بضم الفاء وكسرت الهاء لأجل الياء وهو جمع أهيم، وهو الجمل الذي أصابه الهيام بضم الهاء، وهو داء معطش يشرب معه الجمل حتى يموت أو يسقم، والأنثى هيماء، وقيل: جمع هائم وهائمة، وقيل: الهيم الرمال التي لا تروى من الماء، وهو على هذا جمع هيام بفتح الهاء، وقرئ[1] شرب بضم الشين واختلف: هل هو مصدر أو اسم المشروب؟ وقرئ: بالفتح وهو مصدر، **فإن قيل**: كيف عطف قوله فشاربون على شاربون، ومعناهما واحد؟ **فالجواب**: أن المعنى مختلف لأن الأول يقتضي الشرب مطلقا، والآخر يقتضي الشرب الكثير المشبه لشرب الهيم.

﴿هَـٰذَا نُزُلُهُمْ﴾ النزل أول ما يأكله الضيف، فكأنه يقول: هذا أول عذابهم فما ظنك بسائره؟.

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ تحضيض على التصديق إما بالخالق تعالى، وإما بالبعث لأن الخلقة الأولى دليل عليه.

﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ هذه الآية وما بعدها تتضمن إقامة براهين على الوحدانية وعلى البعث، وتتضمن أيضا وعيدا وتعديد نعم، ومعنى تمنون تقذفون

---

(١) قال الداني: نافع وعاصم وحمزة ﴿شرب الهيم﴾ بضم الشين، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ١٣٢.

المني في رحم المرأة.

﴿ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ هذا توقيف يقتضي أن يجيبوا عليه بأن الله هو الخالق لا إله إلا هو.

﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ﴾ أي جعلناه مقدرا بآجال معلومة وأعمار، منها: طويل، وقصير، ومتوسط. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ المسبوق على الشيء هو المغلوب عليه بحيث لا يقدر عليه، ونبدل أمثالكم معناه نهلككم ونستبدل قوما غيركم، وقيل: نمسخكم قردة وخنازير، وننشئكم معناه نبعثكم بعد هلاككم، وفيما لا تعلمون معناه ننشئكم في خلقة لا تعلمونها على وجه لا تصل عقولكم إلى فهمه، فمعنى الآية أن الله قادر على أن يهلكهم وعلى أن يبعثهم، ففيها تهديد واحتجاج على البعث.

﴿فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ تحضيض على التذكير والاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، وفي هذا دليل على صحة القياس.

﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ المراد بالزراعة هنا إنبات ما يزرع وتمام خلقته؛ لأن ذلك مما انفرد الله به ولا يدعيه غيره، قال رسول الله ﷺ[1]: «لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت» والمراد بالحرث قلب الأرض وإلقاء الزريعة فيها، وقد يقال لهذا زرع ومنه قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾.

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ الحطام اليابس المفتت، وقيل: معناه تبن بلا قمح، فظلتم تفكهون أي تطرحون الفاكهة وهي المسرة يقال رجل فكه

(١) قال الشوكاني: وقد أخرج البزار وابن جرير وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقي في الشعب وضعفه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: [لا يقولن أحدكم زرعت ولكن يقول حرثت] قال أبو هريرة: ألم تسمعوا الله يقول ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ فتح القدير: ٥/٢٢٥.

إذا كان مسرورا منبسط النفس، ويقال تفكه إذا زالت عنه الفكاهة فصار حزينا لأن صيغة تفاعل تأتي لزوال الشيء كقولهم: تحرج وتأثم إذا زال عنه الحرج والإثم، فالمعنى: صرتم تحزنون على الزرع لو جعله الله حطاما، وقد عبر بعضهم عن تفكهون بأن معناه تتفجعون، وقيل: تندمون، وقيل: تعجبون وهذه معان متقاربة، والأصل ما ذكرنا.

﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ۝ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ تقديره: تقولون ذلك لو جعل الله زرعكم حطاما، والمغرم المعذب لأن الغرام هو أشد العذاب، ويحتمل أن يكون من الغرم أي مثقلون بما غرمنا من النفقة على الزرع، والمحروم الذي حرمه الله الخير.

﴿مِنَ الْمُزْنِ﴾ هي السحاب والأجاج الشديد الملوحة، فإن قيل: لم ثبتت اللام في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَاماً﴾ وسقطت في قوله: ﴿لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجاً﴾؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أغنى إثباتها أولا عن إثباتها ثانيا مع قرب الموضعين.

والآخر: أن هذه اللام تدخل للتأكيد فأدخلت في آية المطعوم دون آية المشروب، للدلالة على أن الطعام أوكد من الشراب؛ لأن الإنسان لا يشرب إلا بعد أن يأكل.

﴿النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ أي تقدحونها من الزناد، والزناد قد يكون من حجرين، ومن حجر وحديدة، ومن شجر وهو المرخ والعفار، ولما كانت عادة العرب في زنادهم من شجر قال الله تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ أي الشجرة التي تزند النار منها، وقيل: أراد بالشجرة نفس النار، كأنه يقول نوعها أو جنسها فاستعار الشجرة لذلك، وهذا بعيد.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَـٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي تذكر بنار جهنم. ﴿وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ﴾ المتاع ما

يتمتع به، ويحتمل المقوين أن يكون من الأرض القواء وهي الفيافي، ومعنى المقوين الذين دخلوا في القواء، ولذلك عبر ابن عباس[١] عنه بالمسافرين، ويحتمل أن يكون من قولهم: أقوى المنزل إذا خلا، فمعناه الذين خلت بطونهم أو موائدهم من الطعام، ولذلك عبر بعضهم عنه بالجائعين.

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ لا في هذا الموضع وأمثاله زائدة، وكأنها زيدت لتأكيد القسم أو لاستفتاح الكلام نحو: ألا، وقيل: هي نافية لكلام الكفار كأنه يقول: لا صحة لما يقول الكفار، وهذا ضعيف، والأول أحسن؛ لأن زيادة لا كثيرة معروفة في كلام العرب، ومواقع النجوم فيه قولان:

أحدهما: قال ابن عباس[٢]: إنها نجوم القرآن إذ نزل على النبي ﷺ مقطعا بطول عشرين سنة، فكل قطعة منه نجم.

والآخر: قول كثير من المفسرين أن النجوم الكواكب ومواقعها مغاربها ومساقطها، وقيل: مواضعها من السماء، وقيل: انكدارها يوم القيامة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وجوابه وقوله: لو تعلمون اعتراض بين الموصوف وصفته، فهو اعتراض في اعتراض، والمقصود بذلك تعظيم المقسم به وهو مواقع النجوم، وجواب القسم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ﴾ وأعاد الضمير على القرآن؛ لأن المعنى يقتضيه، أو لأنه مذكور على قول من قال: إن مواقع النجوم نزول القرآن.

﴿فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ أي مصون والمراد بهذا الكتاب المكنون المصاحف التي كتب فيها القرآن أو صحف القرآن التي بأيدي الملائكة عليهم السلام.

﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ الضمير يعود على الكتاب المكنون، ويحتمل أن

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم رقم: (٣٣٣٤)، والطبري في جامع البيان: ١٤٥/٢٣.

(٢) البغوي في معالم التنزيل: ٢٢/٨.

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الحَدِيدِ

ترتيبها ٥٧ — آياتها ٢٩

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

يعود على القرآن المذكور قبله، إلا أن هذا ضعيف لوجهين:

أحدهما: أن مس الكتاب حقيقة ومس القرآن مجاز، والحقيقة أولى من المجاز والآخر: أن الكتاب أقرب والضمير يعود على أقرب مذكور، فإذا قلنا إنه يعود على الكتاب المكنون، فإن قلنا: إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الملائكة، فالمطهرون يراد بهم الملائكة لأنهم مطهرون من الذنوب والعيوب، والآية إخبار بأنه لا يمسه إلا هم دون غيرهم، وإن قلنا إن الكتاب المكنون هو الصحف التي بأيدي الناس، فيحتمل أن يريد بالمطهرين المسلمين لأنهم مطهرون من الكفر، أو يريد المطهرين من الحدث الأكبر، وهي الجنابة أو الحيض، فالطهارة على هذا الاغتسال، أو المطهرين من الحدث الأصغر فالطهارة على هذا الوضوء، ويحتمل أن يكون قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ﴾ خبرا أو نهيا على أنه قد أنكر بعض الناس أن يكون نهيا، وقال: لو كان نهيا لكان بفتح السين، وقال المحققون: إن النهي يصح مع ضم السين؛ لأن الفعل المضاعف إذا كان مجزوما أو اتصل به ضمير المفرد المذكر ضم عند التقاء الساكنين إتباعا لحركة الضمير، وإذا جعلناه خبرا فيحتمل أن يقصد به مجرد الإخبار، أو يكون خبرا بمعنى النهي، وإذا كان لمجرد الإخبار، فالمعنى: أنه لا ينبغي أن يمسه إلا المطهرون أي هذا حقه، وإن وقع خلاف ذلك.

واختلف الفقهاء فيمن يجوز له مس المصحف على حسب الاحتمالات في

الآية، فأجمعوا على أنه لا يجوز أن يمسه كافر؛ لأنه إن أراد بالمطهرين المسلمين فذلك ظاهر، وإن أراد الطهارة من الحدث فالإسلام حاصل مع ذلك، وأما الحدث ففيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه لا يجوز أن يمسه الجنب، ولا الحائض، ولا المحدث حدثا أصغر، وهو قول مالك وأصحابه، ومنعوا أيضا أن يحمله بعلاقة أو وسادة، وحجتهم الآية، على أن يراد بالمطهرين الطهارة من الحدث الأكبر والأصغر، وقد احتج مالك في الموطإ بالآية على المسألة، ومن حجتهم أيضا كتاب[(١)] رسول الله ﷺ إلى عمرو بن حزم: «**أن لا يمس القرآن إلا طاهر**».

الثاني: أنه يجوز مسه للجنب والحائض والمحدث حدثا أصغر، وهو مذهب أحمد ابن حنبل[(٢)] والظاهرية، وحملوا المطهرين على أنهم المسلمون والملائكة، أو جعلوا لا يمسه لمجرد الإخبار.

والقول الثالث: أنه يجوز مسه بالحدث الأصغر دون الأكبر، ورخص مالك في مسه على غير وضوء للمعلم والصبيان؛ لأجل المشقة، واختلفوا في قراءة الجنب للقرآن، فمنعه الشافعي وأبو حنيفة مطلقا، وأجازه الظاهرية مطلقا، وأجاز مالك قراءة الآيات اليسيرة، واختلف في قراءة الحائض والنفساء للقرآن عن ظهر قلب، فعن مالك في ذلك روايتان، وفرق بعضهم بين اليسير والكثير.

---

(١) في الموطإ: أخبرنا مالك أخبرنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: إن في الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم: «لا يمس القرآن إلا طاهر» الحديث رقم: (٢٩٦) قال ابن حجر: وَوَصَلَهُ النَّسَائِيُّ، وَابْنُ حِبَّانَ، وَهُوَ مَعْلُول. بلوغ المرام، ص: ٢٧.

(٢) عزو جواز مس الجنب للمصحف للحنابلة غير مسلم، ففي المغني ١/١٠٨: ولا يمس المصحف إلا طاهر يعني طاهراً من الحدثين جميعًا، روي هذا عن ابن عمر والحسن وعطاء وطاوس والشعبي والقاسم بن محمد، وهو قول مالك والشافعي وأصحاب الرأي ولا نعلم مخالفا لهم إلا داود فإنه أباح مسه، واحتج بأن النبي صلى الله عليه وسلم كتب في كتابه آية إلى قيصر، وقال المؤلف في قوانينه: تمنع الجنابة من الصلاة كلها إجماعًا وسجود التلاوة إجماعا، ومن مس المصحف عند الأربعة خلافا للظاهرية، ص: ٩٨، ط وزارة الأوقاف الكويتية.

﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ هذا خطاب للكفار والحديث المشار إليه: هو القرآن، ومدهنون: معناه متهاونون، وأصله من المداهنة، وهي: لين الجانب والموافقة بالظاهر لا بالباطن، قال ابن عباس[١] معناه مكذبون.

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال ابن عطية: أجمع المفسرون على أن الآية توبيخ للقائلين في المطر: إنه نزل بنوء كذا وكذا، والمعنى تجعلون شكر رزقكم التكذيب، فحذف شكر لدلالة المعنى عليه، وقرأ علي ابن أبي طالب[٢] «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وكذلك قرأ ابن عباس[٣] إلا أنه قرأ تكذبون بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة، وقراءة علي بفتح التاء وإسكان الكاف من الكذب، أي يكذبون في قولهم: نزل المطر بنوء كذا، ومن هذا المعنى قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٤]: «إن الله تعالى يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي كافر بالكوكب، وكافر بي مؤمن بالكوكب، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكوكب كذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب»، والمنهي عنه في هذا الباب أن يعتقد أن للكوكب تأثيرا في المطر، وأما مراعاة العوائد التي أجراها الله تعالى فلا بأس به، لقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا أنشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة»[٥] وقد قال عمر للعباس[٦] وهما في الاستسقاء: كم بقي من نوء الثريا؟ فقال العباس: العلماء يقولون: إنها تعترض في الأفق بعد سقوطها سبعا، قال ابن الطيب: فما مضت سبع حتى مطروا، وقيل: إن معنى الآية: تجعلون سبب رزقكم تكذيبكم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنهم كانوا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم رقم: (٣٣٣٤)، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٢٨/٥.

(٢) فتح الباري: ١١٨١/٣، والدر المنثور: ٣٠/٨، والمحرر الوجيز: ٢٢٩/٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٢٢٩/٥.

(٤) البخاري الحديث رقم: (٩٩١)، ومسلم الحديث رقم: (٢٤٠)، وأبو داود الحديث رقم: (٣٩٠٨).

(٥) رواه مالك في الموطإ -بلاغا- من رواية يحيي بن يحيي الليثي، الحديث رقم: (٤٥٢).

(٦) الطبري في جامع البيان: ١٥٥/٢٣، وابن كثير: ٥٤٧/٧.

يقولون: إن آمنا به حرمنا الله الرزق كقولهم: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ﴾، فأنكر الله عليهم ذلك، وإعراب أنكم على هذا القول مفعول بتجعلون، على حذف مضاف، تقديره: تجعلون سبب رزقكم التكذيب، ويحتمل أن يكون مفعولا من أجله، تقديره: تجعلون رزقكم حاصلا من أجل أنكم تكذبون، وأما على القول الأول فإعراب أنكم تكذبون مفعول لا غير.

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ﴾ لولا هنا عرض، والضمير في بلغت للنفس؛ لأن سياق الكلام يقتضي ذلك، وبلوغها للحلقوم حين الموت، والفعل الذي دخلت عليه لولا هو قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي هلا رددتم النفس حين الموت، ومعنى الآية احتجاج على البشر وإظهار لعجزهم؛ لأنهم إذا حضر أحدهم الموت لم يقدروا أن يردوا روحه إلى جسده، وذلك دليل على أنهم عبيد مقهورون.

﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ هذا خطاب لمن يحضر الميت من أقاربه وغيرهم، يعني تنظرون إليه ولا تقدرون له على شيء.

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ يحتمل أن يريد قرب نفسه تعالى بعلمه واطلاعه، أو قرب الملائكة الذين يقبضون الأرواح، فيكون من قرب المسافة. ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ إن أراد بقوله: (نحن أقرب) الملائكة فقوله: ﴿لَّا تُبْصِرُونَ﴾ من رؤية العين، وإن أراد نفسه تعالى فهو من رؤية القلب.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ لولا هنا عرض كالأولى وكررت للتأكيد والبيان لما طال الكلام، والفعل الذي دخلت عليه لولا الأولى والثانية قوله: ﴿تَرْجِعُونَهَا﴾ أي هلا رددتم النفس إلى الجسد إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين وغير مربوبين ومقهورين فافعلوا ذلك إن كنتم صادقين في كفركم، وترتيب الكلام فلولا ترجعون النفس إذا بلغت الحلقوم إن كنتم غير مدينين فارجعوا إن كنتم صادقين.

﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ الضمير في كان للمتوفى، وكرر هنا ما ذكره في أول السورة من تقسيم الناس إلى ثلاثة أصناف: السابقين وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال، فالمراد بالمقربين هنا السابقون المذكورون هناك.

﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ الروح الاستراحة، وقيل: الرحمة، روي[1]: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ فروح بضم الراء ومعناه الرحمة، وقيل: الخلود أي بقاء الروح، وأما الريحان: فقيل: إنه الرزق، وقيل: الاستراحة، وقيل: الطيب، وقيل: الريحان المعروف، وفي قوله: ﴿رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ معنى هذا على الجملة نجاة أصحاب اليمين وسعادتهم، والسلام هنا يحتمل أن يكون بمعنى السلامة أو التحية، والخطاب في ذلك يحتمل أن يكون للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو لأحد من أصحاب اليمين، فإن كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالسلام بمعنى السلامة، والمعنى: سلام لك يا محمد منهم، أي لا ترى منهم إلا السلامة من العذاب، وإن كان الخطاب لأحد من أصحاب اليمين فالسلام بمعنى التحية، والمعنى: سلام لك أي تحية لك يا صاحب اليمين من إخوانك، وهم أصحاب اليمين أي يسلمون عليك فهو كقوله: ﴿إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا﴾ أو يكون بمعنى السلامة، والتقدير: سلامة لك يا صاحب اليمين ثم يكون قوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ خبر ابتداء مضمر، تقديره: أنت من أصحاب اليمين.

﴿وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ يعني الكفار وهم أصحاب الشمال وأصحاب المشأمة.

﴿فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ النزل أول شيء يقدم للضيف.

---

(١) قال ابن عطية: وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ (فروح) بضم الراء. المحرر الوجيز: ٥/٢٣٠.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ الإشارة إلى ما تضمنته هذه السورة من أحوال الخلق في الآخرة، وحق اليقين معناه الثابت من اليقين، وقيل: إن الحق واليقين بمعنى واحد، فهو من إضافة الشيء إلى نفسه، كقوله: مسجد الجامع، واختار ابن عطية أن يكون كقولك في أمر تؤكده: هذا يقين اليقين، أو صواب الصواب، بمعنى أنه نهاية الصواب.

﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «اجعلوها في ركوعكم، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: اجعلوها في سجودكم»[(١)] فلذلك استحب مالك وغيره أن يقول في السجود: «سبحان ربي الأعلى» «وفي الركوع سبحان ربي العظيم»[(٢)] وأوجبه الظاهرية، ويحتمل أن يكون المعنى تسبيح الله بذكر أسمائه، والاسم هنا جنس الأسماء، والعظيم صفة للرب، أو يكون الاسم هنا واحدا والعظيم صفة له، وكأنه أمره أن يسبح بالاسم الأعظم، ويؤيد هذا ويشير إليه اتصال سورة الحديد بها، وفي أولها التسبيح وجملة من أسماء الله وصفاته، قال ابن عباس[(٣)]: اسم الله الأعظم موجود في ست آيات من أول سورة الحديد، وروي[(٤)] «أن الدعاء عند قراءتها مستجاب».

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٣٧٨٣) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص: الحديث صحيح، وأبو داود الحديث رقم: (٨٦٩) قال الألباني ضعيف.

(٢) الدسوقي على الشرح الكبير: ٢٨١/١.

(٣) تفسير الثعالبي: ٢٦٠/٤، والمحرر الوجيز: ٢٣١/٥.

(٤) لم أجده مسندا.

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ * ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾

ثمن

سورة الحديد

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هذا التسبيح المذكور هنا وفي أوائل سائر السور المسبحات، يحتمل أن يكون حقيقة أو أن يكون بلسان الحال، لأن كل ما في السموات والأرض دليل على وجود الله وقدرته وحكمته، والأول أرجح لقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ وذكر التسبيح هنا وفي الحشر والصف بلفظ الماضي، وفي الجمعة والتغابن بلفظ المضارع، وكل واحد منهما يقتضي الدوام.

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ﴾ أي ليس لوجوده بداية، ولا لبقائه نهاية. ﴿وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ أي الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على الباطن الذي لا تدركه الأبصار، أو الباطن الذي لا تصل العقول إلى معرفة كنه ذاته، وقيل: الظاهر العالي على كل شيء، فهو من قولك: ظهرت على الشيء إذا علوت عليه، والباطن الذي بطن كل شيء أي علم باطنه، والأول أظهر وأرجح، ودخلت الواو بين هذه الصفات لتدل على أنه تعالى جامع لها مع اختلاف معانيها، وفي ذلك مطابقة لفظية، وهي من أحسن أدوات البيان.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ قد ذكر وكذلك ما بعده. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ يعني أنه حاضر مع كل أحد بعلمه وإحاطته، وأجمع العلماء على تأويل هذه الآية بذلك.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ﴾ ذكر في الحج ولقمان.

﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني الإنفاق في سبيل الله وطاعته، وروي: أنها نزلت في الإنفاق في غزوة تبوك، وعلى هذا روي أن قوله: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ﴾ نزلت في عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فإنه جهز جيش العسرة[1] يومئذ، ولفظ الآية مع ذلك عام، وحكمها باق لجميع الناس، وقوله ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾ يعني أن الأموال التي بأيديكم إنما هي أموال الله لأنه خلقها، ولكنه متعكم بها وجعلكم خلفاء بالتصرف فيها، فأنتم فيها بمنزلة الوكلاء، فلا تمنعوها من الإنفاق فيما أمركم مالكها أن تنفقوها فيه، ويحتمل أن يكون جعلكم مستخلفين عمن كان قبلكم فورثتم عنه الأموال، فأنفقوها قبل أن تخلفوها لمن بعدكم، كما خلفها لكم من كان قبلكم، والمقصود على كل وجه تحريض على الإنفاق، وتزهيد في الدنيا.

﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ معناه أي شيء يمنعكم من الإيمان والرسول يدعوكم إليه بالبراهين القاطعة، والمعجزات الظاهرة، فقوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾ استفهام يراد به الإنكار، ولا تؤمنون في موضع الحال من معنى الفعل الذي يقتضيه مالكم، والواو في قوله: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ واو الحال. ﴿وَقَدْ أَخَذَ مِيثَـٰقَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون هذا الميثاق ما جعل في العقول من النظر الذي يؤدي إلى الإيمان، أو يكون الميثاق الذي أخذه على بني آدم حين أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَـٰتٍۭ﴾ يعني سيدنا محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والعبودية هنا للتشريف والاختصاص، والآيات هنا القرآن.

﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية معناه أي شيء يمنعكم من الإنفاق

---

(١) تجهيز عثمان لجيش العسرة صحيح رواه البخاري الحديث رقم (٢٧٧٨): وغيره، لكن كونه سببا لتنزول الآية لم نعثر عليه مسندا.

في سبيل الله؟ والله يرث ما في السموات والأرض، إذا فني أهلها ففي ذلك تحريض على الإنفاق وتزهيد في الدنيا. ﴿لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الفتح هنا فتح مكة، وقيل: صلح الحديبية، والأول أظهر وأشهر، ومعنى الآية التفاوت في الأجر والدرجات بين من أنفق في سبيل الله وقاتل قبل فتح مكة، وبين من أنفق وقاتل بعد ذلك، فإن الإسلام قبل الفتح كان ضعيفا والحاجة إلى الإنفاق والقتال كانت أشد، ويؤخذ من الآية أن من أنفق في شدة أعظم أجرا ممن أنفق في حال الرخاء، وفي الآية حذف دل عليه الكلام، تقديره: لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل مع من أنفق من بعد الفتح وقاتل، ثم حذف ذلك لدلالة قوله: ﴿أُوْلَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُواْ﴾ وفي هذا المعنى قال رسول الله ﷺ[1]: «**لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» يعني السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وخاطب بذلك من جاء بعدهم من سائر الصحابة ويدخل في الخطاب كل من يأتي إلى يوم القيامة. ﴿وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ أي كل واحدة من الطائفتين الذين أنفقوا وقاتلوا قبل الفتح وبعده وعدهم الله الجنة.

﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾ ذكر في البقرة.

﴿يَوْمَ تَرَى﴾ العامل في الظرف أجر كريم أو تقدير اذكر. ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم﴾ قيل: إن هذا النور استعارة يراد به الهدى والرضوان، والصحيح هو قول الجمهور أنه حقيقة، وقد روي ذلك عن رسول الله ﷺ فالمعنى على هذا أن المؤمنين يكون لهم يوم القيامة نور يضيء قدامهم وعن يمين كل واحد منهم وقيل يكون أصله في أيمانهم يحملونه فينبسط نوره قدامهم وروي: أن نور كل أحد على قدر إيمانه، فمنهم من يكون نوره كالنخلة، ومنهم من يضيء ما قرب من قدميه، ومنهم من يضيء مرة ويهم بالإطفاء مرة، قال ابن عطية: ومن

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٣٤٧٠)، ومسلم: (٦٦٥١) بلفظ: «لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه».

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٣﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ • أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٥﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾

ربع

هذه الآية أخذ الناس مشي المعتق بالشمعة قدام معتقه إذا مات. ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ﴾ أي يقال لهم ذلك.

﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ يوم بدل من يوم ترى أو متعلق بالفوز العظيم أو بمحذوف، تقديره: اذكر ومعنى الآية أن كل مؤمن مظهر للإيمان يعطى يوم القيامة نورا فيبقى نور المؤمنين وينطفئ نور المنافقين فيقول المنافقون للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم أي نأخذ منه ونستضيء به ومعنى انظرونا انتظرونا وذلك لأن المؤمنين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف والمنافقون ليسوا كذلك، ويحتمل أن يكون من النظر أي انظروا إلينا لأنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فاستضاؤوا بنورهم ولكن يضعف هذا لأن نظر إذا كان بمعنى النظر بالعين بتعدي بإلى، وقرئ[1] أنظرونا بهمزة قطع، ومعناه أخرونا أي أمهلونا في مشيكم حتى نلحقكم. ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾ يحتمل أن يكون هذا من قول المؤمنين أو قول الملائكة، ومعناه الطرد للمنافقين والتهكم بهم لأنهم قد علموا أن ليس وراءهم نور، ووراءكم ظرف العامل فيه ارجعوا، وقيل: إنه لا موضع له من الإعراب، وأنه كما لو قال: ارجعوا ومعنى هذا الرجوع ارجعوا إلى الموقف فالتمسوا فيه النور،

(١) ﴿أنظرونا﴾ قرأ حمزة بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الظاء بمعنى أمهلونا، وقرأ الباقون بوصل الهمزة وضم الظاء أي انتظرونا. النشر: ٢/٤٢٤.

أو ارجعوا إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل الإيمان، أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم إلى هذا النور. ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ أي ضرب بين المؤمنين والمنافقين بسور يفصل بينهم، وفي ذلك السور باب لأهل الجنة يدخلون منه، وقيل: إن هذا السور هو الأعراف وهو سور بين الجنة والنار، وقيل: هو الجدار الشرقي من بيت المقدس، وهذا بعيد. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ باطنه هو جهة المؤمنين وظاهره هو جهة المنافقين، وهي خارجه، كقوله: ظاهر المدينة أي خارجها، والضمير في باطنه وظاهره يحتمل أن يكون للسور أو للباب، والأول أظهر. ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ أي ينادي المنافقون المؤمنين فيقولون لهم ألم نكن معكم في الدنيا، يريدون إظهارهم الإيمان. ﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ أي أهلكتموها وأضللتموها بالنفاق. ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ أي أبطأتم بإيمانكم، وقيل: تربصتم الدوائر بالنبي ﷺ وبالمسلمين. ﴿وَارْتَبْتُمْ﴾ أي شككتم في الإيمان. ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾ أي طول الأمل والتمني، ومن ذلك أنهم كانوا يتمنون أن يهلك النبي ﷺ والمؤمنون أو يهزمون، إلى غير ذلك من الأماني الكاذبة. ﴿حَتَّىٰ جَا أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ أي الفتح وظهور الإسلام، أو موت المنافقين على الحال الموجبة للعذاب. ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ هو الشيطان.

﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي هي أولى بكم وحقيقة المولى الولي الناصر، فكأن هذا استعارة منه، أي لا ولي لكم تأوون إليه إلا النار.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ معنى ألم يأن ألم يحن، يقال أَنَى الأمر إذا حان وقته، وذكر الله يحتمل أن يريد به القرآن، أو الذكر أو التذكير بالمواعظ، وهذه آية موعظة وتذكير، قال ابن عباس[1] عوتب المؤمنون بهذه الآية بعد ثلاثة عشر سنة من نزول القرآن، وسمع الفضيل بن عياض قارئا يقرأ

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٣٨، وابن أبي حاتم في تفسيره رقم: (٣٣٣٨).

هذه الآية، فقال: قد آن فكان سبب رجوعه إلى الله، وحكي أن عبد الله بن المبارك أخذ العود في صباه ليضربه فنطق بهذه الآية فكسره ابن المبارك وتاب إلى الله.

﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ﴾ عطف ولا يكونوا على أن تخشع، ويحتمل أن يكون نهيا والمراد التحذير من أن يكون المؤمنون كأهل الكتب المتقدمة، وهم اليهود والنصارى. ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي مدة الحياة، وقيل: انتظار القيامة، وقيل: انتظار الفتح، والأول أظهر.

﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي يحييها بإنزال المطر وإخراج النبات، وقيل: إنه تمثيل للقلوب أي يحي الله القلوب بالمواعظ كما يحي الأرض بالمطر، وفي هذا تأنيس للمؤمنين الذين ندبوا إلى أن تخشع قلوبهم، والأول أظهر وأرجح لأنه الحقيقة.

﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ﴾ بتشديد الصاد[1] من الصدقة وأصله المتصدقين وكذلك قرأ أبي بن كعب[2] وقرئ بالتخفيف من التصديق، أي صدقوا الرسول عليه الصلاة والسلام. ﴿وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ﴾ معطوف على المعنى، كأنه قال: إن الذين تصدقوا وأقرضوا، وقد ذكرنا معنى أقرضوا في قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ﴾.

﴿ٱلصِّدِّيقُونَ﴾ مبالغة من الصدق أو من التصديق، وكونه من الصدق أرجح؛ لأن صيغة فعيل لا تبنى إلا من فعل ثلاثي في الأكثر، وقد حكي بناؤها من رباعي كقولهم: رجل مسيك من أمسك. ﴿وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يحتمل أن يكون الشهداء مبتدأ وخبره ما بعده، أو يكون معطوفا على الصديقين، فإن كان مبتدءا ففي المعنى قولان:

---

(١) ﴿المصدقين والمصدقات﴾ قرأ ابن كثير وأبو بكر بتخفيف الصاد فيهما، وقرأ الباقون بتشديدها منهما. النشر: ٢/٤٢٤.

(٢) قال ابن عطية: وفي مصحف أبي بن كعب (إن المتصدقين) المحرر الوجيز: ٥/٢٣٩.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰٓئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰٓئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ● مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

ثمن

أحدهما: أنه جمع شهيد في سبيل الله، فأخبر أنهم عند ربهم لهم أجرهم ونورهم.

والآخر: أنه جمع شاهد ويراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنهم يشهدون على قومهم، وإن كان معطوفا ففي المعنى قولان:

أحدهما: أنه جمع شهيد فوصف الله المؤمنين بأنهم صديقون وشهداء، أي جمعوا الوصفين، وروي[1] في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال: «مؤمنو أمتي شهداء» وتلا هذه الآية.

والآخر: أنه جمع شاهد لأن المؤمنين يشهدون على الناس كقوله: ﴿لِّتَكُونُوا شُهَدَآءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ هذا خبر عن الشهداء خاصة إن كان مبتدءا أو خبر عن المؤمنين إن كان الشهداء معطوفا، ونورهم هو النور الذي يكون لهم يوم القيامة حسبما ذكر في هذه السورة، وقيل: هو عبارة عن الهدى والإيمان.

﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ الآية معناها تشبيه الدنيا بالزرع الذي ينبته الغيث في سرعة تغيره بعد حسنه وتحطمه بعد ظهوره، والكفار هنا يراد به الزراع فهو من قوله كفرت الحب إذا سترته تحت الأرض، وخصهم بالذكر لأنهم أهل البصر بالزرع والفلاحة، فلا يعجبهم إلا ما هو حقيق أن يعجب، وقيل: أراد

---

(١) لم أجده.

الكفار بالله، وخصهم بالذكر لأنهم أشد إعجابا بالدنيا، وأكثر حرصا عليها.

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ أي سابقوا إلى الأعمال التي تستحقون بها المغفرة، فقيل: المعنى كونوا في أول صف من القتال، وقيل: احضروا تكبيرة الإحرام مع الإمام، وقيل: كونوا أول داخل إلى المسجد وأول خارج منه، وهذه أمثلة، والمعنى العام: المسابقة إلى جميع الأعمال الصالحات، وقد استدل بها قوم على أن الصلاة في أول الوقت أفضل. ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ السماء هنا يراد به جنس السموات، بدليل قوله في آل عمران: ﴿عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ وقد ذكرنا هناك معنى عرضها.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآ﴾ المعنى: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ، من قبل أن تكون، قال رسول الله ﷺ[1]: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء» والمصيبة هنا عبارة عن كل ما يصيب من خير أو شر، وقيل: أراد به المصيبة في العرف، وهو ما يصيب من الشر، وخص ذلك بالذكر لأنه أهم على الناس وفي الأرض يعني القحوط والزلازل وغير ذلك، وفي أنفسكم يعني الموت والمرض والفقر وغير ذلك، ونبرأها معناه نخلقها، والضمير يعود على المصيبة، أو على أنفسكم، أو على الأرض، وقيل: يعود على جميعها؛ لأن المعنى صحيح في كلها.

﴿لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ المعنى: فعل الله

(١) قال الحافظ ابن كثير: ثبت في صحيح مسلم من رواية عبد الله بن وهب وغيره، عن أبي هانئ الخولاني، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» زاد ابن وهب: ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾. ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب. تفسير القرآن العظيم: ٧/٤٨٥.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

ذلك وأخبركم به لكي تسلموا لقضاء الله ولا تكترثوا بأمور الدنيا، ومعنى لا تأسوا لا تحزنوا، أي فلا تحزنوا على ما فاتكم منها، ولا تفرحوا بها وقرأ الجمهور[1] بما آتاكم بالمد أي بما أعطاكم الله من الدنيا، وقرأ أبو عمرو بما أتاكم بالقصر، أي بما جاءكم من الدنيا، **فإن قيل:** إن الإنسان لا يملك نفسه عن أن يفرح بالخير ويحزن للشر، كما قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2]، لما أتي بمال كثير: اللهم إنا لا نستطيع إلا أن نفرح بما زينت لنا؟ **فالجواب:** أن النهي عن الفرح إنما هو عن الذي يقود إلى الكبر والطغيان وعن الحزن الذي يخرج عن الصبر والتسليم. ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ المختال صاحب الخيلاء، والفخور شديد الفخر على الناس.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ بدل من كل مختال فخور، أو خبر ابتداء مضمر تقديره: هم الذين، أو منصوب بإضمار، أعني أو مبتدأ وخبره محذوف.

﴿وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْمِيزَانَ﴾ الكتاب هنا جنس الكتب، والميزان العدل، وقيل: الميزان الذي يوزن به، وروي: أن جبريل نزل بالميزان ودفعه إلى

---

(١) ﴿بما آتاكم﴾ قرأ أبو عمرو بقصر الهمزة وقرأ الباقون بمدها. النشر: ٢/٤٢٤.

(٢) هذه الرواية أخذها المؤلف من ابن عطية المحرر الوجيز: ١/٢٧٠، وهذا الكلام ثابت عن عمر كما في مختصر صحيح البخاري الحديث رقم: (٢٣٦٥)، ومصنف ابن أبي شيبة الحديث رقم: (٣٤٤٦٤)، وكذلك جل المفسرين ينسبونه لعمر.

نوح، وقال له: مر قومك يزنوا به. ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ عبر عن خلقه وإيجاده بالإنزال، وقيل: بل أنزله حقيقة لأن آدم نزل من الجنة ومعه المطرقة والإبرة. ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يعني أنه يعمل منه سلاح للقتال، ولذلك قال: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ﴾ والمنافع للناس: سكك الحرث والمسامير وغير ذلك.

﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ أي من ذرية نوح وإبراهيم مهتدون قليلون، وأكثرهم فاسقون لأن منهم اليهود والنصارى وغيرهم.

﴿قَفَّيْنَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ هذا ثناء عليهم بمحبة بعضهم في بعض، كما وصف أصحاب سيدنا محمد ﷺ بأنهم رحماء بينهم. ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ الرهبانية هي الانفراد في الجبال والانقطاع عن الناس في الصوامع، ورفض النساء وترك الدنيا، ومعنى ابتدعوها أي أحدثوها من غير أن يشرعها الله لهم، وإعراب رهبانية معطوف على رأفة ورحمة، أي جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة والرهبانية، وابتدعوها صفة للرهبانية، والجعل هنا بمعنى الخلق، والمعتزلة يعربون رهبانية مفعولا بفعل مضمر يفسره: ابتدعوها؛ لأن مذهبهم أن الإنسان يخلق أفعاله، فأعربوها على مذهبهم، وكذلك أعربها أبو علي الفارسي، وذكر الزمخشري الوجهين. ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ كتبنا هنا بمعنى فرضنا وشرعنا، وفي هذا قولان:

أحدهما: أن الاستثناء منقطع، والمعنى: ما كتبنا عليهم الرهبانية ولكنهم فعلوها من تلقاء أنفسهم ابتغاء رضوان الله.

والآخر: أن الاستئناف متصل، والمعنى: كتبناها عليهم ابتغاء رضوان الله، والأول أرجح لقوله: ﴿ابْتَدَعُوهَا﴾ ولقراءة عبد الله بن مسعود: ما كتبناها عليهم «لكن ابتدعوها»[1].

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن مسعود (ما كتبناها عليهم لكن ابتدعوها) المحرر الوجيز: ٥/٢٤٥.

﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ أي لم يدوموا عليها ولم يحافظوا على الوفاء بها، يعني أن جميعهم لم يرعوها وإن رعاها بعضهم، والضمير في رعوها للذين ابتدعوا الرهبانية، وكان يجب عليهم إتمامها وإن لم يكتبها الله سبحانه وتعالى عليهم؛ لأن من دخل في شيء من النوافل يجب عليه إتمامه، وقيل: الضمير لمن جاء بعد الذين ابتدعوا الرهبانية من أتباعهم.

﴿وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ﴾ إن قيل: كيف خاطب الذين آمنوا وأمرهم بالإيمان وتحصيل الحاصل لا ينبغي؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معنى آمنوا دوموا على الإيمان واثبتوا عليه.

والآخر: أنه خطاب لأهل الكتاب، فالمعنى: يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد ﷺ، ويؤيد هذا قوله: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ أي نصيبين وقال رسول الله ﷺ[(١)] «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي**» الحديث.

﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يحتمل أن يريد النور الذي يسعى بين أيدي المؤمنين يوم القيامة، أو يكون عبارة عن الهدى، ويؤيد الأول أنه مذكور في هذه السورة، ويؤيد الثاني قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُوراً يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ لا في قوله: لئلا زائدة، والمعنى: ليعلم أهل الكتاب، وكذلك قرأها ابن عباس[(٢)]، وقرأ

---

(١) في الصحيح حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا صالح بن حي أبو حسن قال سمعت الشعبي يقول حدثني أبو بردة أنه سمع أباه: عن النبي ﷺ قال (ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعلمها فيحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن أدبها ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران ومؤمن أهل الكتاب الذي كان مؤمنا ثم آمن بالنبي ﷺ فله أجران والعبد الذي يؤدي حق الله وينصح لسيده) البخاري الحديث رقم: (٢٨٤٩)، ومسلم الحديث رقم: (٤٠٤).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٤٥.

ابن مسعود[١] لكيلا يعلم، والمعنى: إن كان الخطاب لأهل الكتاب يا أهل الكتاب آمنوا بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أن لا يقدروا على شيء من فضل الله الذي وعد من آمن منكم وهو تضعيف الأجر والنور والمغفرة؛ لأنهم لم يسلموا فلم ينالوا شيئا من ذلك، وإن كان الخطاب للمسلمين، فالمعنى: ليعلم أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا أنهم لا يقدرون أن ينالوا شيئا مما أعطى الله المسلمين من تضعيف الأجر والنور والمغفرة، وقد روي: في سبب نزول الآية أن اليهود افتخرت على المسلمين فنزلت الآية، في الرد عليهم، وهو يقوي هذا القول، وروي أيضا أن سببها: أن الذين أسلموا من أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المسلمين بأنهم يؤتيهم الله أجرهم مرتين، فنزلت الآية، معلمة أن المسلمين مثلهم في ذلك.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) قال القرطبي: وعن ابن مسعود ﴿لِكَيْلا يَعْلَمَ﴾ الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٢٦٨.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١) الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٣) فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤) إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٥) يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٦)

سورة المجادلة

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ نزلت الآية[(١)] في خولة بنت حكيم، وقيل: خولة بنت ثعلبة، وقيل: خولة بنت خويلد، وقيل: اسمها جميلة، وكانت امرأة أوس بن الصامت الأنصاري أخي عبادة بن الصامت فظاهر منها، وكان الظهار في الجاهلية يوجب تحريما مؤبدا، فلما فعل أوس ذلك جاءت امرأته إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: إن أوسا أكل شبابي، ونشرت له بطني، فلما كبرت ومات أهلي ظاهر مني، فقال رسول الله ﷺ: ما رأيتك إلا قد حرمت عليه، فقالت يا رسول الله لا تفعل؛ إني وحيدة ليس لي أهل سواه، فراجعها رسول الله ﷺ بمثل مقالته فراجعته، فهذا هو جدالها. ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ كانت تقول: اللهم إني أشكو إليك حالي وانفرادي وفقري، وروي: أنها كانت تقول: اللهم إن لي منه صبية صغارا إن ضممتهم إلي جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا[(٢)]. ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المحاورة هي المراجعة في الكلام، قالت عائشة رضي الله عنها[(٣)]: سبحان من وسع سمعه الأصوات، لقد كنت حاضرة وكان بعض كلام خولة يخفى علي، وسمع الله كلامها ونزل القرآن في ذلك فبعث رسول الله ﷺ إلى زوجها، وقال له: أتعتق رقبة،

---

(١) انظر الطبري في جامع البيان: ٢٣/٢١٩، وما بعدها.

(٢) البغوي في معالم التنزيل: ٨/٤٧.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٢٤٧.

فقال: والله ما أملكها، فقال: أتصوم شهرين متتابعين؟، فقال: والله ما أقدر، فقال له: أتطعم ستين مسكينا؟، فقال: لا أجد إلا أن يعينني رسول الله ﷺ بمعونة وصلاة، يريد الدعاء، فأعانه رسول الله ﷺ بخمسة عشر صاعا، وقيل: بثلاثين صاعا ودعا له فكفر بالإطعام وأمسك زوجته.

﴿ٱلَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم﴾ قرئ[1] يظاهرون بألف بعد الظاء وبحذفها وبالتشديد والتخفيف والمعنى واحد وهو إيقاع الظهار، والظهار المجمع عليه: هو أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي، ويجرى مجرى ذلك عند مالك: تشبيه الزوجة بكل امرأة محرمة على التأبيد كالبنت والأخت وسائر المحرمات بالنسب، والمحرمات بالرضاع، والمصاهرة. سواء ذكر لفظ الظهر أو لم يذكره كقوله: أنت علي كأمي أو كبطن أمي أو يدها أو رجلها، خلافا للشافعي فإن ذلك كله عنده ليس بظهار لأنه وقف عند لفظ الآية، وقاس مالك عليها؛ لأنه رأى أن المقصد تشبيه حلال بحرام. ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ رد الله بهذا على من كان يوقع الظهار ويعتقده حقيقة، وأخبر تعالى أن تصيير الزوجة أما باطل، فإن الأم في الحقيقة إنما هي الوالدة.

﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾ أخبر تعالى أن الظهار منكر وزور، فالمنكر: هو الذي لا تعرف له حقيقة، والزور: هو الكذب، وإنما جعله كذبا؛ لأن المظاهر يصير امرأته كأمه، وهي لا تصير كذلك أبدا، والظهار محرم، ويدل على تحريمه أربعة أشياء:

أحدها: قوله تعالى: ﴿مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ﴾ فإن ذلك تكذيب للمظاهر.

---

(١) ﴿يظاهرون﴾ قرأ عاصم بضم الياء وتخفيف الظاء والهاء وكسرها وألف بينهما في الموضعين، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف بفتح الياء وتشديد الظاء وألف بعدها وتخفيف الهاء وفتحها، وقرأ الباقون كذلك إلا أنه بتشديد الهاء من غير ألف قبلها. النشر: ٢/٤٢٥.

والثاني: أنه سماه منكرا.

والثالث: أنه سماه زورا.

والرابع: قوله: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ فإن العفو والمغفرة لا تقع إلا عن ذنب، وهو مع ذلك لازم للمظاهر حتى يرفعه بالكفارة.

﴿وَالَّذِينَ يَظَّهَّرُونَ مِن نِّسَآبِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ اختلف الناس في معنى قوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ﴾ على ستة أقوال:

الأول: أنه إيقاع الظهار في الإسلام، فالمعنى: أنهم كانوا يظاهرون في الجاهلية فإذا فعلوه في الإسلام فذلك عود إليه، هذا قول ابن قتيبة فتجب الكفارة عنده بنفس الظهار، بخلاف أقوال غيره فإن الكفارة لا تجب إلا بالظهار والعود معا.

الثاني: أن العود: هو وطء الزوجة، روي ذلك عن مالك فلا تجب الكفارة على هذا حتى يطأ، فإذا وطئ وجبت عليه الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الثالث: أن العود هو العزم على الوطء، وروي هذا أيضا عن مالك فإذا عزم على الوطء وجبت الكفارة سواء أمسك المرأة أو طلقها أو ماتت.

الرابع: أن العود هو العزم على الوطء وعلى إمساك الزوجة، وهذا أصح الروايات عن مالك.

الخامس: أنه العزم على الإمساك خاصة وهذا مذهب الشافعي فإذا ظاهر ولم يطلقها بعد الظهار وجبت الكفارة.

السادس: أنه تكرار الظهار مرة أخرى وهذا مذهب الظاهرية، وهو ضعيف؛ لأنهم لا يرون الظهار يوجب حكما في أول مرة وإنما يوجبه في الثانية، وإنما نزلت

الآية فيمن ظاهر لأول مرة فذلك يرد عليهم، ويختلف معنى ﴿لِمَا قَالُوا﴾ باختلاف هذه الأقوال، فأما على قول ابن قتيبة والظاهرية، فما مصدرية، والمعنى: يعودون لقولهم، وأما على سائر الأقوال: فما بمعنى الذي، والمعنى: يعودون للوطء الذي حرموه، أو للعزم عليه، أو للإمساك الذي تركوه، أو للعزم عليه.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ جعل الله الكفارة في الظهار على ثلاثة أنواع: مرتبة لا ينتقل إلى الثاني حتى يعجز عن الأول، ولا ينتقل إلى الثالث حتى يعجز عن الثاني، فالأول: تحرير رقبة، والثاني: صيام شهرين متتابعين، والثالث: إطعام ستين مسكينا. فأما الرقبة: فاشترط مالك أن تكون مؤمنة؛ لأن مذهبه حمل المطلق على المقيد، وجاءت هنا مطلقة وجاءت في كفارة القتل مقيدة بالإيمان.

وأما صيام الشهرين: فاشترط فيه التتابع، فإن أفسد الصائم التتابع باختياره: ابتدأه من أوله باتفاق، وإن أفسده بعذر كالمرض والنسيان فقال مالك: يبنى على ما كان فيه، وقال أبو حنيفة: يبتدئ، وروي القولان عن الشافعي.

وأما الإطعام: فمشهور مذهب مالك أنه مد لكل مسكين بمد هشام[1] واختلف في مد هشام، فقيل: إنه مدان غير ثلث بمد النبي ﷺ، وقيل: إنه مد وثلث، وقيل: إنه مدان، وقال الشافعي وابن القصار: يطعم مدا بمد النبي ﷺ لكل مسكين، ولا يجزئه إلا كمال عدد الستين، فإن أطعم مسكينا واحدا ستين يوما لم يجزه عند مالك والشافعي خلافا لأبي حنيفة، وكذلك إن أطعم ثلاثين مرتين، والطعام يكون من غالب قوت البلد.

﴿مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَّا﴾ مذهب مالك والجمهور أن المسيس هنا يراد به الوطء

---

(١) هو هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة، المخزومي، والي المدينة ومن أعيانها، ولاه عبد الملك بن مروان على المدينة، ت: بعد: ٨٧هـ وهشام هذا هو الذي ينسب إليه (مد هشام) عند الفقهاء وربما قالوا: المد الشامي يريدون الهشامي. انظر الأعلام للزركلي: ٨/٨٤، وأزهار الرياض: ٣/٦٩، والكامل لابن الأثير: ٤/١٨٣..

ثمن

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ● أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾

وما دونه من اللمس والتقبيل، فلا يجوز للمظاهر أن يفعل شيئا من ذلك حتى يكفر، وقال الحسن[1] والثوري: أراد الوطء خاصة؛ فأباحا ما دونه قبل الكفارة.

وذكر الله، قوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا﴾ في التحريم والصوم ولم يذكره في الإطعام، فاختلف العلماء في ذلك، فحمل مالك الإطعام على ما قبله، ورأى أنه لا يكون إلا قبل المسيس، وجعل ذلك من المطلق الذي يحمل على المقيد، وقال أبو حنيفة: يجوز للمظاهر إذا كان من أهل الإطعام أن يطأ قبل الكفارة لأن الله لم ينص في الإطعام أنه قبل المسيس.

﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا﴾ قال ابن عطية: الإشارة إلى الرخصة في النقل من التحرير إلى الصوم، وقال الزمخشري المعنى: ذلك البيان والتعليم لتؤمنوا، وهذا أظهر لأنه أعم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ أي يخالفون ويعادون. ﴿كُبِتُوا﴾ أي هلكوا، وقيل: لعنوا، وقيل: كبت الرجل إذا بقي خزيان ونزلت الآية في المنافقين واليهود.

﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ﴾ يحتمل أن يكون النجوى هنا بمعنى الكلام الخفي، فيكون ثلاثة مضافا إليه، أو بمعنى الجماعة من الناس، فيكون ثلاثة بدلا، والأول أحسن. ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ يعني بعلمه وإحاطته، وكذلك سادسهم ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾.

---

(١) تفسير ابن كثير: ٨/٤٠.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾ نزل في قوم من اليهود كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون على المؤمنين، فنهاهم رسول الله ﷺ عن ذلك فعادوا، وقيل: نزلت في المنافقين والأول أرجح لقوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾؛ لأن هذا من فعل اليهود، والأحسن أن المراد اليهود والمنافقين معا، لقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ فنزلت الآية في الطائفتين.

﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾ كانت اليهود يأتون رسول الله ﷺ[1] فيقولون: السام عليك يا محمد، بدلا من السلام عليكم، والسام الموت، وهو ما أرادوه بقولهم، وكان رسول الله ﷺ يقول لهم: وعليكم، فسمعتهم عائشة يوما فقالت: بل عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله ﷺ: مهلا يا عائشة إن الله يكره الفحش والتفحش، فقالت: أما سمعت ما قالوا؟ قال: أما سمعت ما قلت لهم؟ إني قلت: وعليكم، ويريد بقوله: ما لم يحيك به الله، قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾. ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ كانوا يقولون: لو كان نبيئا لعذبنا الله بإذايته فقال الله ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي يكفيهم ذلك عذابا.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قيل: يعني النجوى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، وحذف وصفها بذلك لدلالة الأول عليه، وقيل: أراد نجوى اليهود والمنافقين، ويؤيد هذا قوله: ﴿لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ﴾ اختلف في سبب نزول الآية، فقيل: نزلت في مقاعد الحرب والقتال، وقيل: نزلت بسبب ازدحام الناس في مجلس رسول الله ﷺ وحرصهم على القرب منه، وقيل: أقام النبي ﷺ قوما ليجلس أشياخا من أهل بدر في مواضعهم فنزلت الآية، ثم اختلفوا

(١) البخاري الحديث رقم: (٢٧٧٧)، ومسلم الحديث رقم: (٥٧٨٤)، وقد سبق تخريجه.

هل هي مقصورة على مجلس النبي ﷺ أو هي عامة في جميع المجالس؟ فقال قوم: إنها مخصوصة ويدل على ذلك قراءة المجلس[١] بالإفراد وذهب الجمهور إلى أنها عامة ويدل على ذلك قراءة المجالس بالجمع وهذا هو الأصح، ويكون المجلس بالإفراد على هذا للجنس والتفسيح المأمور به هو التوسع دون القيام، ولذلك قال رسول الله ﷺ[٢]: «**لا يقم أحد من مجلسه ثم يجلس الرجل فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا**» وقد اختلف في هذا النهي عن القيام من المجلس لأحد هل هو على التحريم أو الكراهة. ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي يوسع لكم في جنته ورحمته. ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا﴾ أي إذا قيل لكم ارتفعوا وقوموا فافعلوا ذلك واختلف في هذا النشوز المأمور به، فقيل: إذا دعوا إلى قتال أو صلاة أو فعل طاعة، وقيل: إذا أمروا بالقيام من مجلس رسول الله ﷺ؛ لأنه كان يحب الانفراد أحيانا، وربما جلس قوم حتى يؤمروا بالقيام، وقيل: المراد القيام في المجلس للتوسع. ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فيها قولان: أحدهما: يرفع الله المؤمنين العلماء درجات، فقوله: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ صفة للذين آمنوا كقوله: جاءني العاقل الكريم، وأنت تريد رجلا واحدا.

والثاني: يرفع الله المؤمنين والعلماء الصنفين جميعا درجات، فالدرجات على الأول للمؤمنين بشرط أن يكونوا علماء، وعلى الثاني للمؤمنين الذين ليسوا علماء وللعلماء أيضا، ولكن بين درجات العلماء وغيرهم تفاوت يوجد في موضع آخر، كقوله ﷺ[٣]: «**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على**

---

(١) ﴿المجلس﴾ قرأ عاصم ﴿المجالس﴾ بألف على الجمع، وقرأ الباقون بغير ألف على التوحيد. النشر: ٢/٤٢٥.

(٢) متفق عليه بلفظ: «لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه» زاد مسلم «وَلَكِنْ تَفَسَّحُوا وَتَوَسَّعُوا» البخاري الحديث رقم: (٥٩١٤)، وفي رواية لمسلم: «لاَ يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ثُمَّ يَجْلِسُ فِي مَجْلِسِهِ» مسلم الحديث رقم: (٥٨١٥).

(٣) رواه أبو داود الحديث رقم: (٣٦٤٣) بزيادة: «وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ=

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٢) ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ (١٣) ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (١٤) أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدًاۖ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (١٥) ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ (١٦) لَّن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (١٧) يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ (١٨) ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ (١٩) إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ (٢١)

ربع

سائر الكواكب» وقوله عليه الصلاة والسلام[1]: «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم رجلا» وقوله عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[2]: «يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء» فإذا كان لهم فضل على العابدين والشهداء فما ظنك بفضلهم على سائر المؤمنين.

﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ قال ابن عباس: سببها أن قوما من شبان المسلمين كثرت مناجاتهم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في غير حاجة لتظهر منزلتهم وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ سمحا لا يرد أحدا فنزلت الآية مشددة في أمر المناجاة، وقيل: سببها أن الأغنياء غلبوا الفقراء على مناجاة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهذه الآية منسوخة باتفاق نسخها قوله بعدها.

﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ الآية فأباح الله لهم المناجاة دون تقديم صدقة بعد أن كان أوجب تقديم الصدقة قبل مناجاته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، واختلف هل كان هذا النسخ بعد أن عمل بالآية أم لا؟ فقال قوم: لم يعمل بها

= يُوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ». قال الشيخ الألباني صحيح.

(١) رواه الترمذي إلا كلمة «رجلا» الحديث رقم: (٢٦٨٥)، وقال: ثم قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير. قال الشيخ الألباني: صحيح.

(٢) كنز العمال: ٤٠١/١٤.

أحد[١]، وقال قوم: عمل بها علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، روي أنه كان له دينار فصرفه بعشرة دراهم وناجاه عشر مرات، تصدق في كل مرة منها بدرهم، وقيل: تصدق في كل مرة بدينار ثم أنزل الله الرخصة لمن كان قادرا على الصدقة، وأما من لم يجد فالرخصة لم تزل ثابتة له بقوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ التوبة هنا يراد بها عفو الله عنهم في تركهم للصدقة التي أمروا بها أو تخفيفها بعد وجوبها. ﴿فَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ﴾ أي دوموا على هذه الأعمال التي هي قواعد شرعكم دون ما كنتم قد كلفتم من الصدقة عند المناجاة.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم﴾ نزلت في قوم من المنافقين تولوا قوما من اليهود وهم الذين غضب الله عليهم. ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ﴾ يعني أن المنافقين ليسوا من المسلمين ولا من اليهود فهو كقوله فيهم: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لاَ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلاَ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾ ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني أن المنافقين كانوا إذا عوتبوا على سوء أقوالهم وأفعالهم حلفوا أنهم ما قالوا ولا فعلوا، وقد صدر ذلك منهم مرارا كثيرة هي مذكورة في السير وغيرها.

﴿اتَّخَذُواْ أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ أصل الجنة ما يستتر به ويتقى به المحذور كالترس ثم استعمل هنا استعارة لأنهم كانوا يظهرون الإسلام لتعصم دماؤهم وأموالهم وقرئ[٢]

---

(١) هذا هو الأصح لما روى الحاكم (٥٢٤/٢) قال: أخبرني عبد الله بن محمد الصيدلاني ثنا محمد بن أيوب أنبأ يحيى بن المغيرة السعدي ثنا جرير منصور عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد، ولا يعمل بها بعدي أحد: آية النجوى ﴿يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً﴾ قال: كان عندي دينار نجواي درهما ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ﴾ هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) قال ابن عطية وقرئ: «إيمانهم» بالكسر أي: اتخذوا أيمانهم التي حلفوا بها أو إيمانهم الذي أظهروه ﴿جُنَّةً﴾ أي سترة يتسترون بها من المؤمنين، ومن قتلهم. المحرر الوجيز: ٤٩٥/٥.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الحَشْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾

«اتخذوا إيمانهم» بكسر الهمزة.

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ أي غلب عليهم وتملك نفوسهم.

﴿فِي الْأَذَلِّينَ﴾ أي في جملة الأذلين أي معهم. ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ أي قضى وقدر.

﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا﴾ الآية معناها لا تجد مؤمنا يحب كافرا ولو كان أقرب الناس إليه، وهذه حال المؤمن الصادق الإيمان، ولذلك كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم إذا كانوا كفارا(١)، فقد قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه يوم أحد، وقتل مصعب بن عمير أخاه عزيز بن عمير يوم أحد، ودعا أبو بكر الصديق ابنه يوم بدر للبراز فأمره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يقعد، وقيل: إن الآية نزلت في حاطب(٢) حين كتب إلى المشركين يخبرهم بأخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأحسن أنها على العموم، وقيل نزلت فيمن يصحب السلطان وذلك بعيد ﴿يُوَادُّونَ﴾ هذه مفاعلة من المودة فتقتضي أن المودة من الجهتين. ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ أي عاداه وخالفه. ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ أي أثبته فيها كأنه مكتوب. ﴿وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ أي بلطف وهدى وتوفيق، وقيل: بالقرآن، وقيل: بجبريل. ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ هذه في مقابلة قوله: ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ والحزب هم الجماعة المتحزبون لمن أضيفوا إليه.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٧/٣٠٧، وزاد المسير لابن الجوزي: ٨/١٩٨، واللباب: ١٨/٥٥٩، والكشاف: ٤/٤٩٧.

(٢) تقدم تخريجه.

سورة الحشر

نزلت هذه السورة في يهود بني النضير[١] وكانوا في حصون بمقربة من المدينة وكان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، فأرادوا غدره فأطلعه الله على ذلك فخرج إليهم وحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، حتى صالحوه على أن يخرجوا من حصونهم فخرجوا منها وتفرقوا في البلاد.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ يعني بني النضير. ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ في معناه أربعة أقوال:

أحدها: أنه حشر القيامة أي خروجهم من حصونهم أول الحشر والقيام من القبور آخره، وروي[٢]: في هذا المعنى أن رسول الله ﷺ قال لهم: «امضوا هذا أول الحشر وأنا على الأثر».

الثاني: أن المعنى لأول موضع الحشر وهو الشام وذلك أن أكثر بني النضير خرجوا إلى الشام وقد جاء في الأثر أن حشر القيامة إلى أرض الشام، وروي في هذا المعنى أن النبي ﷺ قال لبني النضير: اخرجوا، قالوا إلى أين؟ قال إلى أرض المحشر.

الثالث: أن المراد الحشر في الدنيا الذي هو الجلاء والإخراج فإخراجهم من حصونهم أول الحشر وإخراج أهل خيبر آخره.

الرابع: أن معناه أخراجهم من ديارهم لأول ما حشر لقتالهم لأنه أول قتال قاتلهم النبي ﷺ، وقال الزمخشري: اللام في قوله: لأول بمعنى عند، كقولك: جئت لوقت كذا.

---

(١) الكشف والبيان للثعلبي النيسابوري: ٩/٢٦٦، وكذلك هو في كتب التفسير.

(٢) ابن كثير في تفسيره: ٨/٥٩، والدر المنثور: ٨/٨٩.

﴿مَا ظَنَنتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا۟﴾ يعني لكثرة عدتهم ومنعة حصونهم. ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ عبارة عن أخذ الله لهم. ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أما إخراب المؤمنين فهو هدم أسوار الحصون ليدخلوها، وأسند ذلك إلى الكفار في قوله يخربون لأنه كان بسبب كفرهم وغدرهم، وأما إخراب الكفار لبيوتهم فلثلاثة مقاصد:

أحدها: حاجتهم إلى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الأزقة ويحصنوا ما خربه المسلمون من الأسوار.

والثاني: ليحملوا معهم ما أعجبهم من الخشب والسواري وغير ذلك.

الثالث: أن لا تبقى مساكنهم مبنية للمسلمين فهدموها شحا عليها.

﴿فَاعْتَبِرُوا۟ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ استدل الذين أثبتوا القياس في الفقه بهذه الآية، واستدلالهم بها ضعيف خارج عن معناها.

﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ الجلاء هو الخروج عن الوطن، فالمعنى: لولا أن كتب الله على بني النضير خروجهم عن أوطانهم لعذبهم في الدنيا بالسيف، كما فعل بإخوانهم بني قريظة ولهم مع ذلك عذاب النار. ﴿شَآقُّوا۟﴾ ذكر في الأنفال.

﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ اللينة هي النخلة، وقيل: هي الكريمة من النخل، وقيل: النخلة التي ليست بعجوة، وقيل: ألوان النخل المختلط، وسبب الآية أن رسول الله ﷺ لما نزل على حصون بني النضير قطع المسلمون بعض نخلهم وأحرقوه، فقال بنو النضير: ما هذا الإفساد يا محمد؟ وأنت تنهى عن الفساد، فنزلت الآية[١] معلمة أن كل ما جرى من قطع أو إمساك فإن الله أذن للمسلمين في ذلك ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ يعني بني النضير، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية

(١) البحر المحيط: ٢٤٣/٨، والمحرر الوجيز: ٢٥٩/٥، وتفسير الثعلبي: ٢٨٢/٤.

ﵟذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٤ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ﵞ

على أن كل مجتهد مصيب، فإن الله قد صوب فعل من قطع النخل ومن تركها، واختلف العلماء في قطع شجر المشركين وتخريب بلادهم، فأجازه الجمهور لهذه الآية، ولإقرار رسول الله ﷺ على تحريق نخل بني النضير، وكرهه قوم لوصية أبى بكر الصديق رضي الله عنه[(١)]، الجيش الذي وجهه إلى الشام: أن لا يقطعوا شجرا مثمرا.

﴿وَمَا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ﴾ معنى أفاء الله جعله فيئا لرسول الله ﷺ، و﴿أَوۡجَفۡتُمۡ﴾ من الوجيف وهو سرعة السير، والركاب: هي الإبل، والمعنى: أن ما أعطى الله رسوله من أموال بني النضير لم يمش المسلمون إليه بخيل ولا إبل، ولا تعبوا فيه ولا حصلوه بقتال، ولكن حصل بتسليط رسوله ﷺ على بني النضير، فأعلم الله من هذه الآية أن ما أخذه من بني النضير وما أخذه من فدك فهو فيء خاص بالنبي ﷺ يفعل فيه ما يشاء؛ لأنه لم يوجف عليها ولا قوتلت كبير قتال فهي بخلاف الغنيمة التي تؤخذ بالقتال، فأخذ رسول الله ﷺ لنفسه من أموال بني النضير قوت عياله وقسم سائرها في المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئا، غير أن أبا دجانة وسهل بن حنيف شكوا فاقة، فأعطاهما رسول الله ﷺ منها سهما، هذا قول جماعة، وقال عمر بن الخطاب[(٢)]:

---

(١) الكشف والبيان: ٢/٨٧، وتاريخ دمشق: ٢/٧٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٥٩.

«كان رسول الله ﷺ ينفق منها على أهله نفقه سنة، وما بقي جعله في السلاح والكراع عدة في سبيل الله» وقال قوم من العلماء: وكذلك كل ما فتحه الأئمة مما لم يوجف عليه، فهو لهم خاصة، يأخذون منه حاجتهم ويصرفون باقيه في مصالح المسلمين.

﴿مَّا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية، اضطرب الناس في تفسير هذه الآية وحكمها اضطرابا عظيما، فإن ظاهرها أن الأموال التي تؤخذ للكفار تكون لله وللرسول، ومن ذكر بعد ذلك، ولا يخرج منها خمس، ولا تقسم على من حضر الوقيعة، وذلك يعارض ما ورد في الأنفال من إخراج الخمس، وقسمة سائر الغنيمة على من حضر الوقيعة، فقال بعضهم: إن هذه الآية منسوخة بآية الأنفال، وهذا خطأ؛ لأن آية الأنفال نزلت قبل هذه بمدة، وقال بعضهم: إن آية الأنفال في الأموال التي تغنم ما عدا الأرض، وأن هذه الآية في أرض الكفار، قالوا ولذلك لم يقسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه[1] أرض مصر والعراق بل تركها لمصالح المسلمين، وهذا التخصيص لا دليل عليه، وقيل: غير ذلك، والصحيح أنه لا تعارض بين هذه الآية وبين آية الأنفال، فإن آية الأنفال في حكم الغنيمة التي تؤخذ بالقتال وإيجاف الخيل والركاب، فهذا يخرج منه الخمس ويقسم باقيه على الغانمين، وأما هذه الآية ففي حكم الفيء وهو ما يؤخذ من أموال الكفار من غير قتال، ولا إيجاف خيل ولا ركاب، وإذا كان كذلك فكل واحدة من الآيتين في معنى غير معنى الأخرى، ولها حكم غير حكم الأخرى، فلا تعارض بينهما ولا

(١) قال عمر بن علي الدمشقي: فصل قال القرطبي: دلت هذه الآية على أن الصحيح من أقوال العلماء قسمة المنقول وإبقاء العقار والأرض بين المسلمين أجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه إلا أن يجتهد الوالي فينفذ أمراً فيمضي عمله فيه لاختلاف الناس فيه، وإن هذه الآية قاضية بذلك، لأن الله ـ تعالى ـ أخبر عن الفيء وجعله لثلاث طوائف: المهاجرين والأنصار ـ وهم معلومون ـ ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ فهي عامة في جميع التابعين والآتين من بعدهم إلى يوم الدين. اللباب: ١٨/٥٩٧.

نسخ، وانظر كيف ذكر هنا لفظ الفيء وفي الأنفال لفظ الغنيمة وقد تقرر في الفقه الفرق بين الفيء والغنيمة وأن حكمهما مختلف قاله أبو محمد بن الفرس وهو قول الجمهور، وبه قال مالك وجميع أصحابه، وهو أظهر الأقوال. وأما فعل عمر في أرض مصر والعراق فالصحيح أنه فعل ذلك لمصلحة المسلمين بعد استطابة نفوس الغانمين بقوله تعالى: ﴿مَّا أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ﴾ يريد بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كما كانت أموال بني النضير ولكنه حذف هذا لقوله في الآية قبل هذا ﴿فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ﴾ فاستغني بذكر ذلك أولا عن ذكره ثانيا، ولذلك لم تدخل الواو العاطفة في هذه الجملة؛ لأنها من تمام الأولى فهي غير أجنبية منها، فإنه بين في الآية الأولى حكم أموال بني النضير، وبين في هذه الآية حكم ما كان مثلها من أموال غيرهم على العموم، ويصرف الفيء فيما يصرف فيه خمس الغنائم لأن الله سوى بينهما في قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وقد ذكرنا ذلك في الأنفال، فأغنى عن إعادته، وقد ذكرنا في الأنفال معنى قوله: ﴿فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ وما بعد ذلك. ﴿كَيْ لاَ يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ﴾ أي كيلا يكون الفيء الذي أفاء الله على رسوله من أهل القرى دولة ينتفع به الأغنياء دون الفقراء، وذلك أن رسول الله ﷺ قسم أموال بني النضير على المهاجرين فإنهم كانوا حينئذ فقراء ولم يعط الأنصار منها شيئا، فإنهم كانوا أغنياء، فقال بعض الأنصار: لنا سهمنا من هذا الفيء فأنزل الله هذه الآية، والدولة بالضم والفتح ما يدول الإنسان أي يدور عليه من الخير، ويحتمل أن يكون من المداولة أي كي لا يتداول ذلك المال الأغنياء بينهم ويبقى الفقراء بلا شيء. ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا۟﴾ نزلت بسبب الفيء المذكور أي ما أتاكم الرسول من الفيء فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا فكأنها أمر للمهاجرين بأخذ الفيء، ونهي للأنصار عنه، ولفظ الآية مع ذلك عام في أوامر رسول الله ﷺ أو نواهيه ولذلك استدل بها

عبد الله بن مسعود[١] على المنع من لبس المحرم المخيط، ولعن الواشمة والواصلة في القرآن، لورود ذلك عن رسول الله ﷺ.

﴿لِلْفُقَرَآءِ﴾ هذا بدل من قوله لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ليبين بذلك أن المراد المهاجرين ووصفهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأموالهم لأنهم هاجروا من مكة وتركوا فيها أموالهم وديارهم.

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ هم الأنصار، والدار هي المدينة؛ لأنها كانت بلدهم والضمير في قبلهم للمهاجرين، فإن قيل: كيف قال تبوؤا الدار والإيمان، وإنما تتبوأ الدار أي تسكن ولا يتبوأ الإيمان؟ فالجواب من وجهين:

الأول: أن معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان فهو كقولك:

فعلفتها تبنا وماء باردا، تقديره: علفتها تبنا وسقيتها ماء باردا.

الثاني: أن المعنى أنهم جعلوا الإيمان كأنه موطن لهم لتمكنهم فيه كما جعلوا المدينة كذلك، فإن قيل: قوله من قبلهم يقتضي أن الأنصار سبقوا المهاجرين بنزول المدينة وبالإيمان فأما سبقهم لهم بنزول المدينة فلا شك فيه لأنها كانت بلدهم وأما سبقهم لهم بالإيمان فمشكل لأن أكثر المهاجرين أسلم قبل الأنصار، فالجواب: من وجهين:

أحدهما: أنه أراد بقوله من قبلهم من قبل هجرتهم.

والآخر: أنه أراد تبوؤا الدار مع الإيمان معا أي جمعوا بين الحالتين قبل

---

(١) روي أن ابن مسعود كان يقول: «ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه» يعني: الواشمة والمستوشمة، والواصلة والمستوصلة، وروي أن امرأة قرأت جميع القرآن ثم أتته فقالت: يا ابن أم عبد، تلوت البارحة ما بين الدفتين، فلم أجد فيه لعن الواشمة، والمستوشمة، فقال: لو تلوتيه لوجدتيه، قال تعالى: ﴿وَمَا ءَاتَىٰكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾، وإن مما أتانا به رسول الله ﷺ أن قال: «لعن الله الواشمة والمستوشمة» اللباب: ٨/١٢٦.

المهاجرين لأن المهاجرين إنما سبقوهم بالإيمان لا بتبوئ الدار، فيكون الإيمان على هذا مفعولا معه، وهذا الوجه أحسن لأنه جواب عن هذا السؤال وعن السؤال الأول، فإنه إذا كان الإيمان مفعولا معه لم يلزم السؤال الأول، إذ لا يلزم إلا إذا كان الإيمان معطوفا على الدار. ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ قيل: إن الحاجة هنا بمعنى الحسد، ويحتمل أن تكون بمعنى الاحتجاج على أصلها، والضمير في يجدون للأنصار، وفي أوتوا للمهاجرين، والمعنى: أن الأنصار تطيب نفوسهم بما يعطاه المهاجرون من الفيء وغيره، ولا يجدون في صدورهم شيئا بسبب ذلك. ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ أي يؤثرون غيرهم بالمال على أنفسهم ولو كانوا في غاية الاحتياج، والخصاصة هي الفاقة، وروي أن سبب هذه الآية أن رسول الله ﷺ لما قسم هذه القرى على المهاجرين دون الأنصار قال للأنصار إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم في هذه الغنيمة، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وتركتم لهم هذه فقالوا بل نقسم لهم من أموالنا ونترك لهم هذه الغنيمة وروي: أيضا أن سببها[1] أن رجلا من الأنصار أضاف رجلا من المهاجرين فذهب الأنصاري بالضيف إلى منزله فقالت له امرأته: والله ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال لها: نومي صبيانك وأطفئي السراج، وقدمي ما عندك للضيف ونوهمه نحن أنا نأكل ولا نأكل، ففعلا ذلك، فلما غدا على رسول الله ﷺ فقال له: عجب الله من فعلكما البارحة ونزلت الآية. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ

---

(١) في البخاري: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أصابني الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يضيفه هذه الليلة؟. فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: (لقد عجب الله ﷻ أو ضحك من فلان وفلانة). فأنزل الله ﷻ : ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ الحديث رقم: (٤٦٠٧).

وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ • أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ اُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ اُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

ربع

هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ شح النفس هو البخل والطمع وفي هذا إشارة إلى أن الأنصار وقاهم الله شح أنفسهم فمدحهم الله بذلك، وبأنهم يؤثرون على أنفسهم وبأنهم لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتي المهاجرون، وأنهم يحبون المهاجرين.

﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ هذا معطوف على المهاجرين والأنصار المذكورين قبل، فالمعنى: أن الفيء للمهاجرين والأنصار، ولهؤلاء الذين جاءوا من بعدهم ويعنى بهم الفرقة الثالثة من الصحابة، وهم من عدا المهاجرين والأنصار كالذين أسلموا يوم فتح مكة، وقيل: يعني من جاء بعد الصحابة وهم التابعون ومن تبعهم إلى يوم القيامة، وعلى هذا حملها مالك، فقال: إن من قال في أحد من الصحابة قول سوء فلاحظ له في الغنيمة والفيء؛ لأن الله وصف الذين جاؤوا بعد الصحابة بأنهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ فمن قال ضد ذلك فقد خرج عن الذين وصفهم الله.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الآية نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول وقوم من المنافقين بعثوا إلى بني النضير وقالوا لهم: اثبتوا في حصونكم فإنا معكم كيف ما تقلبت حالكم. ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي لا نسمع فيكم قول قائل ولا نطيع من يأمرنا بخذلانكم ثم كذبهم الله في هذه المواعيد التي وعدوا بها فإن قيل: كيف قال ﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾؟ فالجواب:

أن المعنى على الفرض والتقدير: أي لو فرضنا أن ينصروهم لولوا الأدبار.

﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الرهبة هي الخوف، والمعنى أن المنافقين واليهود يخافون الناس أكثر مما يخافون الله.

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ أي لا يقدرون على قتالكم مجتمعين إلا وهم في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان دون أن يخرجوا إليكم. ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ يعني عداوة بعضهم لبعض. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ أي تظن أنهم مجتمعون بالألفة والمودة، وقلوبهم متفرقة بالمخالفة والشحناء.

﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا﴾ أي هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم يعني يهود بني قينقاع فإن رسول الله ﷺ أجلاهم عن المدينة قبل بني النضير فكانوا أمثالهم، وقيل: يعني أهل بدر الكفار فإنهم قبلهم ومثل لهم في أن غلبوا وقهروا والأول أرجح لأن قوله: ﴿قَرِيبًا﴾ يقتضي أنهم كانوا قبلهم بمدة يسيرة وذلك أوقع على بني قينقاع، وأيضا فإن تمثيل بني النضير ببني قينقاع أليق؛ لأنهم يهود مثلهم، وأخرجوا من ديارهم كما فعل بهم وذلك هو المراد بقوله: ﴿ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ وقريبا ظرف زمان.

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ﴾ مثل الله المنافقين الذين أغووا يهود بني النضير ثم خذلوهم بعد ذلك بالشيطان فإنه يغوي ابن آدم ثم يتبرأ منه. والمراد بالشيطان والإنسان هنا: الجنس، وقيل: أراد الشيطان الذي أغوى قريشا يوم بدر وقال لهم: إني جار لكم، وقيل المراد بالإنسان برصيص العابد فإنه استودع امرأة فزين له الشيطان الوقوع عليها فحملت فخاف الفضيحة فزين له الشيطان قتلها فلما وجدت مقتولة تبين ما فعل فتعرض له الشيطان قال له: اسجد لي أنجيك فسجد له فتركه الشيطان، وقال له: إني بريء منك وهذا ضعيف في النقل، والأول أرجح.

فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ فَأَنسَٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ النَّارِ وَأَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَٰمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَٰلِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

ترتيبها ٦٠ — سُورَةُ المُمْتَحَنَة — آياتها ١٣

﴿فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ﴾ الضميران يعودان على الشيطان والإنسان وفي ذلك تمثيل للمنافقين واليهود.

﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ هذا أمر بأن تنظر كل نفس ما قدمت من أعمالها ليوم القيامة ومعنى ذلك محاسبة النفس لتكف عن السيئات وتزيد من الحسنات وإنما عبر عن يوم القيامة بغد تقريبا له لأن كل ما هو آت قريب فإن قيل لم كرر الأمر بالتقوى فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه تأكيد.

والآخر: وهو الأحسن أنه أمر أولا بالتقوى استعدادا ليوم القيامة، ثم أمر به ثانيا؛ لأن الله خبير بما يعملون، فلما اختلف الموجبات كرره مع كل واحد منهما.

﴿وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ نَسُواْ اللَّهَ﴾ يعني الكفار والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الترك أو الغفلة، أي نسوا حق الله فأنساهم حقوق أنفسهم والنظر لها.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ الآية توبيخ لابن آدم على قسوة قلبه وقلة خشوعه عند تلاوة القرآن، فإنه إذا كان الجبل يخشع ويتصدع لو سمع القرآن، فما ظنك بابن آدم؟.

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي يعلم ما غاب عن المخلوقين وما شاهدوه، وقيل: الغيب الآخرة، والشهادة الدنيا، والعموم أحسن.

﴿ٱلْقُدُّوسُ﴾ مشتق من التقدس وهو التنزه عن صفات المخلوقين، وعن كل نقص وعيب، وصيغة فعول للمبالغة كالسبوح. ﴿ٱلسَّلَٰمُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: الذي سلم عباده من الجور.

والآخر: السليم من النقائص وأصله مصدر بمعنى السلامة وصف به مبالغة، أو على حذف مضاف تقديره: ذو السلام.

﴿ٱلْمُؤْمِنُ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه من الأمن أي الذي أمن عباده.

والآخر: أنه من الإيمان أي المصدق لعباده في إيمانهم أو في شهادتهم على الناس يوم القيامة، أو المصدق نفسه في أقواله.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ في معناه ثلاثة أقوال: الرقيب، والشاهد، والأمين، قال الزمخشري: أصله مؤيمن بالهمزة ثم أبدلت هاء. ﴿ٱلْجَبَّارُ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه من الإجبار بمعنى القهر.

والآخر: أنه من الجبر أي يجبر عباده برحمته، والأول أظهر.

﴿ٱلْمُتَكَبِّرُ﴾ أي الذي له التكبر حقا.

﴿ٱلْبَارِئُ﴾ أي الخالق، يقال: أبرأ الله الخلق أي خلقهم ولكن البارئ والفاطر يراد بهما الذي برأ الخلق واخترعه. ﴿ٱلْمُصَوِّرُ﴾ أي خالق الصور. ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**إن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة**»[1]، قال المؤلف: قرأت القرآن على الأستاذ الصالح أبي عبد الله بن الكماد فلما بلغت إلى آخر سورة الحشر قال لي: ضع يدك على رأسك

---

(١) أخرجه البخاري الحديث رقم: (٢٥٨٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٩٨٦)، وغيرهما.

فقلت له: ولم ذلك؟ قال: لأني قرأت على القاضي أبي علي بن أبى الأحوص، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك، وأسند الحديث إلى عبد الله بن مسعود[١]، قال: قرأت على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك، قلت: ولم ذاك يا رسول الله فداك أبي وأمي، قال: أقرأني جبريل القرآن، فلما انتهيت إلى خاتمة الحشر، قال لي: ضع يدك على رأسك يا محمد، قلت: ولم ذاك؟ قال: إن الله تبارك وتعالى افتتح القرآن فضرب فيه فلما انتهى إلى خاتمة سورة الحشر أمر الملائكة أن تضع أيديها على رؤوسها، فقالت يا ربنا ولم ذاك؟ قال: إنه شفاء من كل داء إلا السام، والسام الموت[٢].

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) حديث ابن مسعود أخرجه الخطيب البغدادي كما في الدر المنثور: ٨/١٢١ قال أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي: وأسند ابن جزي حديثًا إلى عبد الله بن مسعود... قال: وسمعتُ من شيخنا الفقيه الجنوي أنه حديث ضعيف، يعمل به الإنسان وحده، فإذا كان مع الناس تركه، لئلا تعتقد العامة أنه مندوب أو واجب. هـ البحر المديد: ٨/٢٩.

(٢) وفي مسند الإمام أحمد مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ وَقَرَأَ الثَّلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ وَكَّلَ اللهُ بِهِ سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ إِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ. الحديث رقم: (٢٠٣٠٦)، وهو حديث ضعيف.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثمن ● يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾

سورة الممتحنة

﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ العدو يطلق على الواحد والجماعة والمراد به هنا كفار قريش، وهذه الآية نزلت بسبب حاطب بن أبي بلتعة[1] وذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أراد الخروج إلى مكة عام الحديبية فورى عن ذلك بخيبر فشاع في الناس أنه خارج إلى خيبر، وأخبر هو جماعة من كبار أصحابه بقصده إلى مكة، منهم حاطب، فكتب بذلك حاطب إلى قوم من أهل مكة، فجاء الخبر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من السماء، فبعث علي بن أبي طالب والزبير والمقداد، وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب، من حاطب إلى المشركين، فانطلقوا حتى وجدوا المرأة فقالوا لها: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي كتاب، ففتشوا جميع رحلها، فما وجدوا شيئا، فقال بعضهم: ما معها كتاب، فقال علي بن أبي طالب: ما كذب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا كذب الله، والله لتخرجن الكتاب أو لنجردنك، قالت: أعرضوا عني، فأخرجته من قرون رأسها، وقيل: أخرجته من حجزتها فجاؤوا به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال لحاطب: من كتب هذا؟ قال: أنا يا رسول الله، ولكن لا تعجل علي فوالله ما فعلت ذلك ارتدادا عن ديني ولا رغبة في الكفر، ولكني كنت امرءا ملصقا في قريش ولم أكن من أنفسها، فأحببت أن تكون لي عندهم يد يرعونني بها

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٤٠٢٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٥٥٧)، وتقدمت قصة حاطب.

في قرابتي، فقال عمر بن الخطاب: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: صدق حاطب، إنه من أهل بدر، وما يدريك يا عمر، لعل الله قد اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، لا تقولوا لحاطب إلا خيرا، فنزلت الآية عتابا لحاطب، وزجرا عن أن يفعل أحد مثل فعله، وفيها مع ذلك تشريف له؛ لأن الله شهد له بالإيمان في قوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ عبارة عن إيصال المودة إليهم، وألقى يتعدى بحرف جر وبغير حرف جر كقوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ وهذه الجملة في موضع الحال من الضمير في قوله: ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ﴾ أو في موضع الصفة لأولياء أو استئناف. ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ حال من الضمير في لا تتخذوا أو في تلقون. ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي يخرجون الرسول ويخرجونكم، يعني إخراجهم من مكة فإنهم ضيقوا عليهم وآذوهم حتى خرجوا منها مهاجرين إلى المدينة ومنهم من خرج إلى أرض الحبشة. ﴿أَن تُؤْمِنُواْ﴾ مفعول من أجله أي يخرجونكم من أجل إيمانكم. ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي﴾ جواب هذا الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه، وهو لا تتخذوا والتقدير: إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فلا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء وجهادا مصدر في موضع الحال، أو مفعول من أجله وكذلك ابتغاء.

﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ﴾ معناه إن يظفروا بكم. ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ أي تمنوا أن تكفروا فتكونون مثلهم قال الزمخشري: وإنما قال: ودوا بلفظ الماضي، بعد أن ذكر جواب الشرط بلفظ المضارع؛ لأنهم أرادوا كفركم قبل كل شيء.

﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ﴾ إشارة إلى ما قصد حاطب من رعي قرابته. ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾ يحتمل أن يكون من الفصل بالحكم بينهم، أو من الفصل بمعنى التفريق، أي يفرق بينكم وبين قرابتكم يوم القيامة،

وقيل: إن العامل في يوم القيامة ما قبله، وذلك بعيد.

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ الإسوة هو الذي يقتدى به فأمر الله المسلمين أن يقتدوا بإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبالذين معه في عداوة الكفار والتبري منهم، ومعنى ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من آمن به من الناس، وقيل: الأنبياء الذين كانوا في عصره وقريبا من عصره، ورجح ابن عطية هذا القول بما ورد في الحديث: أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لزوجته: «**ما على الأرض مؤمن بالله غيري وغيرك**»[1]. ﴿بُرَآؤُا﴾ جمع بريء. ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾ أي كذبناكم في أقوالكم ويحتمل أن يكون عبارة عن إفراط البغض والمقاطعة لهم ﴿إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هذا استثناء من قوله: ﴿إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ فالمعنى: اقتدوا بهم في عداوتهم للكفار، ولا تقتدوا بهم في هذا؛ لأن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له، ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ وقيل: الاستثناء من التبري والقطيعة، والمعنى: تبرأ إبراهيم والذين معه من الكفار، إلا أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له. ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا﴾ هذا من كلام سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والذين معه، وهو متصل بما قبل الاستثناء، فهو من جملة ما أمروا أن يقتدوا به.

﴿رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: لا تنصرهم علينا فيكون ذلك لهم فتنة وسبب ضلالهم لأنهم يقولون غلبناهم فيكون ذلك لهم لأنا على الحق وهم على الباطل.

والآخر: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن ديننا، ورجح ابن عطية هذا لأنه دعاء لأنفسهم، وأما على القول الأول فهو دعاء للكفار، ولكن مقصدهم ليس الدعاء للكفار، وإنما هو دعاء لأنفسهم بالنصر بحيث لا يفتتن الكفار بذلك.

﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ لما أمر الله

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٢١٠٤)، ومسلم الحديث رقم: (٦٢٩٤)، وغيرهما.

المسلمين بعداوة الكفار ومقاطعتهم فامتثلوا ذلك على ما كان بينهم وبين الكفار من القرابة، فعلم الله صدقهم فآنسهم بهذه الآية، ووعدهم بأن يجعل بينهم مودة، وهذه المودة كملت في فتح مكة، فإنه أسلم حينئذ سائر قريش، وقيل: المودة تزوج النبي ﷺ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب سيد قريش، ورد ابن عطية هذا القول؛ بأن تزوج أم حبيبة كان قبل نزول هذه الآية.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُم مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنفَقُوا ذَٰلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

ربع

﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ رخص الله للمسلمين في مبرة من لم يقاتلهم من الكفار، واختلف فيهم على أربعة أقوال:

الأول: أنهم قبائل من العرب، منهم خزاعة، وبنو الحارث بن كعب، كانوا قد صالحوا رسول الله ﷺ على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه.

الثاني: أنهم كانوا من كفار قريش لم يقاتلوا المسلمين، ولا أخرجوهم من مكة، والآية على هذين القولين منسوخة بالقتال.

الثالث: أنهم النساء والصبيان، وفي هذا ورد أن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت يا رسول الله! إن أمي قدمت عليَّ وهي مشركة أفأصلها؟ قال: «نعم، صلي أمك»[1].

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٢٤٧٧)، ومسلم الحديث رقم: (٢٣٧٢)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٢٦٩٦٠).

الرابع: أنه أراد من كان بمكة من المؤمنين الذين لم يهاجروا، وأما الذين نهى الله عن مودتهم لأنهم قاتلوا المسلمين وظاهروا على إخراجهم، فهم كفار قريش.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أي اختبروهن لتعلموا صدق إيمانهن، وإنما سماهن مؤمنات لظاهر حالهن، وقد اختلف في هذا الامتحان على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن تستحلف المرأة أنها ما هاجرت لبغضها في زوجها، ولا لخوف وغير ذلك من أعراض الدنيا، سوى حب الله ورسوله والدار الآخرة.

والثاني: أن يعرض عليها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

والثالث: أن تعرض عليها الشروط المذكورة بعد هذا، من ترك الإشراك، والسرقة، وقتل أولادهن، وترك الزنا، والبهتان، والعصيان، فإذا أقرت بذلك فهو امتحانها قالته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1].

﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ نزلت هذه الآية أثر صلح الحديبية، وكان ذلك الصلح قد تضمن أن يرد المسلمون إلى الكفار كل من جاء مسلما من الرجال والنساء، فنسخ الله أمر النساء بهذه الآية، ومنع من رد المؤمنة إلى الكفار إذا هاجرت إلى المسلمين، وكانت المرأة التي هاجرت حينئذ أميمة[2]

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٧٢.

(٢) قال الماوردي واختلف فيها على أربعة أقاويل:

أحدها: أنها أميمة بنت بشر كانت عند ثابت بن الدحداحة، ففرت منه وهو يومئذ كافر، فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله، قاله يزيد بن أبي حبيب.

الثاني: أنها سعيدة زوج صيفي بن الراهب مشرك من أهل مكة، قاله مقاتل.

الثالث: أنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وهذا قول كثير من أهل العلم.

الرابع: أنها سبيعة بنت الحارث الأسلمية جاءت مسلمة بعد فراغ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من كتاب=

بنت بشر امرأة حسان بن الدحداحة، وقيل: سبيعة الأسلمية، ولما هاجرت جاء زوجها، فقال يا محمد: ردها علينا فإن ذلك في الشرط الذي لنا عليك، فنزلت الآية، فامتحنها رسول الله ﷺ، فلم يردها وأعطى مهرها لزوجها، وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة ابن أبي معيط، هربت من زوجها إلى المسلمين، واختلف في الرجال هل حكمهم في ذلك كالنساء؟ فلا تجوز المهادنة على رد من أسلم منهم، أو يجوز حتى الآن على قولين، والأظهر الجواز؛ لأنه إنما نسخ ذلك في النساء. ﴿لاَ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلاَ هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ هذا تعليل للمنع من رد المرأة إلى الكفار، وفيه دليل على ارتفاع النكاح بين المشركين والمسلمات. ﴿وَءَاتُوهُم مَّا أَنفَقُواْ﴾ يعني أعطوا الكفار ما أعطوا نساءهم من الصدقات، إذا هاجرن ثم أباح للمسلمين تزوجهن بالصداق. ﴿وَلاَ تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾ العصم جمع عصمة أي النكاح فأمر الله المسلمين أن يفارقوا نساءهم الكوافر، يعني المشركات من عبدة الأوثان، فالآية على هذا محكمة، وقيل: يعني كل كافرة، فعلى هذا نسخ منها جواز تزوج الكتابيات، لقوله: ﴿وَالْمُحْصَنَٰتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وروي: أن الآية نزلت في امرأة لعمر بن الخطاب كانت كافرة فطلقها. ﴿وَسْئَلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُواْ مَا أَنفَقُواْ﴾ أي اطلبوا من الكفار ما أنفقتم من الصدقات على أزواجكم اللاتي فررن إلى الكفار وليطلب الكفار منكم ما أنفقوا على أزواجهم اللاتي هاجرن إلى المسلمين.

﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَئَاتُواْ الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُواْ﴾ معنى فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار هروب نساء المسلمين إلى الكفار، والخطاب في قوله: ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾ ﴿فَئَاتُواْ الَّذِينَ ذَهَبَتْ

= الهدنة في الحديبية، فجاء زوجها واسمه مسافر وهو من قومها في طلبها، فقال يا محمد شرطت لنا رد النساء، وطين الكتاب لم يجف، وهذه امرأتي فارددها عليّ، حكاه الكلبي. النكت والعيون: ٥/٥٢١.

أَزْوَاجُهُم﴾ للمسلمين وقوله: (عاقبتم) ليس من العقاب على الذنب وإنما هو من العقبى أي أصبتم عقبى، وهي الغنيمة أو من التعاقب على الشيء كما يتعاقب الرجلان على الدابة إذا ركبها هذا مرة وهذا مرة أخرى، فلما كان نساء المسلمين يهربون إلى الكفار ونساء الكفار يهربون إلى المسلمين جعل ذلك كالتعاقب على النساء، وسبب الآية: أنه لما قال الله: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَا أَنفَقُواْ﴾ قال الكفار: لا نرضى بهذا الحكم ولا نعطي صداق من هربت زوجته إلينا من المسلمين، فأنزل الله هذه الآية الأخرى، وأمر الله المسلمين أن يدفعوا الصداق لمن هربت زوجته إلينا من المسلمين إلى الكفار ويكون هذا المدفوع من مال الغنائم، على قول من قال: إن معنى فعاقبتم غنمتم، وقيل: من مال الفيء، وقيل: من الصدقات التي كانت تدفع للكفار إذا فر أزواجهم إلى المسلمين، فأزال الله دفعها إليهم حين لم يرضوا حكمه، وهذه الأحكام التي تضمنتها هذه الآية قد ارتفعت لأنها نزلت في قضايا معينة، وهي مهادنة النبي ﷺ مع مشركي العرب، ثم زالت هذه الأحكام بارتفاع الهدنة، فلا تجوز مهادنة المشركين من العرب، إنما هو في حقهم الإسلام أو السيف، وإنما تجوز مهادنة أهل الكتاب والمجوس؛ لأن الله قال في المشركين: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ وقال في أهل الكتاب: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ﴾ وقال النبي ﷺ في المجوس[1]: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب».

﴿يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ الْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ هذه البيعة بيعة النساء في ثاني يوم الفتح على جبل الصفا، وكان رسول الله ﷺ يبايعهن بالكلام ولا تمس

(١) في الموطإ: وحَدَّثَنِي عَنْ مَالِك عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ذَكَرَ الْمَجُوسَ فَقَالَ: مَا أَدْرِي كَيْفَ أَصْنَعُ فِي أَمْرِهِمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» الحديث رقم: (٩٦٨)، والمصنف لابن أبي شيبة: ٢٢٤/٣.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

ترتيبها ٦١ — آياتها ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

يده يد امرأة، وورد هذا في الحديث الصحيح[1] عن عائشة، وروى أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لف على يده ثوبا كثيفا ثم لمس النساء يده كذلك، وقيل إنه غمس يده في إناء فيه ماء ثم دفعه إلى النساء فغمسن أيديهن فيه.

﴿وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ﴾ معناه عند الجمهور أن تنسب المرأة إلى زوجها ولدا ليس له، وكانت المرأة تلتقط الولد فتقول لزوجها: هذا ولدي منك، وإنما قال: ﴿يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ لأن بطنها الذي تحمل فيه الولد بين يديها، وفرجها الذي تلده به بين رجليها، واختار ابن عطية أن يكون البهتان هنا على العموم، بأن ينسب للرجل غير ولده، أو تفتري على أحد بالقول، أو تكذب فيما ائتمنها الله عليه من الحيض والحمل وغير ذلك، وإلى هذا أشار بعض الناس بأن قال: ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ يراد به اللسان والفم وبين الأرجل يراد به الفرج.

﴿وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ أي لا يعصينك فيما جاءت به الشريعة من الأوامر والنواهي، ومن ذلك: النهي عن النياحة، وشق الجيوب، ووصل الشعر، وغير ذلك مما كان نساء الجاهلية يفعلنه، وورد في الحديث: «أن النساء لما بايعن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه المبايعة، فقررهن على أن لا يسرقن، قالت هند بنت عتبة، وهي

---

(١) في الصحيح قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط منهن قال لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (قد بايعتك)، كلاما يكلمها به، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة، وما بايعهن إلا بقوله. البخاري الحديث رقم: (٢٥٦٤)، والمسند الحديث رقم: (٢٦٣٦٩).

امرأة أبي سفيان بن حرب: يا رسول الله: إن أبا سفيان رجل شحيح، فهل علي إن أخذت من ماله بغير إذنه؟ فقال لها»[1]: «خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف» فلما قررهن على أن لا يزنين قالت هند يا رسول الله: أتزني الحرة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «لا تزني الحرة» يعني في غالب الأمر، وذلك أن الزنا في قريش إنما كان في الإماء، فلما قال: ﴿وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ﴾ قالت: نحن ربيناهم صغارا وقتلتهم أنت ببدر كبارا، فضحك رسول الله ﷺ، فلما وقفهن على أن لا يعصينه في معروف، قالت: ما جلسنا هذا المجلس وفي أنفسنا أن نعصيك، وهذه المبايعة للنساء غير معمول بها اليوم؛ لأنه أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أن يشترط عليهن هذا، فإما أن تكون منسوخة ولم يذكر الناسخ، أو يكون ترك هذه الشروط لأنها قد تقررت وعلمت من الشرع بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها.

﴿لاَ تَتَوَلَّوْاْ قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يعني اليهود، وكان بعض فقراء المسلمين يتودد إليهم ليصيبوا من أموالهم، وقيل: يعني كفار قريش، والأول أظهر لأن الغضب قد صار عرفا لليهود، كقوله: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾. ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ اَ۬لْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ اَ۬لْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ اِ۬لْقُبُورِ﴾ من قال إن القوم الذين غضب الله عليهم هم اليهود، فمعنى: يئسوا من الآخرة يئسوا من خير الآخرة والسعادة فيها، ومن قال: إن القوم الذين غضب الله عليهم هم كفار قريش، فالمعنى: يئسوا من وجود الآخرة وصحتها؛ لأنهم مكذبون بها تكذيبا جزما، وقوله: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ اَ۬لْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ اَ۬لْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ اِ۬لْقُبُورِ﴾ يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يريد كما يئس الكفار المكذبون بالبعث من بعث أصحاب القبور، فقوله: ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ﴾ يتعلق بيئس وهو على حذف مضاف.

والآخر: أن يكون من أصحاب القبور لبيان الجنس، أي كما يئس الذين في القبور من سعادة الآخرة؛ لأنهم تيقنوا أنهم يعذبون فيها.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٦٧٥٨)، ومسلم الحديث رقم: (٤٥٧٤).

سورة الحواريين

﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ في سببها ثلاثة أقوال:

أحدها: قول ابن عباس[1] أن جماعة قالوا وددنا أن نعرف أحب الأعمال إلى الله فنعمله، ففرض الله الجهاد فكرهه قوم فنزلت الآية.

والآخر: أن قوما من شبان المسلمين كانوا يتحدثون عن أنفسهم في الغزو بما لم يفعلوا، ويقولون فعلنا وصنعنا وذلك كذب فنزلت الآية زجرا لهم.

والثالث: أنها نزلت في المنافقين لأنهم كانوا يقولون للمؤمنين نحن معكم ومنكم، ثم يظهر من أفعالهم خلاف ذلك، وهذا ضعيف لأنه خاطبهم بقوله: ﴿يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلا أن يريد أنهم آمنوا بزعمهم وفيما يظهرون، ومع ذلك فحكم الآية على العموم في زجر من يقول ما لا يفعل.

﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لاَ تَفْعَلُونَ﴾ كان بعض السلف يستحي أن يعظ الناس لأجل هذه الآية، ويقول: أخاف من مقت الله، والمقت هو البغض لريبة أو نحوها، وانتصب مقتا على التمييز، وأن تقولوا فاعل، وقيل: فاعل كبر محذوف، تقديره: كبر فعلكم مقتا، وأن تقولوا بدل من الفاعل المحذوف، أو خبر ابتداء مضمر.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّاً﴾ وورود هذه الآية هنا دليل على أن الآية التي قبلها في شأن القتال، وقال بعض الناس: قتال الرجالة أفضل من قتال الفرسان؛ لأن التراص فيه يتمكن أكثر مما يتمكن للفرسان، قاله ابن عطية، وهذا ضعيف خفي على قائله مقصد الآية، وليس المراد نفس التراص وإنما المراد الثبوت والجد في القتال. ﴿كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ المرصوص هو الذي يضم

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٧٦.

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾

بعضه إلى بعض، وقيل: هو المعقود بالرصاص، ولا يبعد أن يكون هذا أصل اللفظ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي﴾ كانوا يؤذونه بسوء الكلام، وبعصيانه وتنقيصه، وانظر في الأحزاب: ﴿لَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾. ﴿وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ هذا إقامة حجة عليهم وتوبيخ لهم وتقبيح لإذايته مع علمهم بأنه رسول الله، ولذلك أدخل قد الدالة على التحقيق. ﴿فَلَمَّا زَاغُواْ أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ هذه عقوبة على الذنب بذنب، وزيغ القلب هو ميله عن الحق.

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِي إِسْرَآءِيلَ﴾ إنما قال موسى يا قوم، وقال عيسى: يا بني إسرائيل؛ لأنه لم يكن له فيهم أب. ﴿مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَىٰةِ﴾ معناه مذكور في البقرة في قوله: ﴿مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَكُمْ﴾. ﴿بِرَسُولٍ وَمُبَشِّراً﴾ عن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله: هل بعدنا من أمة؟ قال: نعم، أمة أحمد، حكماء علماء أتقياء أبرار. ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الله الناس على قدمي، وأنا العاقب فلا نبي بعدي»[1]. وأحمد مشتق من الحمد، ويحتمل أن يكون فعلا سمي به، أو يكون صفة سمي بها

---

(١) حديث: «لا نبي بعدي» في البخاري الحديث رقم: (٣٤٥٥)، ومسلم الحديث رقم: (٣٤٢٩)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٣٧١٠)، والترمذي الحديث رقم: (٢١٢٩).

كأحمد، ويحتمل أن يكون بمعنى حامد، أو بمعنى محمود كمحمد. ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِالْبَيِّنَٰتِ﴾ يحتمل أن يريد عيسى، أو محمدا عليهما الصلاة والسلام، ويؤيد الأول اتصاله بما قبله ويؤيد الثاني قوله: ﴿وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ﴾؛ لأن الداعي إلى الإسلام هو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ﴾ ذكر في براءة.

﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية تفسير للتجارة المذكورة، قال الأخفش: هو عطف بيان عليها. ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزم في جواب تؤمنون لأنه بمعنى الأمر، وقد قرأه ابن مسعود[1] «آمنوا وجاهدوا» على الأمر، وقال الفراء: هو جواب هل أدلكم؛ لأنه يقتضي التحضيض.

﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ ارتفع أخرى على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: ولكم نعمة أخرى، أو انتصب على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره: ويمنحكم أخرى ﴿نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ تفسير لأخرى فهو بدل منها. ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال الزمخشري: عطف على تؤمنون بالله لأنه في معنى الأمر.

﴿كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ جمع ناصر وقد غلب اسم الأنصار على الأوس والخزرج سماهم الله به، وليس ذلك المراد هنا. ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ هذا التشبيه محمول على المعنى؛ لأن ظاهره كونوا أنصار الله كقول عيسى، والمعنى: كونوا أنصار الله كما قال الحواريون حين قال لهم عيسى: من أنصاري إلى الله؟ وقد ذكر في آل عمران معنى الحواريين وأنصاري إلى الله. ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ قيل: إنهم ظهروا بالحجة، وقيل: إنهم غلبوا الكفار بالقتال بعد رفع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: إن ظهور المؤمنين منهم هو بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) اللباب: ١٩/٦٠، وفتح القدير: ٥/٣١١.

سُورَةُ الجُمُعَةِ — آياتها ١١ — ترتيبها ٦٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢) وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٣) ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٤) مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥) قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٧) قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٨)

سورة الجمعة

﴿الْقُدُّوسِ﴾ ذكر في الحشر.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ يعني سيدنا محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والأميين هم العرب وقد ذكر معنى الأمي في الأعراف.

﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ﴾ عطفا على الأميين وأراد بهؤلاء فارس، وسئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من هؤلاء الآخرون؟ فأخذ بيد سلمان الفارسي، وقال[1]: «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من هؤلاء» يعني فارس، وقيل: هم الروم ومنهم على هذين القولين يريد به في البشرية وفي الدين لا في النسب، وقيل: هم أهل اليمن، وقيل: التابعون، وقيل: هم سائر المسلمين، والأول أرجح؛ لوروده في الحديث الصحيح[2]. ﴿لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند الحديث رقم: (٩٤٥٤) بلفظ: «لو كان العلم بالثريا لتناوله ناس من أبناء فارس» وهو حديث ضعف بعض رجال سنده.

(٢) أما الحديث الصحيح فهو ما في البخاري ومسلم: وغيرهما ـ حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ ـ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدٍ ـ عَنْ ثَوْرٍ عَنْ أَبِي الْغَيْثِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ نَزَلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ الْجُمُعَةِ فَلَمَّا قَرَأَ ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ قَالَ رَجُلٌ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَلَمْ يُرَاجِعْهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى سَأَلَهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ـ قَالَ ـ وَفِينَا سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ ـ قَالَ ـ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى سَلْمَانَ ثُمَّ قَالَ «لَوْ كَانَ الإِيمَانُ عِنْدَ الثُّرَيَّا لَنَالَهُ رِجَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». البخاري الحديث رقم: (٤٦١٥)، ومسلم الحديث رقم: (٦٦٦٢)، وشرح السنة للبغوي: ١٧٥/٧، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (٨٢٧٨)، والترمذي الحديث رقم: (٣٩٣٣).

● يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

سُورَةُ المُنَافِقُونَ — ترتيبها ٦٣ — آياتها ١١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشۡهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٤﴾

أي لم يلحقوا بهم بالنفي وسيلحقون، وذلك أن ﴿لَمَّا﴾ لذكر الماضي القريب من الحال.

﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى نبوءة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهداية الناس به.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ﴾ يعني اليهود ومعنى حملوا التوراة كلفوا العمل بها والقيام بأوامرها ونواهيها. ﴿ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا﴾ لم يطيعوا أمرها ولم يعملوا بها شبههم الله بالحمار الذي يحمل الأسفار على ظهره ولم يدر ما فيها. ﴿بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ يعني اليهود الذين كذبوا سيدنا محمدا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهم الذين حملوا التوراة ولم يحملوها؛ لأن التوراة تنطق بنبوءته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، فكل من قرأها ولم يؤمن به فقد خالف التوراة.

﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ﴾ ذكر في البقرة.

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ النداء للصلاة هو الأذان لها، ومن في قوله: من يوم الجمعة لبيان إذا وتفسير له، وذكر الله يراد به الخطبة والصلاة، ويتعلق بهذه الآية ثمان مسائل:

الأولى: اختلف في الأذان للجمعة هل هو سنة كالأذان لسائر الصلوات، أو واجب لظاهر الآية؛ لأنه شرط في السعي لها أن يكون عند الأذان، والسعي واجب فالأذان واجب.

الثانية: كان الأذان للجمعة على عهد رسول الله ﷺ على جدار المسجد، وقيل: على باب المسجد، وقيل: كان بين يديه ﷺ وهو على المنبر، وقد كان بنو أمية يأخذون بهذا وبقي بقرطبة زمانا، وهو باق في المشرق إلى الآن، قال أبو محمد بن الفرس: قال مالك في المجموعة[١] إن هشام بن عبد الملك هو الذي أحدث الأذان بين يديه، قال: وهذا دليل على أن الحديث[٢] في ذلك ضعيف.

الثالث: كان الأذان للجمعة واحدا ثم زاد عثمان رضي الله عنه النداء على الزوراء[٣] ليسمع الناس، واختلف الفقهاء: هل المستحب أن يؤذن فيها اثنان أو ثلاثة؟.

الرابعة: السعي في الآية بمعنى المشي لا بمعنى الجري وقرأ عمر بن الخطاب[٤]: «فامضوا إلى ذكر الله» وهذا تفسير للسعي فهو بخلاف السعي في قول رسول الله ﷺ[٥]: «إذا نودي للصلاة فلا تأتونها وأنتم تسعون».

---

(١) أورده أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي في شرحه للبخاري: ٥٠٣/٢.

(٢) ما روي أن عمر هو الآمر بالأذان الأول خارج المسجد ليسمع الناس، ثم الأذان بين يديه، ثم قال نحن ابتدعنا ذلك لكثرة المسلمين، قال عنه الملا على القاري: إنه منقطع ولا يثبت. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: ٨٣/٥.

(٣) عن السائب بن يزيد قال: «كان الأذان على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر أذانين يوم الجمعة حتى كان زمن عثمان فكثر الناس فأمر بالأذان الأول بالزوراء» صحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (١٧٧٤) قال الألباني: إسناده صحيح.

(٤) قال ابن عطية: «وقرأ عمر بن الخطاب وعلي وأبي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وجماعة من التابعين «فامضوا إلى ذكر الله» وقال ابن مسعود: لو قرأت ﴿فاسعوا﴾ لأسرعت حتى يقع ردائي» المحرر الوجيز: ٢٨٣/٥.

(٥) في الصحيح «إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلاَةِ فَلاَ تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلاَةِ فَهُوَ فِى صَلاَةٍ» صحيح مسلم، الحديث رقم: (١٣٩٠)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (١٠٦٥)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢١٤٨)، والترمذي الحديث رقم: (٢١٤٨).

الخامسة: حضور الجمعة واجب لحمل الأمر الذي في الآية على الوجوب باتفاق إلا أنها لا تجب على المرأة ولا على الصبي ولا على المريض باتفاق، ولا على العبد والمسافر عند مالك والجمهور، خلافا للظاهرية وتعلقوا بعموم الآية وحجة الجمهور قول رسول الله ﷺ[1]: «الجمعة واجبة على كل مسلم في جماعة إلا أربعة، عبد مملوك، أو امرأة، أو صبي، أو مريض» وحجتهم في المسافر أن رسول الله ﷺ كان لا يقيم الجمعة في السفر، واختلف: هل تسقط الجمعة بسبب المطر أم لا؟ وهل يجوز للعروس التخلف عنها أم لا؟ والمشهور أنها لا تسقط عنه لعموم الآية.

السادسة: اختلف متى يتعين الإقبال إلى الصلاة؟ فقيل: إذا زالت الشمس، وقيل: إذا أذن المؤذن، وهو ظاهر الآية.

السابعة: اختلف في الموضع الذي يجب منه السعي إلى الجمعة، فقيل: ثلاثة أميال وهو مذهب مالك، وقيل: ستة أميال، وقيل: تجب على من كان داخل المصر، وقيل: على من سمع النداء، وقيل: على من آواه الليل إلى أهله.

الثامنة: اختلف في الوالي هل هو من شرط الجمعة أم لا؟ على قولين والمشهور سقوطه؛ لأن الله لم يشترطه في الآية.

﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أمر بترك البيع يوم الجمعة إذا أخذ المؤذنون في الأذان، وذلك على الوجوب فيقتضي تحريم البيع، واختلف في البيع الذي يعقد في ذلك الوقت: هل يفسخ أم لا؟ واختلف في بيع من لا تلزمهم الجمعة من النساء والعبيد هل يجوز في ذلك الوقت أم لا؟ والأظهر جوازه؛ لأنه إنما منع منه من يدعى إلى الجمعة، ويجري النكاح في ذلك الوقت مجرى البيع في المنع.

---

(١) أبو داود الحديث رقم: (١٠٦٩)، والمستدرك الحديث رقم: (١٠٦٢) قال الحافظ ابن حجر: وَقَالَ: لَمْ يَسْمَعْ طَارِقٌ مِنَ ٱلنَّبِيِّ ﷺ..

﴿فَانتَشِرُواْ فِي الْأَرْضِ﴾ هذا الأمر للإباحة باتفاق وحكى الإجماع على ذلك ابن عطية[١] وابن الفرس. ﴿وَابْتَغُواْ مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾ قيل: معناه طلب المعاش، فالأمر على هذا للإباحة وروى: عن النبي ﷺ أنه قال[٢]: «الفضل المبتغى عيادة مريض أو صلة صديق أو اتباع جنازة» وقيل: هو طلب العلم، وإن صح الحديث لم يعدل إلى سواه.

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا﴾ سبب الآية[٣] أن رسول الله ﷺ كان قائما على المنبر يخطب يوم الجمعة فأقبلت عير من الشام بطعام وصاحب أمرها دحية بن خليفة الكلبي، وكانت عادتهم أن تدخل العير المدينة بالطبل والصياح سرورا بها، فلما دخلت العير كذلك انفض أهل المسجد إليها وتركوا رسول الله ﷺ قائما على المنبر، ولم يبق معه إلا اثنا عشر رجلا، قال جابر بن عبد الله: «أنا أحدهم» وذكر بعضهم أن منهم العشرة المشهود لهم بالجنة، واختلف في الثاني عشر، فقيل: عبد الله مسعود، وقيل: عمار بن ياسر، وقيل: إنما بقي معه ﷺ ثمانية، وروي: أنه ﷺ قال لهؤلاء[٤]: «لقد كانت الحجارة سومت في السماء على المنفضين» وظاهر الآية يقتضي أن الجماعة شرط في الجمعة وهو مذهب مالك والجمهور، إلا أنهم اختلفوا في مقدار الجماعة الذين

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٨٤.

(٢) الطبري في جامع البيان عن أنس بن مالك: ٢٣/٣٨٥، والسيوطي في الدر المنثور عن ابن عباس: ٨/١٦٥.

(٣) في صحيح ابن خزيمة عن جابر: أن النبي ﷺ كان يخطب قائما، فجاءت عير من الشام فانفتل الناس إليها حتى لم يبق إلا اثنا عشر رجلا، فأنزلت هذه الآية التي في الجمعة ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِماً﴾ الحديث رقم: (١٨٢٣)، والطبري: ٢٣/٣٨٧.

(٤) الذي في المحرر الوجيز بلفظ: «لولا هؤلاء لقد كانت الحجارة سومت على المنفضين من السماء» ٥/٢٨٤.

تنعقد بهم الجمعة، فقال مالك: ليس في ذلك عدد محدود وإنما هم جماعة تقوم بهم قرية، وروى ابن الماجشون عن مالك ثلاثون، وقال الشافعي: أربعون، وقال أبو حنيفة: ثلاثة مع الإمام، وقيل: اثنا عشر عدد الذين بقوا مع النبي ﷺ، **فإن قيل**: لم قال انفضوا إليها بضمير المفرد وقد ذكر التجارة واللهو؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد انفضوا إلى اللهو وانفضوا إلى التجارة، ثم حذف أحدهما لدلالة الآخر عليه قاله الزمخشري[١].

والآخر: أنه قال ذلك تهمما بالتجارة؛ إذ كانت أهم، وكانت هي سبب اللهو ولم يكن سببها، قاله ابن عطية[٢].

﴿وَتَرَكُوكَ قَآئِمًاۚ﴾ اختلفوا في القيام في الخطبة هل هو واجب أم لا؟ وإذا قلنا بوجوبه فهل هو شرط فيها أم لا؟ فمن أوجبه واشترطه أخذ بظاهر الآية من ذكر القيام، ومن لم يوجبه رأى أن ما فعله النبي ﷺ من ذلك لم يكن على الوجوب، ومذهب مالك أن من سنة الخطبة الجلوس قبلها والجلوس بين الخطبتين، وقال أبو حنيفة: لا يجلس بين الخطبتين لظاهر الآية، وذكر القيام فيها دون الجلوس، وحجة مالك فعل رسول الله ﷺ[٣]. ﴿قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَارَةِۚ﴾ إن قيل: لم قدم اللهو هنا على التجارة وقدم التجارة قبل هذا على اللهو؟ فالجواب: أن كل واحد من الموضعين جاء على ما ينبغي فيه، وذلك أن العرب تارة يبتدئون بالأكثر ثم ينزلون إلى الأقل كقولك: فلان يخون في الكثير

---

(١) الكشاف: ٤/٥٣٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٨٤.

(٣) في سنن أبي داود عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: «كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ خُطْبَتَانِ كَانَ يَجْلِسُ بَيْنَهُمَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيُذَكِّرُ النَّاسَ» الحديث رقم: (١٠٩٦)، ومعناه في السنن الكبرى للبيهقي الحديث رقم: (٥٩٥٧).

والقليل فبدأت بالكثير ثم أردفت عليه الخيانة فيما دونه، وتارة يبتدئون بالأقل، ثم يرتقون إلى الأكثر كقولك: فلان أمين على القليل والكثير، فبدأت بالقليل ثم أردفت عليه الأمانة فيما هو أكثر منه، ولو عكست في كل واحد من المثالين لم يكن حسنا، فإنك لو قدمت في الخيانة القليل لعلم أنه يخون في الكثير من باب أولى وأحرى، ولو قدمت في الأمانة ذكر الكثير لعلم أنه أمين في القليل من باب أولى وأحرى، فلم يكن لذكره بعد ذلك فائدة، وكذلك قوله: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انفَضُّواْ إِلَيْهَا﴾ قدم التجارة هنا ليبين أنهم ينفضون إليها وأنهم مع ذلك ينفضون إلى اللهو الذي هو دونها، وقوله: ﴿خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ﴾ قدم اللهو ليبين أن ما عند الله خير من اللهو وأنه أيضا خير من التجارة التي هي أعظم منه، ولو عكس كل واحد من الموضعين لم يحسن.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سورة المنافقون

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلذلك كذبهم الله بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ أي كذبوا في دعواهم الشهادة بالرسالة، وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ فليس من كلام المنافقين وإنما هو من كلام الله تعالى ولو لم يذكره لكان يوهم أن قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَكَـٰذِبُونَ﴾ إبطال للرسالة فوسطه بين حكاية المنافقين وبين تكذيبهم ليزيل هذا الوهم وليحقق الرسالة، وعلى هذا ينبغي أن يوقف على قوله ﴿لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾.

﴿جُنَّةً﴾ ذكر في المجادلة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ الإشارة إلى سوء عملهم وفضيحتهم وتوبيخهم وأما قوله: ﴿ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون فيمن آمن منهم إيمانا صحيحا ثم نافق بعد ذلك.

والآخر: أن يريد آمنوا في الظاهر كقوله: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ يعني أنهم حسان الصور. ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ يعني أنهم فصحاء الخطاب، والضمير في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ﴾ وفي قوله: ﴿تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ للنبي ﷺ ولكل مخاطب. ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ شبههم بالخشب في قلة أفهامهم فكان لهم منظر بلا مخبر وقال الزمخشري[1] إنما شبههم بالخشب المسندة إلى حائط لأن الخشب إذا كانت كذلك لم يكن فيها منفعة، بخلاف الخشب التي في سقف أو مغروسة في جدار فإن فيها

---

(١) الكشاف: ٤/٥٤٢.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ • يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

ربع

سُورَةُ التَّغَابُنِ — آياتها ١٨ — ترتيبها ٦٤

حينئذ منفعة، فالتشبيه على هذا في عدم المنفعة، وقيل: كانوا يستندون في مجلس رسول الله ﷺ فشبههم في استنادهم بالخشب المسندة إلى الحائط. ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ عبارة عن شدة خوفهم من المسلمين، وذلك أنهم كانوا إذا سمعوا صياحا ظنوا أن النبي ﷺ يأمر بقتلهم. ﴿قَٰتَلَهُمُ اللَّهُ﴾ الدعاء عليهم يتضمن ذمهم وتقبيح أحوالهم. ﴿أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كيف يصرفون عن الإيمان مع ظهوره.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ﴾ أي أمالوها إعراضا واستكبارا، وقصص هذه الآية وما بعدها: أن رسول الله ﷺ خرج في غزوة بني المصطلق فبلغ الناس إلى ماء ازدحموا عليه، فكان ممن ازدحم عليه جهجاه بن سعيد أجير لعمر بن الخطاب، وسنان الجهني حليف لعبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، فلطم الجهجاه سنان فغضب سنان ودعا بالأنصار ودعا جهجاه بالمهاجرين، فقال عبد الله بن أبي: والله ما مثلنا ومثل هؤلاء يعني المهاجرين إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يأكلك»[1] ثم قال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، يعني بالأعز نفسه وأتباعه، ويعني بالأذل رسول الله ﷺ ومن معه، ثم قال لقومه: إنما يقيم هؤلاء المهاجرون بالمدينة

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤٤/٦)، والسيرة النبوية لابن كثير: ٢٩٩/٣، ودلائل النبوة للبيهقي: ١١٢/٤.

بسبب معونتكم وإنفاقكم عليهم ولو قطعتم ذلك عنهم لفروا عن مدينتكم، فسمعه زيد بن أرقم فأخبر بذلك رسول الله ﷺ، فبلغ ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول، فحلف أنه ما قال من ذلك شيئا وكذب زيدا، فنزلت السورة عند ذلك فبعث رسول الله ﷺ إلى زيد، وقال: لقد صدقك الله يا زيد، فخزي عبد الله بن أبي ابن سلول ومقته الناس، فقيل له: امض إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوى رأسه إنكارا لهذا الرأي، وقال: أمرتموني بالإسلام فأسلمت، وأمرتموني بأداء زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم إلا أن تأمروني أن أسجد لمحمد، ثم مات عبد الله بن أبي بعد ذلك بقليل، وأسندت هذه الأقوال التي قالها عبد الله بن أبي إلى ضمير الجماعة؛ لأنه كان له أتباع من المنافقين يوافقونه عليها.

﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ روي: أنه لما نزلت إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم قال رسول الله ﷺ[1]: «لأزيدن على السبعين»، فلما فعل عبد الله بن أبي وأصحابه ما فعلوا شدد الله عليهم في هذه السورة وأخبر أنه لا يغفر لهم بوجه وفي هذا نظر؛ لأن هذه السورة نزلت في غزوة بني المصطلق قبل الآية الأخرى بمدة.

﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَآ أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي لا تشغلكم وذكر الله هنا على العموم في الصلاة والدعاء والعبادة، وقيل: يعني الصلاة المكتوبة والعموم أولى.

﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ عموم في الزكاة وصدقة التطوع والنفقة في الجهاد وغير ذلك، وقيل: يعني الزكاة المفروضة، والعموم أولى. ﴿وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ بالجزم عطف على موضع جواب الشرط، وقرأ أبو عمرو[2] (وأكون) بالنصب عطف على فأصدق.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٥٤/٦، وهو في المحرر الوجيز: ٢٨٨/٥ بدون سند.

(٢) قال الإمام الداني: أبو عمرو ﴿وأكون﴾ بالواو ونصب النون، والباقون بغير واو وجزم النون. التيسير، ص: ١٣٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا نُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَنُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾

سورة التغابن

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ في تأويل الآية وجهان:

أحدهما: الذي خلقكم فكان يجب على كل واحد منكم الإيمان به لكن منكم من كفر ومنكم من آمن، فالكفر والإيمان على هذا هو من اكتساب العبد.

والآخر: أن المعنى هو الذي خلقكم على صنفين فمنكم من خلقه مؤمنا ومنكم من خلقه كافرا، فالإيمان والكفر على هذا هو ما قضى الله على كل واحد، والأول أظهر لأنه عطفه على خلقكم بالفاء، يقتضي أن الكفر والإيمان واقعان بعد الخلقة لا في أصل الخلقة.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ ذكر معناه في مواضع. ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ تعديد نعمة في حسن خلقة بني آدم لأنهم أحسن صورة من جميع أنواع الحيوان، وإن وجد بعض الناس قبيح المنظر فلا يخرجه ذلك عن حسن الصور الإنسانية، وإنما هو قبيح بالنظر إلى من هو أحسن منه من الناس، وقيل: يعني العقل والإدراك الذي خص به الإنسان، والأول أرجح؛ لأن الصورة إنما تطلق على الشكل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ خطاب لقريش وسائر الكفار.

﴿فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا﴾ معناه أنهم استبعدوا أن يرسل الله بشرا أو تكبروا

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ • يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

ربع

ترتيبها ٦٥ — سُورَةُ الطَّلَاقِ — آياتها ١٢

عن اتباع بشر، والبشر يقع على الواحد والجماعة.

﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا﴾ قال عبد الله بن عمر[1] زعم كناية عن كذب.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ﴾ العامل في يوم ﴿لَتُنَبَّؤُنَّ﴾ أو محذوف تقديره: اذكر، ويحتمل أن يكون مبتدءا وخبره ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ يعني يوم القيامة، والتغابن مستعار من تغابن الناس في التجارة، وذلك إذا فاز السعداء بالجنة فكأنهم غبنوا الأشقياء في منازلهم التي كانوا ينزلون منها لو كانوا سعداء، فالتغابن على هذا بمعنى الغبن، وليس على المتعارف في صيغة تفاعل من كونه بين اثنين كقولك: تضارب وتقاتل إنما هي فعل واحد، كقولك: تواضع، قاله ابن عطية، وقال الزمخشري[2]: يعني نزول السعداء منازل الأشقياء ونزول الأشقياء منازل السعداء، والتغابن على هذا بين اثنين، قال: وفيه تهكم بالأشقياء؛ لأن نزولهم في جهنم ليس في الحقيقة بغبن للسعداء.

﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ يحتمل أن يريد بالمصيبة الرزايا وخصها بالذكر؛ لأنها أهم على الناس، أو يريد جميع الحوادث من خير أو شر وبإذن الله عبارة عن قضائه وإرادته تعالى. ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ قيل: معناه من يؤمن بأن كل شيء بإذن الله يهد الله قلبه للتسليم والرضا بقضاء الله، وهذا أحسن إلا أن

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٢.

(٢) الكشاف: ٤/٥٥٠.

العموم أحسن منه.

﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ سببها أن قوما أسلموا وأرادوا الهجرة فثبطهم أزواجهم وأولادهم عن الهجرة، فحذرهم الله من طاعتهم في ذلك، وقيل: نزلت[1] في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أراد الجهاد فاجتمع أهله وأولاده فشكوا من فراقه فرق لهم، ورجع ثم إنه ندم وهم بمعاقبتهم فنزلت الآية محذرة من فتنة الأولاد، ثم صرف تعالى عن معاقبتهم بقوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ﴾ الآية، ولفظ الآية مع ذلك على عمومه في التحذير ممن يكون للإنسان عدوا من أهله وأولاده، سواء كانت عداوتهم بسبب الدين أو الدنيا.

﴿وَاللَّهُ عِندَهُۥ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ترغيب في الآخرة وتزهيد في الأموال والأولاد التي فتن الناس بها.

﴿فَاتَّقُواْ اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ قيل: إن هذا ناسخ لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ وروي[2]: أنه لما نزل ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ شق ذلك على الناس حتى نزل ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقيل: لا نسخ بينهما؛ لأن حق تقاته معناه فيما استطعتم؛ إذ لا يمكن أن يفعل أحد إلا ما يستطيع، وهذه الآية على هذا مبينة لتلك، وتحرز بالاستطاعة من الإكراه والنسيان ومالا يؤاخذ به العبد، وإعراب ما في قوله ما استطعتم ظرفية ﴿خَيْراً لِّأَنفُسِكُمْ﴾ منصوب بإضمار فعل لا يظهر عند سيبويه وقيل: هو مفعول بأنفقوا لأن الخير بمعنى المال، وقيل: هو نعت لمصدر محذوف تقديره: أنفقوا إنفاقا خيرا لأنفسكم. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ ذكر في الحشر.

﴿إِن تُقْرِضُواْ﴾ ذكر في البقرة. ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ ذكر في اللغات.

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٣٥٨، والطبري: ٢٣/٤٢٧، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٢٩٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا (1) فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (2) وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (3) ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (4)

سورة الطلاق

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيءُ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ إن قيل: لم نودي النبيء ﷺ وحده، ثم جاء بعد ذلك خطاب الجماعة؟ فالجواب: أنه لما كان حكم الطلاق يشترك فيه النبي ﷺ وأمته، قيل: إذا طلقتم خطابا له ولهم وخص هو عليه الصلاة والسلام بالنداء تعظيما له، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: يا فلان افعلوا أي افعل أنت وقومك، ولأنه عليه الصلاة والسلام هو المبلغ لأمته فكأنه قال: ياأيها النبيء إذا طلقت أنت وأمتك، وقيل: تقديره: يأيها النبي قل لأمتك إذا طلقتم، وهذا ضعيف؛ لأنه يقتضي أن هذا الحكم مختص بأمته دونه، وقيل: إنه خوطب النبي ﷺ بطلقتم تعظيما له، كما تقول للرجل المعظم: أنتم فعلتم، وهذا أيضا ضعيف لأنه يقتضي اختصاصه عليه الصلاة والسلام بالحكم دون أمته، ومعنى إذا طلقتم هنا إذا أردتم الطلاق، واختلف في الطلاق هل هو مباح أو مكروه؟ فأما إذا كان على غير وجه السنة، فهو ممنوع ولكن يلزم. وأما اليمين بالطلاق فممنوع[1].

---

(١) وذلك لقوله ﷺ: «فمن كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت»، البخاري: ٢٦٧٩، والموطأ: ١٧٤٩، وقيل: الحلف به مكروه، قال ابن عبد البر: وهل المنع للتحريم قولان عند المالكية، والمشهور عندهم الكراهة، والخلاف أيضا عند الحنابلة، والمشهور عندهم: التحريم، وبه جزم الظاهرية، وقال ابن عبد البر: لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع، ومراده بنفي الجواز الكراهة من التحريم والتنزيه، فإنه قال في موضع آخر: أجمع العلماء على أن اليمين بغير الله مكروه، منهي=

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ تقديره: طلقوهن مستقبلات لعدتهن، ولذلك قرأ عثمان وابن عباس وأبي بن كعب[١]: «فطلقوهن في قبل عدتهن» وقرأ ابن عمر[٢] «لقبل عدتهن ورويت» القراءتان عن رسول الله ﷺ ومعنى ذلك كله لا يطلقها وهي حائض، فهو منهي عنه بإجماع لأنه إذا فعل ذلك لم يقع طلاقه في الحال التي أمر الله بها وهو استقبال العدة، واختلف في النهي عن الطلاق في الحيض: هل هو معلل بتطويل العدة أو هو تعبد؟ والصحيح أنه معلل بذلك، وينبني على هذا الخلاف فروع

منها: هل يجوز إذا رضيت به المرأة، أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها في الحيض وهي حامل أم لا؟

ومنها: هل يجوز طلاقها قبل الدخول وهي حائض أم لا؟ فالتعليل بتطويل العدة يقتضي جواز هذه الفروع، والتعبد يقتضي المنع ومن طلق في الحيض لزمه الطلاق، ثم يؤمر بالرجعة على وجه الإجبار عند مالك، وبدون إجبار عند الشافعي، حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك حسبما ورد في حديث ابن عمر، حين طلق امرأته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي ﷺ فقال له: «مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم إن شاء طلق وإن شاء أمسك»[٣] واشترط مالك أن يطلقها في طهر لم يمسها فيه ليعتد بذلك

= عنها، لا يجوز لأحد الحلف بها، والخلاف موجود عند الشافعية من أجل قول الشافعي: أخشى أن يكون الحلف بغير الله معصية، فأشعر بالتردد. فتح الباري: ٥٣١/١١، وعون المعبود: ٥٥/٩، وتحفة الأحوذي: ١١١/٥.

(١) الطبري في جامع البيان: ٤٣٣/٢٣ المحرر الوجيز: ٣٩٥/٢.

(٢) في تفسير الصنعاني: عبد الرزاق عن ابن جريج عن أبي الزبير عن ابن عمر أن النبي ﷺ قرأ «فطلقوهن لقبل عدتهن» ٢٢٩٦/٣، وهو في الدر المنثور: ١٩٠/٨ عن ابن الأنباري عن ابن عمر والمحرر الوجيز: ٤٢٧/٢، والبغوي في معالم التنزيل: ١٤٨/٨.

(٣) في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنه طلق امرأته وهي حائض على عهد=

الطهر فإنه إن طلقها في طهر بعد أن جامعها فيه فلا تدري هل تعتد بالوضع أو بالأقراء فليس طلاقا لعدتها كما أمر الله.

﴿وَأَحْصُواْ الْعِدَّةَ﴾ أمر بذلك لما ينبني عليها من الأحكام في الرجعة والسكنى والميراث وغير ذلك. ﴿لاَ تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلاَ يَخْرُجْنَ﴾ نهى الله سبحانه وتعالى أن يخرج الرجل المرأة المطلقة من المسكن الذي طلقها فيه ونهاها هي أن تخرج باختيارها فلا يجوز لها المبيت خارجا عن بيتها، ولا أن تغيب عنه نهارا إلا لضرورة التصرف، وذلك لحفظ النسب وصيانة المرأة، فإن كان المسكن ملكا للزوج أو مكترى عنده لزمه إسكانها فيه، وإن كان المسكن لها فعليه كراؤه مدة العدة وإن كانت قد أمتعته فيه مدة الزوجية ففي لزوم خروج العدة له قولان في المذهب، والصحيح لزومه لأن الإمتاع قد انقطع بالطلاق. ﴿إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ اختلف في هذه الفاحشة التي أباحت خروج المعتدة ما هي على خمسة أقوال:

الأول: أنها الزنا فتخرج لإقامة الحد قاله الليث بن سعد والشعبي[1].

الثاني: أنه سوء الكلام مع الأصهار، فتخرج ويسقط حقها من السكنى ويلزمها الإقامة في مسكن تتخذه حفظا للنسب، قاله ابن عباس[2] ويؤيده قراءة أبي بن كعب[3] إلا أن يفحشن عليكم.

الثالث: أنه جميع المعاصي من القذف والزنا والسرقة وغير ذلك، فمتى

= رسول الله ﷺ، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «مره فليرجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء» الحديث رقم: (٤٩٥٣)، ومسلم الحديث رقم: (٣٧٢٥)، وأبو داود الحديث رقم: (٢١٨١)، وغيرهم..

(١) الطبري: ٨/١١٥، وتفسير ابن كثير: ٨/١٤٢.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٣/٩٠٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٧.

فعلت شيئا من ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن عباس أيضا، وإليه مال الطبري[١].

الرابع: أنه الخروج عن بيتها خروج انتقال، فمتى فعلت ذلك سقط حقها في السكنى، قاله ابن الفرس، وإلى هذا ذهب مالك في المرأة إذا نشزت في العدة.
الخامس: أنه النشوز قبل الطلاق، فإذا طلقها بسبب نشوزها فلا يكون عليه سكنى قاله قتاده[٢].

﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ المراد به الرجعة عند الجمهور، أي أحصوا العدة وامتثلوا ما أمرتم به لعل الله يحدث الرجعة لنسائكم، وقيل: إن سبب الرجعة المذكورة في الآية تطليق النبي ﷺ لحفصة بنت عمر[٣] فأمره الله بمراجعتها.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ يريد آخر العدة، والإمساك بمعروف هو تحسين العشرة وتوفية النفقة، والفراق بالمعروف هو أداء الصداق والإمتاع حين الطلاق، والوفاء بالشروط ونحو ذلك. ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ هذا خطاب للأزواج والمأمور به هو الإشهاد على الرجعة عند الجمهور، وقد اختلف فيه هل هو واجب أو مستحب على قولين في المذهب؟ وقال ابن عباس[٤]: هو الشهادة على الطلاق وعلى الرجعة وهذا أظهر؛ لأن الإشهاد به يرفع الإشكال والنزاع، ولا فرق في هذا بين الرجعة والطلاق، وقد ذكرنا العدالة في البقرة. وقوله: ﴿ذَوَيْ عَدْلٍ﴾ يدل على أنه إنما يشهد في الطلاق والنكاح الرجال دون النساء، وهو مذهب مالك خلافا لمن أجاز شهادة النساء في

(١) الطبري: ٨/١١٨.
(٢) الطبري: ٨/١١٧.
(٣) الدر المنثور: ٨/١٨٩.
(٤) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٨.

ذلك، وقوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ يريد من المسلمين، وقيل: من الأحرار فيؤخذ من ذلك رد شهادة العبيد، وهو مذهب مالك. ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ هذا خطاب للشهود وإقامة الشهادة يحتمل أن يريد بها القيام، فإذا استشهد وجب عليه أن يشهد، وهو فرض كفاية وإلى هذا المعنى أشار ابن الفرس، ويحتمل أن يريد إقامتها بالحق دون ميل ولا غرض وبهذا فسره الزمخشري[١] وهو أظهر لقوله لله وهو كقوله: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ إشارة إلى ما تقدم من الأحكام. ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ قيل: إنها في الطلاق، ومعناها من يتق الله فيطلق طلقة واحدة حسبما تقتضيه السنة يجعل له مخرجا بجواز الرجعة متى قدم على الطلاق، وفي هذا المعنى روي عن ابن عباس أنه قال لمن طلق ثلاثا[٢]: إنك لم تتق الله فبانت منك امرأتك ولا أرى لك مخرجا، أي لا رجعة لك، وقيل: إنها على العموم، أي من يتق الله في أقواله وأفعاله يجعل له مخرجا من كرب الدنيا والآخرة، وقد روي هذا أيضا عن ابن عباس، وهذا أرجح لخمسة أوجه:

أحدها: حمل اللفظ على عمومه فيدخل في ذلك الطلاق وغيره.

الثاني: أنه روي[٣] أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أنه أسر ولده وضيق عليه رزقه فشكى ذلك إلى رسول الله ﷺ فأمره بالتقوى فلم يلبث إلا يسيرا، وانطلق ولده ووسع الله رزقه.

والثالث: أنه روي[٤]: عن رسول الله ﷺ أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة.

---

(١) الكشاف: ٤/٥٥٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٢٩٨.

(٣) تفسير مقاتل: ٣/٣٧٢، وتفسير السمعاني: ٥/٤٦٢، والجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٦١.

(٤) ورد هذا الأثر في بعض كتب التفسير بدون سند. الكشف عن حقائق التنزيل: ٤/٥٥٩.

والرابع: روي[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم».

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجاً﴾ الآية فما زال يقرؤها ويعيدها.

الخامس: قوله: ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ فإن هذا لا يناسب الطلاق، وإنما يناسب التقوى على العموم، قال بعض العلماء: الرزق على نوعين:

- رزق مضمون لكل حي طول عمره وهو الغذاء الذي تقوم به الحياة وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.

- ورزق موعود للمتقين خاصة وهو المذكور في هذه الآية.

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ أي كافيه بحيث لا يحتاج معه إلى غيره وقد تكلمنا على التوكل في آل عمران. ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي يبلغ ما يريد ولا يعجزه شيء، هذا حض على التوكل وتأكيد له؛ لأن العبد إذا تحقق أن الأمور كلها بيد الله توكل عليه وحده، ولم يعول على سواه. ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ أي مقدارا معلوما ووقتا محدودا.

﴿وَالَّٰٓئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾ روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ قالوا يا رسول الله: فما عدة من لا قرء لها من صغر أو كبر؟ فنزلت هذه الآية معلمة أن المطلقة إذا كانت ممن لا تحيض فعدتها ثلاثة أشهر، فقوله: ﴿وَالَّٰٓئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ يعني التي انقطعت حيضتها لكبر سنها وقوله: ﴿وَالَّٰٓئِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ يعني الصغيرة التي لم تبلغ المحيض وهو معطوف على اللائي يئسن، أو مبتدأ وخبره محذوف تقديره: واللائي لم يحضن كذلك، وقوله: ﴿إِنِ ارْتَبْتُمْ﴾ هو من الريب بمعنى الشك، وفي معناه قولان:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٦١، وتفسير الثعلبي: ١/٢٣٢١، والكشف والبيان: ٩/٣٣٧.

أحدهما: إن ارتبتم في حكم عدتها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر.

والآخر: إن ارتبتم في حيضها هل انقطع أو لم ينقطع؟ فهي على التأويل الأول في التي انقطعت حيضها لكبر سنها حسبما ذكرنا، وهو الصحيح وهي على التأويل الثاني في المرتابة وهي التي غابت عنها الحيضة وهي في سن من تحيض، وقد اختلف العلماء في عدتها على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها ثلاثة أشهر خاصة حسبما تقتضيه الآية على هذا التأويل.

والآخر: أنها ثلاثة أشهر بعد تسعة أشهر تستبرئ بها أمد الحمل وهذا مذهب مالك وقدوته في ذلك عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والثالث: أنها تعتد بالأقراء ولو بقيت ثلاثين سنة حتى تبلغ سن من لا تحيض وهومذهب الشافعي وأبي حنيفة.

﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ هذه الآية عند مالك والشافعي وأبي حنيفة وسائر العلماء عامة في المطلقات والمتوفى عنهن، فمتى كانت إحداهن حاملا فعدتها وضع حملها، وقال علي بن أبي طالب وابن عباس[1] إنما هذه الآية في المطلقات الحوامل فهن اللاتي عدتهن وضع حملهن، وأما المتوفى عنها إذا كانت حاملا فعدتها عندهما أبعد الأجلين إما الوضع أو انقضاء الأربعة الأشهر وعشرا، فحجة الجمهور حديث سبيعة الأسلمية أنها كانت زوجا لسعد بن خولة فتوفى عنها في حجة الوداع وهي حبلى فلما وضعت خطبها أبو السنابل بن بعكك فسألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال لها:[2] «انكحي من شئت» وقد ذكر أن

(١) تفسير السمعاني: ٥/٤٦٣.

(٢) في الموطإ حدثني يحيى عن مالك عن عبد ربه بن سعيد بن قيس عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه قال: سئل عبد الله بن عباس وأبو هريرة عن المرأة الحامل يتوفى عنها زوجها فقال ابن عباس آخر الأجلين وقال أبو هريرة إذا ولدت فقد حلت، فدخل أبو سلمة بن عبد الرحمن على أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسألها عن ذلك فقالت أم سلمة: ولدت سبيعة الأسلمية بعد وفاة=

ثمن

• أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ يَٰٓأُولِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ • ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

ربع

ابن عباس[(١)] رجع إلى هذا الحديث لما بلغه ولو بلغ عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لرجع إليه، وقال عبد الله بن مسعود[(٢)]: إن هذه الآية التي نزلت في سورة النساء القصرى يعني سورة الطلاق نزلت بعد الآية التي في البقرة: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾، فهي مخصصة لها حسبما قاله جمهور العلماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ أمر الله بإسكان المطلقة طول العدة، فأما المطلقة غير المبتوتة فيجب لها على زوجها السكنى والنفقة باتفاق، وأما المبتوتة ففيها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها يجب لها السكنى دون النفقة وهو مذهب مالك والشافعي.

والثاني: يجب لها السكنى والنفقة وهو مذهب أبي حنيفة.

والثالث: أنها ليس لها سكنى ولا نفقة.

فحجة مالك حديث فاطمة بنت قيس[(٣)]، وهو أن زوجها طلقها البتة فقال لها

= زوجها بنصف شهر فخطبها رجلان أحدهما شاب والأخر كهل فحطت إلى الشاب فقال الشيخ لم تحلي بعد وكان أهلها غيبا ورجا إذا جاء أهلها أن يؤثروه بها فجاءت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال قد حللت فأنكحي من شئت. الحديث رقم: (١٢٢٥)، وهو في البخاري الحديث رقم: (٤٦٢٦)، ومسلم الحديث رقم: (٣٧٩٦).

(١) تفسير ابن كثير: ٦٣٦/١.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٦١/١٠.

(٣) الموطأ الحديث رقم: (١٢١٠)، وهو في صحيح مسلم الحديث رقم: (٣٧٧٠)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٤٢٩٠).

رسول الله ﷺ: «ليس لك عليه نفقة» فيؤخذ من هذا أن لها السكنى دون النفقة، وحجة من أوجب لها السكنى: قول عمر بن الخطاب:[١] لا ندع آية من كتاب ربنا لقول امرأة، إني سمعت رسول الله ﷺ وهو يقول: «لها السكنى والنفقة»، وحجة من لا يجعل لها لا سكنى ولا نفقة أن في بعض الروايات عنها أنها قالت[٢]: «لم يجعل لي رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى»، وقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم﴾ معناه أسكنوهن مكانا من بعض مساكنكم، فمن للتبعيض، ويفسر ذلك قول قتادة[٣]: لو لم يكن له إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه.

﴿مِّن وُجْدِكُمْ﴾ الوجد هو الطاقة والسعة في المال، فالمعنى: أسكنوهن مسكنا مما تقدرون عليه، وإعرابه عطف بيان لقوله: ﴿حَيْثُ سَكَنتُم﴾ ويجوز في الوجد ضم الواو وفتحها وكسرها، وهو بمعنى واحد والضم أكثر وأشهر. ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ اتفق العلماء على وجوب النفقة في العدة للمطلقة الحامل عملا بهذه الآية سواء كان الطلاق رجعيا أو بائنا، واتفقوا

---

(١) مسلم في (باب المطلقة ثلاثا لا نفقة لها) الحديث رقم: (٣٧٨٣)، ومسند إسحاق: ٥/٢٢٤ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: وما وقع في بعض الروايات عن عمر أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لها السكنى والنفقة». فقال قال الإمام أحمد: لا يصح ذلك عن عمر. وقال الدارقطني: السنة بيد فاطمة قطعا، وأيضا تلك الرواية عن عمر من طريق إبراهيم النخعي ومولده بعد موت عمر بسنتين. قال ابن القيم: ونحن نشهد بالله شهادة نسأل عنها إذا لقيناه، أنها كذب على عمر وكذب على رسول الله ﷺ، فإذا حققت أن السنة معها وأنها صاحبة القصة، فاعلم أنها لما سمعت قول عمر لا نترك كتاب الله وسنة نبينا ﷺ لقول امرأة، لا ندري لعلها حفظت أو نسيت، قالت: بيني وبينكم كتاب الله. قال الله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾، حتى قال: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾. فأي أمر يحدث بعد الثلاث، رواه أبو داود، والنسائي، وأحمد، ومسلم بمعناه. فتحصل أن السنة بيدها، وكتاب الله معها. أضواء البيان: ٣/١٨١.

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) لم أجده مسندا وهو في كتب التفسير مثل: السراج المنير: ٤/٢٢٩، والبحر المحيط: ٨/٢٨٠، وتفسير النيسابوري: ٧/١٧٩.

على أن للمطلقة غير الحامل النفقة في العدة إذا كان الطلاق رجعيا، فإن كان بائنا فاختلفوا في نفقتها حسبما ذكرناه، وأما المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملا فلا نفقة لها عند مالك والجمهور؛ لأنهم رأوا أن هذه الآية إنما هي في المطلقات، وقال قوم: لها النفقة في التركة. ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ المعنى: إن أرضع هؤلاء الزوجات المطلقات أولادكم فآتوهن أجرة الرضاع وهي النفقة وسائر المؤن حسبما ذكر في كتب الفقه. ﴿وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ﴾ هذا خطاب للرجال والنساء، والمعنى: أن يأمر كل واحد صاحبه بخير من المسامحة والرفق والإحسان، وقيل: معنى ائتمروا تشاوروا ومنه إن الملأ يأتمرون بك. ﴿وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ﴾ المعنى إن تشططت الأم على الأب في أجرة الرضاع وطلبت منه كثيرا فللأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق له إلا أن لا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على رضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ أمر بأن ينفق كل واحد على مقدار حاله ولا يكلف الزوج مالا يطيق ولا تضيع الزوجة بل يكون الحال معتدلا، وفي الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف أحوال الناس، وهو مذهب مالك خلافا لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية، ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك والشافعي أنها تطلق عليه خلافا لأبي حنيفة، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطليق عليه قولان في المذهب.

﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ أي حاسبنا أهلها قيل: يعني الحساب في الآخرة وكذلك العذاب المذكور بعده، وقيل يعني في الدنيا وهذا أرجح؛ لأنه ذكر عذاب الآخرة بعد ذلك في قوله أعد الله لهم عذابا شديدا أو لأن قوله: حاسبناها وعذبناها بلفظ الماضي فهو حقيقة فيما وقع مجاز فيما لم يقع، فمعنى: حاسبناها أي آخذناهم بذنوبهم ولم يغتفر لهم شيء من صغائرها والعذاب هو عقابهم في الدنيا والنكر هو الشديد الذي لم يعهد مثله.

﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا﴾ الذكر هنا هو القرآن والرسول هو محمد ﷺ، وإعراب رسولا مفعول بفعل مضمر تقديره أرسل رسولا وهذا الذي اختاره ابن عطية: وهو أظهر الأقوال، وقيل: إن الذكر والرسول معا يراد بهما القرآن والرسول على هذا بمعنى الرسالة، وقيل: إنهما يراد بهما القرآن على حذف مضاف تقديره: ذكرا ذا رسول، وقيل: رسولا مفعول بالمصدر الذي هو الذكر، وقال الزمخشري: الرسول هو جبريل بدل من الذكر لأنه نزل به أو سمي ذكرا لكثرة ذكره لله، وهذا كله بعيد.

﴿وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ لا خلاف أن السموات سبع، وأما الأرض فاختلف فيها، فقيل: إنها سبع أرضين لظاهر هذه الآية، ولقوله ﷺ[1]: «من غصب شبرا من أرض طوقه يوم القيامة من سبع أرضين»، وقيل: إنما هي واحدة، فقوله: ﴿مِثْلَهُنَّ﴾ على القول الأول يعني به المماثلة في العدد، وعلى القول الثاني يعني به المماثلة في عظم الجرم وكثرة العمار وغير ذلك، والأول أرجح. ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ يحتمل أن يريد بالأمر الوحي أو أحكام الله، وتقديره: لخلقه.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) هو في الصحيح بزيادة ظلما، عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا طَوَّقَهُ اللهُ إِيَّاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ» ا لبخار ي الحديث رقم: (٣٠٢٦)، ومسلم الحديث رقم: (٤٢١٧)، وابن حبان الحديث رقم: (٥١٦٤)، والمستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٧٨٠٧).

سُورَةُ التَّحْرِيمِ (ترتيبها ٦٦ — آياتها ١٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سورة التحريم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ في سبب نزولها روايتان:

إحداهما[1]: أن رسول الله ﷺ جاء يوما إلى بيت زوجه حفصة بنت عمر بن الخطاب فوجدها قد مرت لزيارة أبيها فبعث إلى جاريته مارية فجامعها في البيت، فجاءت حفصة فقالت يا رسول الله: أما كان في نسائك أهون عليك مني؟، أتفعل هذا في بيتي وعلى فراشي؟ فقال لها رسول الله ﷺ مترضيا لها: أيرضيك أن أحرمها؟ قالت: نعم، فقال: إني قد حرمتها.

والرواية الأخرى: أن رسول الله ﷺ كان يدخل على زوجه زينب بنت جحش، فيشرب عندها عسلا، فاتفقت عائشة وحفصة وسودة بنت زمعة على أن تقول له من دنا منها: أأكلت مغافير؟ والمغافير صمغ العرفط، وهو حلو كريه الريح، ففعلن ذلك، فقال رسول الله ﷺ: لا، ولكني شربت عسلا، فقلن له: جرست نحله العرفط[2]، فقال رسول الله ﷺ: لا أشربه أبدا، وكان يكره أن توجد منه رائحة كريهة، فدخل بعد ذلك على زينب، فقالت: ألا أسقيك من

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٧٩، وأخرجه سعيد بن منصور وابن المنذر عن الضحاك، كما في الدر المنثور: ٨/٢١٦، والدارقطني كما في الجامع لأحكام القرآن: ١٨/١٧٩.

(٢) قوله: جرست نحله العرفط: أي أكلت العرفط ليصير منه العسل، والعرفط: هو الشجر الذي صمغه المغافير.

ذلك؟، فقال: لا حاجة لي به، فنزلت الآية عتابا له على أن يضيق على نفسه بتحريم الجارية، أو تحريم العسل، والرواية الأولى أشهر وعليها تكلم الناس في فقه السورة، وقد خرج الرواية الثانية البخاري[١] وغيره ولنتكلم على فقه التحريم:

فأما تحريم الطعام والمال وسائر الأشياء ما عدا النساء فلا يلزم، ولا شيء عليه عند مالك، وأوجب عليه أبو حنيفة الكفارة، وأما تحريم الأمة فإن نوى به العتق لزم وإن لم ينو به ذلك لم يلزم، وكان حكمه ما ذكرنا في الطعام، وأما تحريم الزوجة: فاختلف الناس فيه على أقوال كثيرة، فقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وابن عباس وعائشة وغيرهم: إنما يلزم فيه كفارة يمين، وقال مالك في المشهور عنه: ثلاث تطليقات في المدخول بها وينوى في غير المدخول بها، فيحكم بما نوى من طلقة أو اثنتين أو ثلاث، وقال ابن الماجشون: هي ثلاث في الوجهين، وروي عن مالك أنها طلقة بائنة، وقيل: طلقة رجعية.

﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي تطلب رضا أزواجك بتحريم ما أحل الله لك، يعني تحريمه للجارية ابتغاء رضا حفصة، وهذا يدل على أنها نزلت في تحريم الجارية، وأما تحريم العسل فلم يقصد فيه رضا أزواجه، وإنما تركه لرائحته. ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ في هذا إشارة إلى أن الله غفر له ما عاتبه عليه من التحريم على أن عتابه في ذلك إنما كان كرامة له، وإنما وقع العتاب على تضييقه ﷺ على نفسه وامتناعه مما كان له فيه أرب، وبئس ما قال الزمخشري[٢] في أن هذا كان منه

---

(١) في صحيح البخاري: حدثني الحسن بن محمد بن صباح حدثنا حجاج عن أبي جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول: سمعت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، فتواصيت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد فيك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: (بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له) فنزلت ﴿يا أيها النبيء لم تحرم ما أحل الله لك ـ إلى ـ إن تتوبا إلى الله﴾ لعائشة وحفصة ﴿وإذ أسر النبيء إلى بعض أزواجه﴾ لقوله: بل شربت عسلا. الحديث رقم: (٤٩٦٦)، ومسلم الحديث رقم: (٣٧٥١).

(٢) الكشاف: ٤/٥٦٦.

زلة؛ لأنه حرم ما أحل الله، وذلك قلة أدب على منصب النبوءة.

﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ التحلة هي الكفارة وأحال تعالى هنا على ما ذكر في سورة المائدة من صفتها. واختلف في المراد بها هنا فأما على قول من قال إن الآية نزلت في تحريم الجارية فاختلف في ذلك فمن قال إن التحريم يلزم فيه كفارة يمين استدل بها، ومن قال إن التحريم يلزم فيه طلاق قال إن الكفارة هنا إنما هي لأن رسول الله ﷺ حلف وقال: والله لا أطؤها أبدا، وأما على القول بأن الآية نزلت في تحريم العسل، فاختلف أيضا، فمن أوجب في تحريم الطعام كفارة، قال: هذه الكفارة للتحريم، ومن قال: لا كفارة فيه، قال: إنما هذه الكفارة؛ لأنه حلف ألا يشربه، وقيل: هي في يمينه ﷺ أن لا يدخل على نسائه شهرا. ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ يحتمل أن يكون المولى بمعنى الناصر، أو بمعنى السيد الأعظم.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا﴾ اختلف في هذا الحديث على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه تحريم الجارية فإنه لما حرمها قال لحفصة: لا تخبري بذلك أحدا.

والآخر: أنه قال: إن أبا بكر وعمر يليان الأمر من بعده.

والثالث: أنه قوله: شربت عسلا، والأول أشهر، وبعض أزواجه حفصة.

﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ كانت حفصة قد أخبرت عائشة بما أسر إليها رسول الله ﷺ من تحريم الجارية، فأخبر الله رسوله ﷺ بذلك، فعاقب حفصة على إفشائها لسره، فطلقها[1] ثم

(١) قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهباري، حدثنا أسباط بن محمد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله، ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ فقيل له: راجعها فإنها صوامة قوامة،=

أمره الله بمراجعتها فراجعها، وقيل: لم يطلقها، فقوله: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ﴾ حذف المفعول وهو عائشة، وقوله: ﴿وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أي أطلعه على إخبارها به، وقوله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ﴾ أي عاتب حفصة على بعضه وأعرض عن بعض حياء وتكريما، فإن من عادة الفضلاء التغافل عن الزلات والتقصير في العتاب، وقرئ[1] عرف بالتخفيف من المعرفة. ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا﴾ أي لما أخبر النبي ﷺ حفصة بأنها قد أفشت سره ظنت بأن عائشة هي التي أخبرته، فقالت له: من أنبأك هذا؟ فلما أخبرها أن الله هو الذي أنبأه: سكتت وسلمت.

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ هذا خطاب لعائشة وحفصة وتوبتهما مما جرى منهما في قصة تحريم الجارية أو العسل، ومعنى صغت أي مالت عن الصواب، وقرأ ابن مسعود[2]: «زاغت» والمعنى: إن تتوبا إلى الله فقد صدر منكما ما يوجب التوبة. ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ﴾ المعنى إن تعاونتما عليه ﷺ بما يسوؤه من إفراط الغيرة وإفشاء سره ونحو ذلك، فإن له من ينصره ومولاه هنا يحتمل أن يكون بمعنى السيد الأعظم فيوقف على مولاه، ويكون جبريل مبتدأ وظهير خبره، وخبر ما عطف عليه، ويحتمل أن يكون المولى هنا بمعنى الولي الناصر فيكون جبريل معطوف فيوصل مع ما قبله ويوقف على صالح المؤمنين، ويكون الملائكة مبتدءا وظهير خبره، وهذا أظهر وأرجح لوجهين:

= وهي من أزواجك ونسائك في الجنة. ورواه ابن جرير، عن ابن بشار، عن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة... فذكره مرسلا، وقد ورد من غير وجه: أن رسول الله ﷺ طلق حفصة ثم راجعها. الطبري في جامع البيان: ٣٠٣/٢٠، وتفسير ابن كثير: ١٤٢/٨، ورواه النسائي في سننه رقم: (٣٥٦٠) قال الألباني صحيح.

(١) ﴿عرف بعضه﴾ قرأ الكسائي بتخفيف الراء، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٤٢٨/٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٨٤/٢٣.

أحدهما: أن معنى الناصر أليق بهذا الموضع فإن ذلك كرامة للنبي ﷺ وتشريفا له، وأما إذا كان بمعنى السيد فذلك يشترك فيه النبي ﷺ مع غيره؛ لأن الله تعالى مولى جميع خلقه بهذا المعنى، فليس في ذلك إظهار مزية له.

الوجه الثاني: أنه ورد في الحديث الصحيح[١] أنه لما وقع ذلك جاء عمر إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: «**ما يشق عليك من شأن النساء؟ فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل معك وأبو بكر معك وأنا معك، فنزلت الآية موافقة لقول عمر، فقوله: يقتضي معك النصرة**».

﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ اختلف في صالح هل هو مفرد أو جمع محذوف النون للإضافة، فعلى القول بأنه مفرد هو أبو بكر، وقيل: علي بن أبي طالب[٢] وعلى القول بأنه جمع فهو على العموم في كل صالح.

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ﴾ الآية نصرة للنبي ﷺ، وروي: أن عمر قال ذلك، ونزل القرآن بموافقته، ولقد قال عمر[٣] حينئذ للنبي ﷺ والله يا رسول الله لئن أمرتني بضرب عنق حفصة لضربت عنقها، وقد ذكرنا معنى الإسلام والإيمان والقنوت والسائحات معناه الصائمات قاله ابن عباس[٤] وقد روي عن النبي ﷺ، وقيل: معناه مهاجرات، وقيل: ذاهبات إلى الله لأن أصل السياحة الذهاب في الأرض وقوله: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾ قال بعضهم: المراد بالأبكار هنا

---

(١) في صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه في حديث طويل:... قَالَ ـ وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ ـ وَأَحْمَدُ اللهَ ـ بِكَلاَمٍ إِلاَّ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ. الحديث رقم: (٣٧٦٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٤١٨٨).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٠٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٩٠.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٢)﴾

ثمن

مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، فإن الله يزوج النبي ﷺ إياهما في الجنة، وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، ودخلت الواو هنا للتقسيم ولو سقطت لاختل المعنى؛ لأن الثيوبة والبكارة لا يجتمعان، وقال الكوفيون: هي واو الثمانية وذلك ضعيف.

﴿قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾ أي أطيعوا الله وأمروا أهلكم بطاعته لتقوا أنفسكم وأهليكم بطاعته من النار فعبر بالمسبب وهو وقاية النار عن السبب وهو الطاعة. ﴿وَقُودُهَا﴾ ذكر في البقرة. ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ يعني زبانية النار وغلظهم وشدتهم يحتمل أن يريد في أجرامهم وفي قساوة قلوبهم. ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ قيل: إن هذا تأكيد لقوله: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ﴾، وقيل: إن معنى: لا يعصون امتثال الأمر، ومعنى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ جدهم ونشاطهم فيما يؤمرون به من عذاب الناس.

﴿لَا تَعْتَذِرُواْ ٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة، ويحتمل أن يكون هذا خطابًا من الله للكفار، أو خطابًا من الملائكة.

﴿تَوْبَةً نَّصُوحاً﴾ قال عمر بن الخطاب التوبة النصوح[1] هي أن تتوب من الذنب ثم لا تعود إليه أبدا ولا تريد أن تعود، وقيل: معناه توبة خالصة فهو من

(١) تفسير الطبري: ٢٣/٤٩٣.

قولهم: عسل ناصح إذا خلص من الشمع، وقيل: هو أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت كتوبة الثلاثة الذين خلفوا، قال الزمخشري: وصفت التوبة بالنصح على الإسناد المجازي، والنصح في الحقيقة صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم، وقد تكلمنا على التوبة في قوله: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً﴾ في النور. ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ﴾ العامل في يوم يحتمل أن يكون ما قبله أو ما بعده أو محذوفًا تقديره: اذكر. والوقف والابتداء يختلف على ذلك. ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يحتمل أن يكون معطوفا على النبيء، أو مبتدأً وخبره بعده ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ﴾ ذكر في الحديد.

﴿جَاهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ ذكر في براءة.

﴿ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾ قيل اسم امرأة نوح والهة واسم امرأة لوط والعة وهذا يفتقر إلى صحة نقل. ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال ابن عباس[1]: خيانة امرأة نوح في أنها كانت تقول إنه مجنون وخيانة امرأة لوط بأنها كانت تخبر قومه بأضيافه إذا قدموا عليه وكانتا مع ذلك كافرتين، وقيل: خانتا بالزنا وأنكر ابن عباس ذلك[2]، وقال: ما زنت امرأة نبي قط تنزيها من الله لهم عن هذا النقص، وضرب الله المثل بهاتين المرأتين للكفار الذين بينهم وبين الأنبياء وسائل كأنه يقول: لا يغني أحد عن أحد ولو كان أقرب الناس إليه كقرب امرأة نوح وامرأة لوط من أزواجهما، وقيل: هذا مثال لأزواج النبي ﷺ فيما ذكر في أول السورة، وهذا باطل؛ لأن

---

(١) المحرر الوجيز: ٣/١٩٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره: ١٠/٣٣٦٢، والطبري في جامع البيان: ٢٣/٤٩٨، وابن كثير في تفسيره: ٤/٣٤٧، والبغوي في معالم التنزيل: ٤/١٨١ قال الزمخشري: فإن قلت: ما كانت خيانتهما؟ قلت: نفاقهما وإبطانهما الكفر، وتظاهرهما على الرسولين، فامرأة نوح قالت لقومه: إنه مجنون، وامرأة لوط دلت على ضيفانه. ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور؛ لأنه سمج في الطباع، نقيصة عند كل أحد، بخلاف الكفر فإن الكفار لا يستسمجونه، بل يستحسنونه ويسمونه حقاً، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما بغت امرأة نبي قط... الكشاف: ٤/٥٧٥.

الله إنما ضربه للذين كفروا وامرأة فرعون اسمها آسية وكانت قد آمنت بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فبلغ ذلك فرعون فأمر بقتلها فدعت بهذا الدعاء فقبض الله روحها، وروي: في قصصها غير هذا مما يطول وهو غير صحيح.

﴿مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ تعني كفره وظلمه، وقيل: مضاجعته لها وهذا ضعيف.

﴿أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ يعني الفرج الذي هو الجارحة وإحصانها له هو صيانتها وعفتها عن كل مكروه. ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ عبارة عن نفخ جبريل في فرجها فخلق الله فيه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأضاف الله الروح إلى نفسه إضافة مخلوق إلى خالقه وفي ذلك تشريف له. ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكِتَٰبِهِۦ﴾ كلمات ربها يحتمل أن يريد بها الكتب التي أنزل الله أو كلامه مع الملائكة وغيرهم وكتابه بالإفراد يحتمل أن يريد به التوراة أو الإنجيل أو جنس الكتب، وقرئ[1] بالجمع يعني كتب الله. ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ أي من العابدين.

فإن قيل: لم قال: ﴿مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ بجمع المذكر وهي أنثى؟ **فالجواب:** أن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلب الذكور.

❋❋ ❋❋ ❋❋

(١) ﴿وكتبه﴾ قرأ أبو عمرو وحفص عن عاصم وخارجة عن نافع ﴿وكتبه﴾ جماعة، وقرأ ابن كثير وابن عامر وغير خارجة عن نافع وعاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي ﴿وكتابه﴾ واحداً. السبعة لابن مجاهد، ص: ٦٤١.

سُورَةُ المُلْكِ آياتها ٣٠ ترتيبها ٦٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾

سورة الملك

ورد في الحديث أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقرأ هذه السورة كل ليلة إذا أخذ مضجعه، وأنه عليه الصلاة والسلام قال: «إنها تنجي من عذاب القبر»[1].

﴿تَبَٰرَكَ﴾ فعل مشتق من البركة، وقيل: معناه تعاظم، وهو مختص بالله تعالى، ولم ينطق له بمضارع. ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ يعني ملك السموات والأرض والدنيا والآخرة، وقيل: يعني ملك الملوك في الدنيا، فهو كقوله: ﴿مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ﴾ والأول أعم وأعظم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ يعني موت الخلق وحياتهم، وقيل: الموت الدنيا؛ لأن أهلها يموتون والحياة الآخرة لأنها باقية، فهو كقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ وهو على هذا وصف بالمصدر، والأول أظهر. ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ أي ليختبركم واختبار الله لعباده إنما هو لتقوم عليهم الحجة بما يصدر منهم، وقد كان الله علم ما يفعلون قبل كونه، والمعنى: ليبلوكم فيجازيكم بما ظهر منكم. ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ روي: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأها فقال[2]: أيكم أحسن عملا، وأشدكم لله خوفا، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعة الله.

---

(١) قال ابن عطية: رواه جماعة مرفوعا إلى جابر بن عبد الله، ويروى عنه أنه قال: «انها لتنجي من عذاب القبر وتجادل عن حافظها حتى لا يعذب» المحرر الوجيز: ٥/٣١٠.

(٢) المصدر السابق.

﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي بعضها فوق بعض، والطباق مصدر وصفت به السموات، أو على حذف مضاف تقديره: ذوات طباق. وقيل: إنه جمع طبقة. ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي من قلة تناسب وخروج عن الإتقان، والمعنى: أن خلقة السموات في غاية الإتقان، وقيل: أراد خلقة جميع المخلوقات، ولا شك أن جميع المخلوقات متقنة ولكن تخصيص الآية بخلقة السموات أظهر لورودها بعد قوله: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ فكأن قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ بيان وتكميل ما قبله والخطاب في قوله: ﴿مَّا تَرَىٰ﴾ وارجع البصر وما بعده للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب ليعتبر. ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ الفطور: الشقوق جمع فطر وهو الشق، وإرجاع البصر: ترديده في النظر، ومعنى الآية: الأمر بالنظر إلى السماء فلا يرى فيها شقاق ولا خلل، بل هي ملتئمة مستوية.

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي انظر نظرا بعد نظر للتثبت والتحقق، وقال الزمخشري: معنى التثنية في كرتين التكثير لا مرتين خاصة، كقولهم: لبيك فإن معناه إجابات كثيرة. ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ الخاسئ هو المبعد عن الشيء الذي طلبه، والحسير: هو الكليل الذي أدركه التعب، فمعنى الآية: أنك إذا نظرت إلى السماء مرة بعد مرة لترى فيها شقاقا أو خللا رجع بصرك ولم تر شيئا من ذلك، فكأنه خاسئ؛ لأنه لم يحصل له ما طلب من رؤية الشقاق والخلل، وهو مع ذلك كليل من شدة النظر وكثرة التأمل.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ السماء الدنيا هي القريبة منا، والمصابيح يراد بها النجوم، فإن كانت النجوم كلها في السماء الدنيا فلا إشكال وإن كانت في غيرها من السموات فقد زينت السماء الدنيا لأنها ظاهرة فيها لنا، ويحتمل أن يريد أنه زين السماء الدنيا بالنجوم التي فيها دون التي في غيرها، على

أن القول بموضع الكواكب وفي أي سماء هي لم يرد في الشريعة. ﴿وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ أي جعلنا منها رجوما؛ لأن الكواكب الثابتة ليست ترجم الشياطين، فهو كقولك: أكرمت بني فلان إذا أكرمت بعضهم، والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به، قال الزمخشري(١): معنى كون النجوم رجوما للشياطين، والشهب تنقض من النجوم لرجم الشياطين الذين يسترقون السمع من السماء فالشهب الراجمة منفصلة من نار الكواكب لا أن الراجمة هي الكواكب أنفسها لأنها ثابتة في الفلك، قال قتادة(٢): خلق الله النجوم لثلاثة أشياء: زينة السماء، ورجوم الشياطين، ويهتدى بها في ظلمات البر والبحر. ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ يعني للشياطين.

﴿سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا﴾ الشهيق: أقبح ما يكون من صوت الحمار. ويعني به هنا ما يسمع من صوت جهنم لشدة غليانها وهولها، أو شهيق أهلها، والأول أظهر. ﴿وَهِىَ تَفُورُ﴾ أي تغلي بأهلها غليان القدر بما فيها.

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ أي تكاد جهنم ينفصل بعضها من بعض لشدة غيظها على الكفار، فيحتمل أن تكون هي المغتاظة بنفسها، ويحتمل أن يريد غيظ الزبانية، والأول أظهر لأن حال الزبانية يذكر بعد هذا، وغيظ النار يحتمل أن يكون حقيقة بإدراك يخلقه الله لها، أو يكون عبارة عن شدتها. ﴿كُلَّمَا أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ أي كلما ألقى في جهنم جماعة من الكفار سألتهم الزبانية هل جاءكم من نذير؟ أي رسول، وهذا السؤال على وجه التوبيخ وإقامة الحجة عليهم، ولذلك اعترفوا فقالوا بلى قد جاءنا نذير، وقوله: ﴿كُلَّمَا﴾ يقتضي أن يقال ذلك لكل جماعة تلقى في النار.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من قول الملائكة للكفار، أو

---

(١) الكشاف: ٤/٥٨٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣١٢.

وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾

ثمن

من قول الكفار للرسل في الدنيا.

﴿وَقَالُواْ﴾ الضمير للكفار أي لو كنا نسمع كلام الرسل ونعقل الصواب ما كنا في أصحاب السعير.

﴿فَاعْتَرَفُواْ بِذَنبِهِمْ﴾ اعترافهم هذا في وقت لا ينفعهم الاعتراف وذنبهم هنا يراد به تكذيب الرسل.

﴿فَسُحْقاً لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ انتصب فسحقا بفعل مضمر على معنى الدعاء عليهم.

﴿بِالْغَيْبِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه وهم غائبون عن الناس ففي ذلك وصف لهم بالإخلاص.

والآخر: أن الغيب ما غاب عنهم من أمور الآخرة وغيرها، على أن هذا القول إنما يحسن في قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾.

﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُواْ بِهِ﴾ المعنى سواء جهرتم أو أسررتم فإن الله يعلم الجهر والسر.

﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ هذا برهان على أن الله تعالى يعلم كل شيء لأن الخالق يعلم مخلوقاته، ويحتمل أن يكون ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ فاعلا يراد به الخالق والمفعول محذوف تقديره: ألا يعلم الخالق خلقه؟ أو يكون من خلق مفعولا والفاعل مضمر تقديره: ألا يعلم الله من خلق؟ والأول أرجح؛ لأن من خلق إذا كان مفعولا اختص بمن يعقل، والمعنى الأول: يعم من يعقل ومن لا يعقل.

﴿ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ فعول هنا بمعنى مفعول، أي مذلولة فهي كركوب وحلوب

﴿فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال ابن عباس[1]: هي الجبال، وقيل: الجوانب والنواحي، وقيل: الطرق، والمعنى: تعديد النعمة في تسهيل المشي على الأرض، فاستعار لها الذل والمناكب تشبيها بالدواب. ﴿وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ يعني البعث يوم القيامة.

﴿ءَأَمِنتُم﴾ الآية: مقصودها التهديد والتخويف للكفار، وكذلك الآية التي بعدها. ﴿تَمُورُ﴾ ذكر في الطور.

﴿حَاصِباً﴾ يحتمل أن يريد حجارة أو ريحا شديدة. ﴿نَذِيرِ﴾ بمعنى الإنذار، وكذلك النكير بمعنى الإنكار.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ تنبيه على الاعتبار بطيران الطيور في الهواء من غير شيء يمسكها، وصافات جمع صافة وهي التي تبسط جناحها للطيران، والقبض ضم الجناحين إلى الجنب، وعطف يقبض على صافات لأن الفعل في معنى الاسم تقديره: قابضات، فإن قيل: لم لم يقل قابضات على طريقة صافات؟ فالجواب: أن بسط الجناحين هو الأصل في الطيران كما أن مد الأطراف هو الأصل في السباحة، فذكر بصيغة اسم الفاعل لدوامه وكثرته، وأما قبض الجناحين فإنما يفعله الطائر قليلا للاستراحة والاستعانة، فذكر بلفظ الفعل لقلته.

﴿أَمَّنْ هَـٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ خطاب للكفار على وجه التوبيخ والتهديد وإقامة الحجة عليهم ودخلت أم التي يراد بها الإنكار على من فأدغمت فيها، وكذلك أمن هذا الذي يرزقكم، والضمير في أمسك لله أي من يرزقكم إن منع الله رزقه.

﴿بَل لَّجُّواْ﴾ أي تمادوا في العتو والنفور عن الإيمان.

﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ الآية توقيف على الحالتين أيهما أهدى

---

١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٥١٢/٢٣.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِے كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَآيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ الْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَآيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَّأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾

سُورَةُ القَلَمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْراً غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾

والمراد بها توبيخ الكفار، وفي معناها قولان:

أحدهما: أن المشي هنا استعارة في سلوك طريق الهدى والضلال في الدنيا.

والآخر: أنه حقيقة في المشي في الآخرة لأن الكافر يحمل على المشي إلى جهنم على وجهه، فأما على القول الأول، فقيل: إن الذي يمشي مكبا أبو جهل والذي يمشي سويا سيدنا محمد ﷺ، وقيل: حمزة، وقيل: هي على العموم في كل مؤمن وكافر، وقد تمشي هذه الأقوال أيضا على الثاني، والمكب هو الذي يقع على وجهه، يقال: أكب الرجل وكبه غيره فالمعدى دون همزة، والقاصر بالهمزة بخلاف سائر الأفعال.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ الضمير للكفار والوعد يراد به البعث أو عذابهم في الدنيا.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ ضمير الفاعل للكفار وضمير المفعول للعذاب الذي يتضمنه الوعد. ﴿زُلْفَةً﴾ أي قريبا، وقيل: عيانا. ﴿سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي ظهر فيها السوء لما حل بها. ﴿وَقِيلَ هَٰذَا الَّذِے كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ﴾ تفتعلون من الدعاء أي تطلبون وتستعجلون به، والقائلون لذلك الملائكة، أو يقال لهم بلسان الحال.

﴿قُلْ أَرَآيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ﴾ الآية سببها[1] أن الكفار كانوا يتمنون هلاك

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز دون أن يذكر أنه سبب للنزول ٥/٣١٦.

النبي ﷺ والمسلمين فأمره الله أن يقول لهم إن أهلكني الله وأهلك من معي أو رحمنا فإنكم لا تنجون من العذاب الأليم على كل حال، والهلاك هنا يحتمل أن يراد به الموت أو غيره ومعنى من يجير الكافرين من عذاب أليم من يمنعهم من العذاب.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا﴾ الآية احتجاج على المشركين والغور مصدر وصف به فهو بمعنى غائر، أي ذاهب في الأرض، والمعين الكثير، واختلف: هل وزنه فعيل أو مفعول؟ فالمعنى: إن غار ماؤكم الذي تشربون هل يأتيكم غير الله بماء معين؟.

*** *** ***

سورة القلم

﴿نٓ﴾ حرف من حروف الهجاء، وقد تقدم الكلام عليها في البقرة، ويختص ن بأنه قيل: إنه حرف من الرحمن، فإن حروف الرحمن ألف ولام وراء وحاء وميم ون، وقيل: إن (ن) هنا يراد به الحوت، وزعموا أنه الحوت الأعظم الذي عليه الأرضون السبع، وهذا لا يصح، على أن نون بمعنى الحوت معروف في اللغة، ومنه ذو النون، وقيل: إن (ن) هنا يراد به الدواة وهذا غير معروف في اللغة، ويبطل قول من قال إنه الحوت أو الدواة بأنه لو كان كذلك لكان معربا بالرفع أو النصب أو الخفض، ولكان في آخره تنوين، فكونه موقوفا دليل على أنه حرف هجاء، نحو ألم وغيره من حروف الهجاء الموقوفة. ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ اختلف فيه على قولين:

أحدهما: أنه القلم الذي كتب به اللوح المحفوظ، فالضمير في يسطرون للملائكة.

والآخر: أنه القلم المعروف عند الناس أقسم الله به لما فيه من المنافع والحكم والضمير في يسطرون على هذا لبني آدم.

﴿مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ هذا جواب القسم وهو خطاب لمحمد ﷺ، معناه نفي نسبة الكفار له من الجنون، وبنعمة ربك اعتراض بين ما وخبرها، كما تقول: أنت بحول الله أفضل، والمجرور في موضع الحال وقال الزمخشري[1] إن العامل فيه بمجنون.

﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ ذكر في فصلت.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ هذا ثناء على خلق رسول الله ﷺ، قالت

(١) الكشاف: ٤/٥٨٧.

عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١]: «كان خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القرآن» تعني التأدب بآدابه وامتثال أوامره، وعبر ابن عباس[٢] عن الخلق بالدين والشرع، وذلك رأس الخلق. وتفصيل ذلك أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمع كل فضيلة وحاز كل خصلة جميلة، فمن ذلك: شرف النسب، ووفور العقل، وصحة الفهم، وكثرة العلم، وشدة الحياء، وكثرة العبادة، والسخاء، والصدق، والشجاعة، والصبر، والشكر، والمروءة، والتودد، والاقتصاد، والزهد، والتواضع، والشفقة، والعدل، والعفو، وكظم الغيظ، وصلة الرحم، وحسن المعاشرة، وحسن التدبير، وفصاحة اللسان، وقوة الحواس، وحسن الصورة، وغير ذلك حسبما ورد في أخباره وسيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٣] وقال الجنيد: سمي خلقه عظيما؛ لأنه لم تكن له همة سوى الله عَزَّ وَجَلَّ.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾ قيل: إن المفتون هنا بمعنى المجنون، ويحتمل غير ذلك من معاني الفتنة، والخطاب في قوله: فستبصر للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي قوله: ويبصرون لكفار قريش، واختلف في الباء في قوله بأيكم على أربعة أقوال:

---

(١) عن سعد بن هشام، قال: سألت عائشة فقلت: أخبريني عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان خلقه القرآن». المسند الحديث رقم: (٢٥٣٤١) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وقال الطحاوي: عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن خلق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقالت: «كان خلقه القرآن يرضى لرضاه، ويسخط لسخطه». الحديث رقم: (٣٧٩٢).

(٢) أخرج الطبري في جامع البيان: ٢٣/٥٢٩ قال حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ يقول: دين عظيم.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك، الحديث رقم: (٤٢٢١)، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. والبيهقي في السنن الكبرى. الحديث رقم: (٢١٣٠١)، والبغوي في شرح السنة، بلفظ: «وَذَكَرَ مَالِكٌ: أَنَّهُ بَلَغَهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاقِ» ٦/٣٨٩.

الأول: أنها زائدة.

الثاني: أنها غير زائدة، والمعنى: بأيكم الفتنة فأوقع المفتون موقع الفتنة كقولهم: ماله معقول، أي عقل.

الثالث: أن الباء بمعنى في، والمعنى: في أي فريق منكم المفتون، واستحسن ابن عطية[١] هذا.

الرابع: أن المعنى بأيكم فتنة المفتون، ثم حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه.

﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ المداهنة هي الملاينة والمداراة فيما لا ينبغي وروي: أن الكفار قالوا للنبي ﷺ: لو عبدت آلهتنا لعبدنا إلهك، فنزلت الآية، ولم ينتصب فيدهنون في جواب التمني بل رفعه بالعطف على تدهن قاله ابن عطية[٢] وقال الزمخشري[٣] هو خبر مبتدإ محذوف تقديره: فهم يدهنون.

﴿حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف في الحق والباطل. ﴿مَّهِينٍ﴾ هو الضعيف الرأي والعقل قال ابن عطية[٤]: هو من مهن إذا ضعف، فالميم فاء الفعل، وقال الزمخشري[٥] هو من المهانة وهي الذلة والحقارة وقال ابن عباس[٦]: المهين الكذاب.

﴿هَمَّازٍ﴾ هو الذي يعيب الناس ﴿مَّشَّآءِ بِنَمِيمٍ﴾ أي كثير المشي بالنميمة

---

(١) انظر المحرر الوجيز: ٣١٩/٥.

(٢) المحرر الوجيز: ٣١٩/٥.

(٣) الكشاف: ٥٩١/٤.

(٤) المحرر الوجيز: ٣١٩/٥.

(٥) الكشاف: ٥٩١/٤.

(٦) لم أجده مسندا، قال ابن الجوزي في زاد المسير: وروى العوفي عن ابن عباس قال: المهين الكذاب. ٣٣١/٨. وانظر المحرر الوجيز: ٣١٩/٥، والجواهر الحسان للثعلبي: ٣٢٦/٤، وابن كثير: ١٩١/٨.

يقال نميم ونميمة بمعنى واحد قال رسول الله ﷺ[1]: «**لا يدخل الجنة نمام**».

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ أي شحيح؛ لأن الخير هنا هو المال، وقيل: معناه مناع من الخير، أي يمنع الناس من الإسلام والعمل الصالح ﴿مُعْتَدٍ﴾ هو من العدوان وهو الظلم ﴿أَثِيمٍ﴾ من الإثم وهو ارتكاب المحرمات.

﴿عُتُلٍّ﴾ أي غليظ الجسم قاسي القلب بعيد الفهم كثير الجهل. ﴿زَنِيمٍ﴾ أي ولد زنا، وقيل: هو الذي في عنقه زنمة كزنمة الشاة التي تعلق في حلقها. وقيل: معناه مريب قبيح الأفعال. وقيل: ظلوم، وقيل: لئيم وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد ما ذكرنا من عيوبه، فهذا الترتيب في الوصف لا في الزمان، واختلف في الموصوف بهذه الأوصاف الذميمة، فقيل: لم يقصد بها شخص معين، بل كل من اتصف بها. وقيل: المقصود بها: الوليد بن المغيرة؛ لأنه وصفه بأنه ذو مال وبنين وكذلك كان، وقيل: أبو جهل، وقيل: الأخنس بن شريق، ويؤيد هذا أنه كانت له زنمة في عنقه، قال ابن عباس[2]: عرفناه بزنمته، وكان أيضا من ثقيف ويعد في بني زهرة، فيصح وصفه بزنيم على القولين، وقيل: الأسود بن عبد يغوث.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ في موضع مفعول من أجله يتعلق بقوله لا تطع أي لا تطعه بسبب كثرة ماله وبنيه، ويجوز أن يتعلق بما بعده، والمعنى على هذا: أنه قال في القرآن أساطير الأولين لأنه ذو مال وبنين يتكبر بماله وبنيه، والعامل في أن كان على هذا فعل من المعنى، ولا يجوز أن يعمل فيه: قال، الذي هو جواب إذا؛ لأن ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله، والأول أظهر وقد تقدم معنى أساطير الأولين.

---

(١) في صحيح البخاري عن حذيفة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة قتات» الحديث رقم: (٥٧٠٩)، ومسلم الحديث رقم: (٣٠٤)، والقتات النمام.

(٢) لم أجده.

سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ
أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ ۞ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ
مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ
﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ
يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ
قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ
﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾
عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ
وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ
النَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ
﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ
أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم
بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ
﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

ربع

﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ﴾ أصل الخرطوم أنف السبع، ثم استعير للإنسان استخفافا به وتقبيحا له، والمعنى: نجعل له سمة وهي العلامة على خرطومه، واختلف في هذه السمة، قيل: هي الضربة بالسيف يوم بدر، وقيل: علامة من نار تجعل على أنفه في جهنم، وقيل: علامة تجعل على أنفه يوم القيامة ليعرف بها.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ أي بلونا قريشا كما بلونا أصحاب الجنة، وكانوا إخوة من بني إسرائيل لهم جنة، روي: أنها بمقربة من صنعاء، فحلفوا أن لا يعطوا مسكينا منها شيئا، وباتوا عازمين على ذلك، فأرسل الله على جنتهم طائفا من نار فأحرقتها، فلما أصبحوا إلى جنتهم لم يروها فحسبوا أنهم أخطؤوا الطريق، ثم تبينوها فعرفوها وعلموا أن الله عاقبهم فيها بما قالوا فندموا وتابوا إلى الله، ووجه تشبيه قريش بأصحاب الجنة أن الله أنعم على قريش ببعث محمد ﷺ، كما أنعم على أصحاب الجنة بالجنة فكفر هؤلاء بهذه النعمة كما فعل أولئك، فعاقبهم الله كما عاقبهم، وقيل: شبه قريشا لما أصابهم الجوع بشدة القحط حين دعا عليهم رسول الله ﷺ[1] بأصحاب الجنة لما هلكت جنتهم. ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا

---

(١) يشير إلى ما في صحيح البخاري... عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ كان إذا رفع رأسه من الركعة الآخرة يقول: (اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة، اللهم: أنج سلمة بن هشام، اللهم أنج الوليد بن الوليد، اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف) الحديث رقم: (٩٦١)،=

مُصْبِحِينَ﴾ أي حلفوا أن يقطعوا غلة جنتهم عند الصباح، وكانت الغلة ثمرا.

﴿وَلاَ يَسْتَثْنُونَ﴾ في معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: لم يقولوا إن شاء الله حين حلفوا ليصرمنها.

والآخر: لا يستثنون شيئا من ثمرها إلا أخذوه لأنفسهم.

والثالث: لا يتوقفون في رأيهم ولا ينتهوا عنه أي لا يرجعون عنه.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ﴾ قال الفراء: الطائف الأمر الذي يأتي بالليل.

﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ فيه أربعة أقوال:

الأول: أصبحت كالليل لأنها اسودت لما أصابها، والصريم في اللغة الليل.

الثاني: أصبحت كالنهار لأنها ابيضت كالحصيد، ويقال صريم الليل والنهار.

الثالث: أن الصريم الرماد الأسود بلغة بعض العرب.

الرابع: أصبحت كالمصرومة أي المقطوعة.

﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾ أي نادى بعضهم بعضا حين أصبحوا، وقال بعضهم لبعض: ﴿اغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ﴾ أي جنتكم. ﴿إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ﴾ أي حاصدين لثمرتها.

﴿يَتَخَافَتُونَ﴾ يكلم بعضهم بعضا في السر ويقولون: ﴿لاَّ يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ وأن في قوله: أن اغدوا، وأن لا يدخلنها حرف عبارة وتفسير ﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ في الحرد أربعة أقوال:

الأول: أنه المنع.

الثاني: أنه القصد.

= وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٦٢١)، والمسند الحديث رقم: (٩٤٠٣).

الثالث: أنه الغضب.

الرابع: أن الحرد اسم للجنة. و﴿قَـٰدِرِينَ﴾ يحتمل أن يكون من القدرة أي قادرين في زعمهم، أو من التقدير بمعنى التضييق، أي ضيقوا على المساكين.

﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ أي أخطأنا طريق الجنة، قالوا ذلك لما لم يعرفوها، فلما عرفوها ورأوا ما أصابها قالوا ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ أي حرمنا الله خيرها.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي خيرهم وأفضلهم، ومنه: ﴿أُمَّةً وَسَطاً﴾ أي خيارا. ﴿لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾ أي تقولون: سبحان الله، وقيل: هو عبارة عن طاعة الله وتعظيمه، وقيل: أراد الاستثناء في اليمين، كقولهم: إن شاء الله، والأول أظهر لقولهم بعد ذلك: ﴿سُبْحَـٰنَ رَبِّنَا﴾ والمعنى: أن هذا الذي هو أفضلهم كان قد حضهم على التسبيح.

﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾ أي يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا عزموا عليه من منع المساكين، أو على غفلتهم عن التسبيح بدليل قوله: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلاَ تُسَبِّحُونَ﴾.

﴿عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا خَيْراً مِّنْهَا﴾ يحمل أنهم طلبوا البدل في الدنيا أو في الآخرة، والأول أرجح؛ لأنه روي عن ابن مسعود[1] أن الله أبدلهم جنة يحمل البغل منها عنقودا.

﴿كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ﴾ أي مثل هذا العذاب الذي ينزل بأهل الجنة ينزل بقريش.

---

(١) قال القرطبي: وقال ابن مسعود: إن القوم أخلصوا وعرف الله منهم صدقهم، فأبدلهم جنة يقال لها: الحيوان، فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا. الجامع لأحكام القرآن: ١٨/٢٤٥، وتفسير الثعلبي: ١/٢٣٤٨، واللباب: ١٩/٢٩٣.

﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ الهمزة للإنكار أي كيف يسوي الله بين المسلمين والمجرمين؟ بل يجازي كل أحد بعمله، والمراد بالمجرمين هنا الكفار.

﴿مَا لَكُمْ﴾ توبيخ للكفار، وما مبتدأ ولكم خبره، وتم الكلام هنا، فينبغي أن يوقف عليه. ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ توبيخ آخر، أي كيف تحكمون بأهوائكم وتقولون ما ليس لكم به علم؟.

﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ﴾ هذه الجملة معمول تدرسون، وكان أصل إن الفتح وكسرت لأجل اللام التي في خبرها، وتخيرون معناه تختارون لأنفسكم، ومعنى الآية: هل لكم كتاب من عند الله تدرسون فيه أن لكم ما تختارونه لأنفسكم؟.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ﴾ المعنى: هل حلفنا لكم أيمانا أن لكم ما تحكمون؟ ومعنى بالغة: ثابتة واصلة إلى يوم القيامة، وقوله: ﴿إِنَّ لَكُمْ﴾ هو جواب القسم الذي يقتضيه الأيمان، ولذلك أكده بإن واللام وما تحكمون هو اسم إن دخلت عليه اللام المؤكدة.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ﴾ أي يا محمد اسأل قريشا أيهم زعيم بهذه الأمور؟ والزعيم هو الضامن للأمر القائم به.

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ هذا تعجيز للكفار، ومعناه إن كان لكم شركاء يقدرون على شيء فأتوا بهم، واختلف: هل قوله فليأتوا بهم في الدنيا أي أحضروهم حتى يرى حالهم، أو يقال لهم ذلك يوم القيامة؟ والشركاء هم المعبودون من الأصنام وغيرها، وقال الزمخشري[1]: معناه أم لكم ناس يشاركونكم في هذا القول ويوافقونكم عليه فأتوا بهم؟ يعني: أنهم لا يوافقهم أحد عليه، والأول أظهر.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال المتأولون: ذلك عبارة عن هول يوم القيامة وشدته، وفي الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينادي مناد يوم

(١) الكشاف: ٤/٥٩٧.

خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

سُورَةُ الحَاقَّةِ — آياتها ٥٢ — ترتيبها ٦٩

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثمن

• الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٣﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٤﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٥﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم، فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال: فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا، ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا»[1] وتأويل الحديث كتأويل الآية. ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ تفسيره في الحديث الذي ذكرنا فإن قيل: كيف يدعون في الآخرة إلى السجود وليست الآخرة دار تكليف؟ فالجواب: أنهم يدعون إليه على وجه التوبيخ لهم على تركهم السجود في الدنيا لا على وجه التكليف والعبادة.

﴿وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ أي قد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود فيمتنعون منه وهم سالمون في أعضائهم قادرون عليه.

﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ تهديد للمكذبين بالقرآن وإعراب من يكذب مفعول معه أو معطوف، وقد ذكرنا في الأعراف سنستدرجهم وما بعده.

---

(١) في الصحيحين بألفاظ قريبة من هذه البخاري الحديث رقم: (٧٠٠٠)، ومسلم الحديث رقم: (٤٦٩).

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا﴾ معناه أنت لا تسألهم أجرة على الإسلام فتثقل عليهم فلا عذر لهم في تركهم الإسلام وقد فسرنا هذا وما بعده في الطور.

﴿فَاصْبِرْ﴾ يقتضي مسالمة للكفار نسخت بالسيف. ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ هو يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وسماه صاحب الحوت لأن الحوت ابتلعه، وهو أيضا ذو النون، والنون هو الحوت، وقد ذكرنا قصته في الأنبياء والصافات، فنهى الله محمدا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون مثله في الضجر والاستعجال حتى ذهب مغاضبا، وروي: أن هذه الآية نزلت لما هم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدعو على الكفار. ﴿إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ هذا آخر ما جرى ليونس ونداؤه هو قوله في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ والمكظوم: الشديد الحزن.

﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ هو جواب لولا والمنفي هو الذم لا نبذه بالعراء، فإنه قد قال في الصافات: ﴿فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ فالمعنى: لولا رحمة الله لنبذ بالعراء وهو مذموم، لكنه نبذ وهو غير مذموم، وقد ذكرنا العراء في الصافات.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ عبارة عن شدة عداوتهم، وإن مخففة من الثقيلة بدليل دخول اللام، وليزلقونك معناه يهلكونك، كقولك: نظر فلان إلى عدوه نظرة كاد يصرعه، وأصله من زلق القدم، وقرئ[1] بفتح الياء وضمها وهما لغتان، وقيل: إن المعنى يأخذونه بالعين وكان ذلك في بني أسد، كان الرجل منهم يجوع ثلاثة أيام فلا يتكلم على شيء إلا أصابه بالعين، فأراد بعضهم أن يصيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعصمه الله من ذلك، وقال الحسن[2]: دواء من أصيب بالعين قراءة هذه الآية.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ يعني القرآن، أي هو موعظة وتذكير للخلق.

---

(١) ﴿ليزلقونك﴾ قرأ المدنيان بفتح الياء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٤٢٩.

(٢) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٣٢٨.

سورة الحاقة

﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ هي القيامة ووزنها فاعلة وسميت الحاقة لأنها تحق أي يصح وجودها ولا ريب في وقوعها، ولأنها حقت لكل أحد جزاء عمله، أو لأنها تبدئ حقائق الأمور. ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ ما استفهامية يراد بها التعظيم وهي مبتدأ وخبرها ما بعده والجملة خبر الحاقة وكان الأصل الحاقة ما هي؟ ثم وضع الظاهر موضع المضمر زيادة في التعظيم والتهويل، وكذلك وما أدراك ما الحاقة لفظه استفهام والمراد به التعظيم والتهويل.

﴿بِٱلْقَارِعَةِ﴾ هي القيامة سميت بذلك لأنها تقرع القلوب بأهوالها.

﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ يعني الصيحة التي أخذت ثمود وسميت بذلك لأنها جاوزت الحد في الشدة وقيل: الطاغية مصدر فكأنه قال: أهلكوا بطغيانهم فهو كقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ﴾، وقيل: هي صفة لمحذوف تقديره: أهلكوا بسبب الفعلة الطاغية، أو الفئة الطاغية، والباء على هذين القولين سببية، وعلى القول الأول كقولك: قتلت زيدا بالسيف.

﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ ذكر في فصلت، وعاتية أي شديدة وسميت بذلك لأنها عتت على عاد، وقيل: عتت على خزانها فخرجت بغير إذنهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ﴾ روي: أنها بدت صبيحة يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وتمادت بهم إلى آخر يوم الأربعاء تكملة الشهر. ﴿حُسُومًا﴾ قال ابن عباس[1]: معناه كاملة متتابعة لم يتخللها غير ذلك، وقيل: معناه شؤما، وقيل: هو جمع حاسم من الحسم وهو القطع، أي قطعتهم بالإهلاك، فحسوما على القول الأول والثاني مصدر في موضع الحال، وعلى الثالث حال أو مفعول من أجله.

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٢٩.

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَالْمُؤْتَفِكَٰتُ بِالْخَاطِئَةِ (٩) فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً (١٠) إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي الْجَارِيَةِ (١١) لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ (١٢) فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيٓئًا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (٣٣) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (٣٤)

﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ﴾ جمع صريع وهو المطروح بالأرض، والضمير المجرور يعود على منازلهم؛ لأن المعنى يقتضيها وإن لم يتقدم ذكرها، أو على الأيام والليالي أو على الريح. ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ تقدم في القمر معنى تشبيههم بأعجاز النخل والخاوية هي التي خلت من طول بلائها وفسادها.

﴿مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ أي من بقية، وقيل: من فئة باقية، وقيل: إنه مصدر بمعنى البقاء.

﴿وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يريد من تقدم قبله من الأمم الكافرة، وأقربهم إليه قوم شعيب، والظاهر أنهم المراد؛ لأن عادا وثمودًا قد ذكرا، وقوم لوط هم المؤتفكات، وقوم نوح قد أشير إليهم في قوله: ﴿لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ وقرئ بكسر القاف[1] وفتح الباء ومعناه جنده وأتباعه. ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ﴾ إما أن يكون مصدرا بمعنى الخطيئة، أو صفة لمحذوف تقديره بالفعلة الخاطئة.

﴿فَعَصَوْاْ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ إن عاد الضمير على فرعون وقومه فالرسول موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن عاد على المؤتفكات فالرسول لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإن عاد على الجميع فالرسول اسم جنس أو بمعنى الرسالة. ﴿رَّابِيَةً﴾ أي عظيمة وهي من قولك: ربا الشيء إذا كثر.

---

(١) ﴿قبله﴾ قرأ البصريان والكسائي بكسر القاف وفتح الباء، وقرأ الباقون بفتح القاف وإسكان الباء. النشر: ٢/٤٢٩.

﴿طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ عبارة عن كثرته فيحتمل أن يريد أنه طغى على أهل الأرض أو على خزانه يعني وقت طوفان نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ﴾ هي السفينة فإن أراد سفينة نوح فمعنى حملناكم حملنا آباءكم؛ لأن كل من على الأرض من ذرية نوح وأولاده الثلاثة الذين كانوا معه في السفينة، وإن أراد جنس السفن فالخطاب على حقيقته.

﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾ الضمير للفعلة وهي الحمل في السفينة، وقيل: للسفينة فإن أراد جنس السفن، فالمعنى: أنها تذكرة بقدرة الله ونعمته لمن ركب أو سمع بها، وإن أراد سفينة نوح فقد قيل إن الله أبقاها حتى رأى بعض عيدانها أول هذه الأمة. ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ الضمير يعود على ما عاد عليه ضمير لنجعلها، وهذا يقوى أن يكون للفعلة، والأذن الواعية هي التي تفهم ما تسمع وتحفظه يقال وعيت العلم إذا حصلته، ولذلك عبر بعضهم عنها بأنها التي عقلت عن الله، وروي[١]: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي بن أبي طالب: «**إني دعوت الله أن يجعلها أذنك يا علي، قال علي: فما نسيت بعد ذلك شيئا سمعته**»، قال الزمخشري[٢]: إنما قال أذن واعية بالتوحيد والتنكير للدلالة على قلة الوعاة ولتوبيخ الناس بقلة من بقى منهم وللدلالة على أن الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها.

﴿نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ يعني نفخة الصور وهي الأولى.

﴿فَدُكَّتَا﴾ الضمير للأرض والجبال ومعنى دكتا ضرب بعضها ببعض حتى تندق وقال الزمخشري[٣] الدك أبلغ من الدق، وقيل: معناه بسطت حتى تستوي الأرض والجبال.

---

١) المحرر الوجيز: ٤/٣٣٠.

(٢) الكشاف: ٤/٤٠٦.

(٣) المصدر السابق.

﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي قامت القيامة، وقيل: وقعت صخرة بيت المقدس، وهذا ضعيف.

﴿وَاهِيَةٌ﴾ أي مسترخية ساقطة القوة، ومنه قولهم: دار واهية أي ضعيفة الجدران.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا﴾ الملك هنا اسم جنس، والأرجاء الجوانب واحدها رجا مقصور والضمير يعود على السماء، والمعنى: أن الملائكة يكونون يوم القيامة على جوانب السماء؛ لأنها إذا وهيت وقفوا على أطرافها، وقيل: يعود على الأرض لأن المعنى يقتضيه وإن لم يتقدم ذكرها، وروي: في ذلك أن الله يأمر الملائكة فتقف صفوفا على جوانب الأرض، والأول أظهر وأشهر. ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال ابن عباس[1] هي ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم أحد عدتهم، وقيل: ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش وأرجلهم تحت الأرض السابعة ويؤيد هذا ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة قواهم الله بأربعة سواهم**»[2].

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ خطاب لجميع العالم والعرض البعث أو الحساب. ﴿خَافِيَةٌ﴾ أي حال خافية من الأعمال والسرائر، ويحتمل المعنى لا يخفى من أجسادهم لأنهم يحشرون حفاة عراة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ الكتاب هنا صحائف الأعمال. ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ هاؤم اسم فعل قال ابن عطية[3] معناه تعالوا، وقال الزمخشري: هو صوت يفهم منه معنى خذوا ﴿كِتَٰبِيَهْ﴾ مفعول يطلبه هاؤم واقرؤوا من ضمير

---

(١) الطبري في جامع البيان: ٥٨٣/٢٣، وتفسير ابن كثير: ٢١٢/٨.

(٢) الكشاف: ١٥٢/٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٣٢/٥.

المعنى تقديره هاؤم كتاب اقرؤوا كتابي ثم حذف لدلالة الآخر عليه وعمل فيه العامل الثاني وهو اقرؤوا عند البصريين، والعامل الأول هو هاؤم عند الكوفيين، والدليل على صحة قول البصريين أنه لو عمل الأول لقال اقرؤوه والهاء في كتابيه للوقف، وكذلك في حسابيه، وماليه، وسلطانيه، وكان الأصل أن تسقط في الوصل لكنها ثبتت فيه مراعاة لخط المصحف، وقد أسقطها في الوصل بعضهم[1]، ومعنى الآية أن العبد الذي يعطى كتابه بيمينه يقول للناس اقرؤوا كتابيه على وجه الاستبشار والسرور بكتابه.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ الظن هنا بمعنى اليقين.

﴿رَّاضِيَةٍ﴾ أي ذات رضا كقولهم: تامر لصاحب التمر، قال ابن عطية: ليست بياء اسم فاعل، وقال الزمخشري: يجوز أن يكون اسم فاعل نسب الفعل إليها مجازا، وهو لصاحبها حقيقة.

﴿قُطُوفُهَا﴾ جمع قطف وهو ما يجتني من الثمار ويقطف كالعنقود. ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي قريبة، وروي: أن العبد يأخذها بفمه من شجرها على أي حال كان من قيام أو جلوس أو اضطجاع.

﴿أَسْلَفْتُمْ﴾ أي قدمتم من الأعمال الصالحة. ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ أي الماضية يعني أيام الدنيا، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ هم الكفار بدليل قوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ فجعل علة إعطائهم كتبهم بشمالهم عدم إيمانهم، وأما المؤمنون فيعطون كتبهم بأيمانهم، لكن اختلف فيمن يدخل النار منهم: هل يعطى كتابه قبل دخول النار أو بعد خروجه منها؟ وهذا أرجح لقوله: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا

---

(١) قال الزمخشري: وقرأ ابن محيصن بإسكان الياء بغير هاء. الكشاف: ٦٠٦/٤، وقال ابن عطية: وطرح الهاءات في الوصل لا في الوقف الأعمش وابن أبي إسحاق، قال أبو حاتم: قراءتنا إثبات في الوقف وطرح في الوصل وبذلك قرأ ابن محيصن وسلام وقال الزهراوي: في إثبات الهاء في الوصل لحن لا يجوز عند أحد علمته. المحرر الوجيز: ٣٣٢/٥، وهذه الدعوى تحتاج إلى إثبات فلا يمكن رد القراآت المتواترة بهذه السهولة.

كِتَـٰبِيَهْ﴾؛ لأن هذا كلام سرور فيبعد أن يقوله من يحمل إلى النار.

﴿فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ﴾ أي يتمنى أنه لم يعط كتابه، وقال ابن عطية[1]: يتمنى أن يكون معدوما لا يجري عليه شيء، والأول أظهر.

﴿يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ أي ليت الموتة الأولى كانت القاضية بحيث لا يكون بعدها بعث ولا إحياء.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ﴾ يحتمل أن يكون نفيا أو استفهاما يراد به النفي.

﴿هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ﴾ أي زال عني ملكي وقدرتي وقيل ذهبت عني حجتي.

﴿خُذُوهُ﴾ خطاب للزبانية يقوله لهم الله تعالى أو الملائكة بأمر الله. ﴿فَغُلُّوهُ﴾ أي اجعلوا غلاً في عنقه، وروى أنها نزلت في أبي جهل.

﴿ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ معنى ذرعها أي طولها. واختلف في هذا الذراع فقيل أنه الذراع المعروف وقيل بذراع الملك، وقيل: في الذراع سبعون باعا كل باع ما بين مكة والكوفة، ولله در الحسن البصري[2] في قوله: الله أعلم بأي ذراع هي، وجعلها سبعين ذراعا لإرادة وصفها بالطول، فإن السبعين من الأعداد التي تقصد بها العرب التكثير، ويحتمل أن تكون هذه السلسلة لكل واحد من أهل النار، أو تكون بين جميعهم وقد حكى الثعالبي ذلك. ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ أي أدخلوه، وروي: أن هذه السلسلة تدخل في فم الكافر وتخرج من دبره، فاسلكوه على هذا من المقلوب في المعنى: كقولهم أدخلت القلنسوة في رأسي، وروي: أنها تلتوي عليه حتى تعمه وتضغطه، فالكلام على هذا على وجهه وهو المسلوك فيها، وإنما قدم قوله في سلسلة على اسلكوه لإرادة الحصر، أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة، وكذلك

(١) المحرر الوجيز: ٣٣٣/٥.

(٢) المصدر السابق.



قدم الحميم على صلوه لإرادة الحصر أيضا.

﴿طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ يحتمل أنه أراد إطعام مسكين فوضع الاسم موضع المضمر أو يقدر لا يحض على بذل طعام المسكين وأضاف الطعام إلى المسكين لأن له إليه نسبة ووصفه وبأنه لا يحض على طعام المسكين يدل على أنه لا يطعمه من باب أولى وهذه الآية تدل على عظم الصدقة وفضلها لأنه قرن منع طعام المسكين بالكفر بالله.

﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: ليس له صديق. والآخر: ليس له شراب.

﴿وَلاَ طَعَامٌ إلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ﴾ فإن الحميم الماء الحار، والغسلين: صديد أهل النار عند ابن عباس، وقيل: شجر يأكله أهل النار، وقال اللغويون: هو ما يجري من الجراح إذا غسلت، وهو فعلين من الغسل.

﴿ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ جمع خاطئ وهو الذي يفعل ضد الصواب متعمدا، والمخطئ الذي يفعله بغير تعمد.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ لا زائدة غير نافية. ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لاَ تُبْصِرُونَ﴾ يعني جميع الأشياء لأنها تنقسم إلى ما يبصر وما لا يبصر كالدنيا والآخرة، والإنس والجن، والأجسام والأرواح، وغير ذلك.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ هذا جواب القسم والضمير للقرآن والرسول

الكريم جبريل، وقيل: لمحمد عليه الصلاة والسلام.

﴿قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن عطية: يحتمل أن تكون ما نافية فنفي إيمانهم بالجملة، أو تكون مصدرية فوصف إيمانهم بالقلة، وقال الزمخشري: القلة هنا بمعنى العدم أي لا تؤمنون ولا تذكرون البتة.

﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ التقول هو أن ينسب إلى أحد ما لم يقل، ومعنى الآية: لو تقول علينا محمد لعاقبناه، ففي ذلك برهان على أن القرآن من عند الله.

﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ قال ابن عباس[1]: اليمين هنا القوة، ومعناه لو تقول علينا لأخذناه بقوتنا، وقيل: هي عبارة عن الهوان كما يقال لمن يسجن أخذ بيده وبيمينه، قال الزمخشري: معناه لو تقول علينا لقتلناه، ثم صور صورة القتل ليكون أهول، وعبر عن ذلك بقوله: لأخذنا منه باليمين؛ لأن السياف إذا أراد أن يضرب المقتول في جسده أخذ بيده اليمنى ليكون ذلك أشد عليه لنظره إلى السيف.

﴿ٱلْوَتِينَ﴾ نياط القلب، وهو عرق إذا قطع مات صاحبه، فالمعنى: لقتلناه.

﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ الحاجز المانع، والمعنى: لو عاقبناه لم يمنعه أحد منكم ولم يدفع عنه، وإنما جمع حاجزين لأن أحد في معنى الجماعة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ﴾ الضمير للقرآن، وقيل: لمحمد ﷺ، والأول أظهر.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي حسرة عليهم في الآخرة لأنهم يتأسفون إذا رأوا ثواب المؤمنين.

﴿وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ قال الكوفيون: هذا من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: مسجد الجامع، وقال الزمخشري: المعنى عين اليقين ومحض اليقين، وقال ابن عطية: ذهب الحذاق إلى أن الحق مضاف إلى الأبلغ من وجوهه.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٣٥.

سورة المعارج

﴿سَالَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ من قرأ سأل[١] بالهمز احتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون بمعنى الدعاء أي دعا داع بعذاب واقع، وقد تكون الإشارة إلى قول الكفار: ﴿أَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ﴾ وكان الذي قالها النضر بن الحرث.

والآخر: أن يكون بمعنى الاستخبار أي سأل سائل عن عذاب واقع والباء على هذا بمعنى عن، وتكون الإشارة إلى قوله: متى هذا الوعد وغير ذلك، وأما من قرأ سال بغير همز فيحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون مخففا من المهموز فيكون فيه المعنيان المذكوران.

والثاني: أن يكون من سال السيل إذا جرى، ويؤيد ذلك قراءة ابن عباس[٢] «سال سيل» وتكون الباء على هذا كقولك: ذهبت بزيد وإذا كان من السيل احتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون شبه العذاب في شدته وسرعة وقوعه بالسيل.

وثانيهما: أن تكون حقيقة، قال زيد بن ثابت[٣] في جهنم واد يقال له سائل، فتلخص من هذا أن في القراءة بالهمز يحتمل معنيين وفي القراءة بغير همز أربعة معان.

﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ يحتمل أن يتعلق بواقع وتكون اللام بمعنى على أو تكون صفة للعذاب أو يتعلق بسأل إذا كانت بمعنى دعا أي دعا للكافرين بعذاب أو تكون مستأنفا كأنه قال: هو للكافرين.

---

(١) ﴿سأل سائل﴾ قرأ المدنيان وابن عامر ﴿سأل﴾ بالألف من غير همز وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة. النشر ٤٣٢/٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٦١١/٥، والكشاف: ٣٣٦/٤.

(٣) المحرر الوجيز: ٣٦٤/٥.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ يحتمل أن يتعلق بواقع أي واقع من عند الله، أو بدافع، أي ليس له دافع من عند الله، أو يكون صفة للعذاب أو مستأنفا. ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ جمع معرج وهو المصعد إلي علو كالسلم والمدارج التي يرتقى بها، قال ابن عطية: هي هنا مستعارة في الفضائل والصفات الحميدة، وقيل: هي المراقي إلى السماء وهذا أظهر؛ لأنه فسرها بما بعدها من عروج الملائكة.

﴿وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي إلى عرشه ومن حيث تهبط أوامره وقضاياه، فالعروج هو من الأرض إلى العرش، والروح هنا جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بدليل قوله: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وقيل: الروح ملائكة حفظة على الملائكة، وهذا ضعيف مفتقر إلى صحة نقل، وقيل: الروح جنس أرواح الناس وغيرهم. ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ اختلف في هذا اليوم على قولين:

أحدهما: أنه يوم القيامة.

والآخر: أنه في الدنيا، والصحيح أنه يوم القيامة لقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديث مانع الزكاة: **«ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي زكاتها إلا صفحت له صفائح من نار يكوى بها جبينه وجنبه وظهره، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد»**[1] يعني يوم القيامة ثم اختلف: هل مقداره خمسون ألف سنة حقيقة؟ وهذا هو الأظهر، أو هل وصف بذلك لشدة أهواله كما يقال يوم طويل إذا كان فيه مصائب وهموم، وإذا قلنا إنه في الدنيا، فالمعنى: أن الملائكة والروح يعرجون في يوم لو عرج فيه الناس لعرجوا في خمسين ألف سنة، وقيل:

---

(١) في صحيح مسلم قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلاَ فِضَّةٍ لاَ يُؤَدِّى مِنْهَا حَقَّهَا إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحَ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِىَ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ» الحديث رقم: (٢٣٣٧)، وشرح السنة للبغوي: ١/٣٨٦، والبيهقي الحديث رقم: (٧٢٠٩).

الخمسون ألف سنة هي مدة الدنيا، والملائكة تعرج وتنزل في هذه المدة وهذا كله على أن يكون قوله: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ يتعلق بتعرج، ويحتمل أن يكون في يوم صفة للعذاب، فيتعين أن يكون اليوم يوم القيامة، والمعنى على هذا مستقيم.

﴿فَاصْبِرْ﴾ هذا متصل بما قبله من العذاب وغيره أي اصبر على أقوال الكافرين حتى يأتيهم العذاب ولذلك وصفه بالقرب مبالغة في تسلية النبي ﷺ.

﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً﴾ يحتمل أن يعود الضمير على العذاب أو على اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، والبعيد يحتمل أن يراد به بعد الزمان أو بعد المكان، وكذلك القرب يحتمل أن يراد به قرب الزمان لأن كل آت قريب ولأن الساعة قد قربت، وقرب المكان لقدرة الله عليه.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَآءُ كَالْمُهْلِ﴾ يوم هنا بدل من يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، أو بدل من الضمير المنصوب في نراه، أو منصوب بقوله: قريبا، أو بقوله: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ﴾ أو بفعل مضمر تقديره: اذكر والمهل هو دردي الزيت شبه السماء به في سوادها وانكدار أنوارها يوم القيامة، وقيل: هو ما أذيب من الفضة ونحوها شبه السماء به في تلونه.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ العهن هو الصوف شبه الجبال به في انتفاشه وتخلخل أجزائه، وقيل: هو الصوف المصبوغ ألوانا فيكون التشبيه في الانتفاش وفي اختلاف الألوان؛ لأن الجبال منها بيض وسود وحمر.

﴿وَلاَ يَسْئَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً﴾ الحميم هنا الصديق، والمعنى: لا يسأل أحد من حميمه نصرة ولا إعانة، لعلمه أنه لا يقدر له على شيء، وقيل: لا يسأله عن حاله؛ لأن كل أحد مشغول بنفسه.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ يقال بصر الرجل بالرجل إذا رآه وبصرته إياه بالتشديد إذا أريته

يبصرونهم يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه (١١) وصاحبته وأخيه (١٢) وفصيلته التي تؤويه (١٣) ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه (١٤) كلا إنها لظى (١٥) نزاعة للشوى (١٦) تدعوا من أدبر وتولى (١٧) وجمع فأوعى (١٨) • إن الإنسان خلق هلوعا (١٩) إذا مسه الشر جزوعا (٢٠) وإذا مسه الخير منوعا (٢١) إلا المصلين (٢٢) الذين هم على صلاتهم دائمون (٢٣) والذين في أموالهم حق معلوم (٢٤) للسائل والمحروم (٢٥) والذين يصدقون بيوم الدين (٢٦) والذين هم من عذاب ربهم مشفقون (٢٧) إن عذاب ربهم غير مأمون (٢٨) والذين هم لفروجهم حافظون (٢٩) إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين (٣٠) فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون (٣١) والذين هم لأمانتهم وعهدهم راعون (٣٢) والذين هم بشهادتهم قائمون (٣٣) والذين هم على صلاتهم يحافظون (٣٤) أولئك في جنات مكرمون (٣٥) فمال الذين كفروا قبلك مهطعين (٣٦) عن اليمين وعن الشمال عزين (٣٧) أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم (٣٨) كلا إنا خلقناهم مما يعلمون (٣٩)

إياه، والضميران يعودان على الحميمين؛ لأنهما في معنى الجمع، والمعنى: أن كل حميم يبصر حميمه يوم القيامة فيراه ولكنه لا يسأله.

﴿وَصَاحِبَتِهِۦ﴾ يعني امرأته.

﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ يعني القرابة الأقربين.

﴿تُـْوِيهِ﴾ أي تضمه فيحتمل أن يريد تضمه في الانتماء إليها أو في نصرته وحفظه من المضرات.

﴿ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ الفاعل الافتداء الذي يقتضيه لو يفتدي وهذا الفعل معطوف على لو يفتدي وإنما عطفه بثم إشعارا ببعد النجاة وامتناعها، ولذلك زجره عن ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ الضمير للنار لأن العذاب يدل عليها ويحتمل أن يكون ضمير القصة وفسره بالخبر ولظى علم لجهنم مشتق من اللظى بمعنى اللهب.

﴿نَزَّاعَةٌ لِّلشَّوَىٰ﴾ الشوى أطراف الجسد، وقيل: جلد الرأس فالمعنى: أن النار تنزعها ثم تعود، ونزاعة بالرفع بدل من لظى أو خبر ابتداء مضمر أو خبر لـ (إنها) إن جعلنا لظى منصوبا على التخصيص أو بدل من الضمير أو خبر ثان لإنها إن جعلنا لظى خبر لها ونزاعة بالنصب حال.

﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ يعني الكفار الذين تولوا عن الإسلام ودعاؤها لهم عبارة عن أخذها لهم، وقال ابن عباس[1] تدعوهم حقيقة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وقيل: معناه تهلك حكاه الخليل عن العرب.

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٣٩.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ يقال أوعيت المال وغيره اذا جمعته في وعاء فالمعنى جمع المال وجعله في وعاء وهذه إشارة إلى قوم من أغنياء الكفار جمعوا المال من غير حله ومنعوه من حقه.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً﴾ الإنسان هنا اسم جنس بدليل الاستثناء منه، سئل أحمد بن يحيى ـ مؤلف الفصيح ـ عن الهلوع فقال قد فسره الله فلا تفسير أبين من تفسيره وهو قوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعاً ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعاً﴾ وذكره الله على وجه الذم لهذا الخلق، ولذلك استثنى منه المصلين لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ الدوام عليها هو المواظبة بطول العمر والمحافظة عليها المذكورة بعد ذلك هي أداؤها في أوقاتها وتوفية الطهارة لها.

﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ قد ذكرنا في الذاريات معنى: حق، والسائل والمحروم، ووصفه هنا بالمعلوم إن أراد الزكاة فهي معلومة المقدار شرعا، وإن أراد غيرها فمعنى المعلوم: أن العبد يجعل على نفسه وظيفة معلومة عنده.

﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ أي لا يكون أحد آمنا منه، فإن الأمن من عذاب الله حرام فلا ينبغي للعبد أن يزيل عنه الخوف حتى يدخل الجنة.

﴿لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ ذكر في المؤمنين وكذلك لفروجهم حافظون.

﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ﴾ قال ابن عباس[١]: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وقال الجمهور: يعني الشهادة عند الحكام، ثم اختلف على هذا في معنى القيام بها، فقيل: هو التحقيق لها كقوله ﷺ: «على مثل الشمس فاشهدوا»[٢]

(١) لم أجده مسندا.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ، وفي معناه ما ذكره ابن حجر: وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما؛ ـ أَنَّ ٱلنَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «تَرَى ٱلشَّمْسَ ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ، أَوْ دَعْ» ـ أَخْرَجَهُ ٱبْنُ عَدِيٍّ بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ، وَصَحَّحَهُ ٱلْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ. بلوغ المرام الحديث رقم: (١٤٠٥).

وقيل: هو المبادرة إلى أدائها من غير امتناع، فأما إن دعي الشاهد إلى الأداء فهو واجب عليه، وأما إذا لم يدع إلى الأداء فالشهادة على ثلاثة أقسام:

أحدها: حقوق الناس فلا يجوز أداؤها حتى يدعوه صاحب الحق إلى ذلك.

والثاني: حقوق الله التي يستدام فيها التحريم كالطلاق والعتق والأحباس فيجب أداء الشهادة بذلك دعي أو لم يدع.

الثالث: حقوق الله التي لا يستدام فيها التحريم كالحدود فهذا ينبغي ستره حتى يدعى إليه.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ أي مسرعين مقبلين إليك بأبصارهم كان رسول الله ﷺ إذا أقبل أقبل الكفار ينظرون إليه ويستمعون قراءته، ومعنى ﴿قِبَلَكَ﴾ في جهتك وما يليك.

﴿عِزِينَ﴾ أي جماعات شتى وهو جمع عزة بتخفيف الزاي وأصله عزوة، وقيل: عزهة ثم حذفت لامها وجمعت بالواو والنون عوضا من اللام المحذوفة.

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ كانوا يقولون: إن كان ثم جنة فنحن أهلها.

﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عما طمعوا فيه من دخول الجنة. ﴿إِنَّا خَلَقْنَـٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ كناية عن المني الذي خلق الإنسان منه وفي المقصود بهذا الكلام ثلاثة أوجه:

أحدها: تحقير الإنسان والرد على المتكبرين كما قال بعضهم: إن الإنسان خلق من نطفة مذرة، ويصير جيفة قذرة، وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة.

الثاني: الرد على الكفار في طمعهم أن يدخلوا الجنة كأنه يقول: إنا خلقناكم مما خلقنا منه الناس فلا يدخل أحد الجنة إلا بالعمل الصالح؛ لأنكم سواء في الخلقة.

الثالث: الاحتجاج على البعث بأن الله خلقهم من ماء مهين فهو قادر على أن يعيدهم كقوله: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ إلى آخر السورة.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ معناه أقسم ولا زائدة. ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ﴾ ذكر في الصافات. ﴿إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ تهديد للكفار بإهلاكهم وإبدال خير منهم. ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي مغلوبين، والمعنى: إنا لا نعجز عن التبديل المذكور أو عن البعث.

• فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ — آياتها ٣٠ — ترتيبها ٧١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾

﴿فَذَرْهُمْ﴾ وعيد لهم، وفيه مهادنة منسوخة بالسيف. ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ يعني يوم القيامة بدليل أنه أبدل منه.

﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ وهي القبور. ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نَصْبٍ يُوفِضُونَ﴾ النصب الأصنام وأصله كل ما نصب إلى الإنسان، فهو يقصد إليه مسرعا من علم أو بناء أو غير ذلك، وفيه لغات فتح النون وإسكان الصاد[1] وضم النون وإسكان الصاد وضمها و﴿يُوفِضُونَ﴾ معناه: يسرعون، والمعنى: أنهم يسرعون الخروج من القبور إلى المحشر كما يسرعون المشي إلى أصنامهم في الدنيا.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) ﴿نصب﴾ قرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد وقرأ الباقون بفتح النون وإسكان الصاد. النشر: ٢/٤٢١.

سورة نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ

﴿أَنْ أَنذِرْ﴾ و﴿أَنِ اعْبُدُواْ﴾ يحتمل أن تكون أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن أنذر وبأن اعبدوا، والأول أظهر. ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ يحتمل أن يريد عذاب الآخرة أو الغرق الذي أصابهم.

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ من هنا للتبعيض أي يغفر لكم ما فعلتم من الذنوب قبل أن تسلموا؛ لأن الإسلام يجب ما قبله، ولم يضمن أن يغفر لهم ما بعد إسلامهم لأن ذلك في مشيئة الله تعالى، وقيل: إن من هنا زائدة وذلك باطل لأن من لا تزاد عند سيبويه إلا في غير الواجب، وقيل: هي لبيان الجنس، وقيل: لابتداء الغاية، وهذان القولان ضعيفان في المعنى، والأول هو الصحيح لأن التبعيض فيه متجه. ﴿وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ظاهر هذا يقتضي أنهم إن فعلوا ما أمروا به أخروا إلى أجل مسمى وإن لم يفعلوا لم يؤخروا، وذلك يقتضي القول بالأجلين وهو مذهب المعتزلة، وعلى هذا حملها الزمخشري[1]، وأما على مذهب أهل السنة فهي من المشكلات وتأولها ابن عطية[2] فقال: ليس للمعتزلة في الآية مجال، لأن المعنى: أن نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان، لكن قد سبق في الأزل أنهم إما ممن قضى له بالإيمان والتأخير، أو ممن قضى له بالكفر والمعاجلة.

---

(١) الكشاف: ٤/٦١٨.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٤٤، ولفظه: وليس لهم في الآية تعلق؛ لأن المعنى إن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يعلم هل هم ممن يؤخر أو ممن يعاجل؟ ولا قال لهم: إنكم تؤخرون عن أجل قد حان لكم، لكن قد سبق في الأزل أنهم إما ممن قضى لهم بالإيمان والتأخير، وإما ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة، فكأن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لهم: آمنوا يبين لكم أنكم ممن قضى لهم بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم فسيبين لكم أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة، ثم تشدد هذا المعنى ولاح بقوله ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾.

وكأن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لهم: آمنوا يظهر في الوجود أنكم ممن قضى له بالإيمان والتأخير، وإن بقيتم على كفركم يظهر في الوجود أنكم ممن قضى عليه بالكفر والمعاجلة، فكان الاحتمال الذي يقتضيه ظاهر الآية إنما هو فيما يبرزه الغيب من حالهم، إذ يمكن أن يبرز إما الإيمان والتأخير وإما الكفر والمعاجلة، وأما عند الله فالحال الذي يكون منهم معلوم مقدر محتوم وأجلهم كذلك معلوم مقدر محتوم. ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾ هذا يقتضي أن الأجل محتوم كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَا أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ وفي هذا حجة لأهل السنة وتقوية للتأويل الذي ذكرنا، وفيه أيضا رد على المعتزلة في قولهم بالأجلين، ولما كان كذلك قال الزمخشري: إن ظاهر هذا مناقض لما قبله من الوعد بالتأخير إن آمنوا وتأول ذلك على مقتضى مذهبه بأن الأجل الذي لا يؤخر هو الأجل الثاني، وذلك أن قوم نوح قضى الله أنهم إن آمنوا عمرهم الله مثلا ألف عام، وإن لم يؤمنوا عمرهم تسعمائة عام، فالألف عام هي التي تؤخر إذا جاءت والتسعمائة عام هي التي وعدوا بالتأخير عنها إلى الألف عام إن آمنوا.

﴿دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ أي دعوتهم ليؤمنوا فتغفر لهم فذكر المغفرة التي هي سبب عن الإيمان ليظهر قبح إعراضهم عنه فإنهم أعرضوا عن سعادتهم. ﴿جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ فعلوا ذلك لئلا يسمعوا كلامه، فيحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إفراط إعراضهم حتى كأنهم فعلوا ذلك ﴿وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ﴾ أي جعلوها غشاوة عليهم لئلا يسمعوا كلامه أو لئلا يراهم، ويحتمل أنهم فعلوا ذلك حقيقة أو يكون عبارة عن إعراضهم. ﴿وَأَصَرُّوا۟﴾ أي داوموا على كفرهم.

﴿دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ إعراب جهارا مصدر من المعنى كقولك: قعد القرفصاء أو صفة لمصدر محذوف تقديره دعا جهارا أو مصدر في موضع الحال أي مجاهرا.

﴿ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ ذكر أولا: أنه دعاهم بالليل

ثمن

يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ
لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ • أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ
اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ
سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا
وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾
لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي
وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا
كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا
﴿٢٣﴾ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿٢٤﴾ وَلَا تَزِدِ
الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٥﴾ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا ﴿٢٦﴾
فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٧﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى
الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٨﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا
يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٩﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ
مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٣٠﴾

والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهارا، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإسرار، وهذه غاية الجد في النصيحة وتبليغ الرسالة ﷺ، قال ابن عطية[1]: الجهار دعاؤهم في المحافل ومواضع اجتماعهم، والإسرار دعاء كل واحد على حدته.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ مفعول من الدر وهو كثرة الماء، وفي الآية دليل على أن الاستغفار يوجب نزول الأمطار، ولذلك خرج عمر بن الخطاب[2] إلى الاستسقاء، فلم يزد على أن استغفر ثم انصرف، فقيل له: ما رأيناك استسقيت فقال: والله لقد استسقيت أبلغ الاستسقاء، ثم نزل المطر، وشكا رجل إلى الحسن الجدب فقال له: استغفر الله[3].

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ فيه أربع تأويلات:

أحدها: أن الوقار بمعنى التوقير والكرامة، فالمعنى: مالكم لا ترجون أن يوقركم الله في دار ثوابه، قال ذلك الزمخشري[4] وقوله لله على هذا بيان للموقر، ولو تأخر لكان صفة لوقارا.

(١) المحرر الوجيز: ٣٤٥/٥.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٢/١٨.
(٣) اللباب: ٣٨٦/١٩.
(٤) الكشاف: ٦٢٠/٤.

والثاني: أن الوقار بمعنى التؤدة والتثبت، والمعنى: مالكم لا ترجون لله وقارا متثبتين حتى تتمكنوا من النظر بوقاركم، وقوله لله على هذا مفعول دخلت عليه اللام كقولك: ضربت لزيد، وإعراب وقارا على هذا مصدر في موضع الحال.

الثالث: أن الرجاء هنا بمعنى الخوف، والوقار بمعنى العظمة والسلطان، فالمعنى: ما لكم لا تخافون عظمة الله وسلطانه، ولله على هذا صفة للوقار في المعنى.

الرابع: أن الرجاء بمعنى الخوف والوقار بمعنى الاستقرار من قولك: وقر بالمكان إذا استقر فيه، والمعنى: مالكم لا تخافون الاستقرار في دار القرار إما في الجنة أو النار.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَاراً﴾ أي طورا بعد طور، يعني أن الإنسان كان نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، إلى سائر أحواله، وقيل: الأطوار الأنواع المختلفة، فالمعنى: أن الناس على أنواع في ألوانهم وأخلاقهم وألسنتهم وغير ذلك.

﴿طِبَاقاً﴾ ذكر في الملك. ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً﴾ القمر إنما هو في السماء الدنيا وساغ أن يقول فيهن لما كان في إحداهن فهو في الجميع كقولك: فلان في الأندلس إذا كان في بعضها، والشمس في السماء الرابعة، وقيل: في الخامسة، وجعل القمر نورا والشمس سراجا؛ لأن ضوء السراج أقوى من النور فإن السراج هو الذي يضيء فيبصر به، والنور قد يكون أقل من ذلك.

﴿وَاللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتاً﴾ هذا عبارة عن إنشائهم من تراب الأرض ونباتا مصدر على غير المصدر[1] أو يكون تقديره: أنبتكم فنبتم إنباتا ويحتمل أن يكون منصوبا على الحال.

---

(١) قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿نباتا﴾ مصدر جار على غير المصدر، التقدير: فنبتم نباتا. المحرر الوجيز: ٥/٣٤٦.

﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ يعني بالدفن ﴿وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً﴾ يعني بالبعث من القبور.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً﴾ شبه الأرض بالبساط في امتدادها واستقرار الناس عليها وأخذ بعضهم من لفظ البساط أن الأرض بسيطة غير كروية، خلافا لما ذهب إليه أهل التعديل، وفي ذلك نظر.

﴿سُبُلاً فِجَاجاً﴾ ذكر في الأنبياء.

﴿وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلاَّ خَسَاراً﴾ يعني اتبعوا أغنياءهم وكبراءهم وقرئ[1] ولده بفتحتين وولد بضم الواو وسكون اللام وهما بمعنى واحد.

﴿وَمَكَرُوا مَكْراً كُبَّاراً﴾ الكبار بالتشديد أبلغ من الكبار بالتخفيف، والكبار بالتخفيف أبلغ من الكبير.

﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾ أي وصى بعضهم بعضا بذلك. ﴿وَلاَ تَذَرُنَّ وُدّاً وَلاَ سُوَاعاً﴾ هذه أسماء أصنامهم كان قوم نوح يعبدونها وروي[2]: أنها أسماء رجال صالحين كانوا في صدر الدنيا فلما ماتوا صورهم أهل ذلك العصر من حجارة، وقالوا: ننظر إليها لنتذكر أعمالهم الصالحة فهلك ذلك الجيل وكثر تعظيمهم من بعدهم لتلك الصور حتى عبدوها من دون الله، ثم انتقلت تلك الأصنام بأعيانها: ـ وقيل: بل الأسماء فقط ـ إلى قبائل العرب فكان ودا لكلب بدومة الجندل، وكان سواع لهذيل، وكان يغوث لمراد، وكان يعوق لهمذان، وكان نسرا لذي الكلاع من حمير، وقرئ[3] ﴿وُدّاً﴾ بفتح الواو وضمها، وهما لغتان.

---

(١) ﴿وولده﴾ قرأ المدنيان وابن عامر وعاصم بفتح الواو واللام، وقرأ الباقون بضم الواو وإسكان اللام. النشر: ٢/٤٣١.

(٢) الكشف والبيان: ١٠/٤٦.

(٣) ﴿وداً﴾ قرأ المدنيان بضم الواو وقرأ الباقون بفتحها. النشر المصدر السابق.

﴿وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيراً﴾ الضمير للرؤساء من قوم نوح، والمعنى: أضلوا كثيرا من أتباعهم، وهذا من كلام نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك لا تزد الظالمين إلا ضلالا من كلامه وهو دعاء عليهم، وقال الزمخشري: إنه معطوف على قوله: ﴿رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي﴾ والتقدير: قال رب إنهم عصوني، وقال: ﴿وَلاَ تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلاَّ ضَلَـٰلاً﴾ ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ﴾ هذا من كلام الله إخبارا عن أمرهم وما زائدة للتأكيد، وإنما قدم هذا المجرور للتأكيد أيضا ليبين أن إغراقهم وإدخالهم النار إنما كان بسبب خطاياهم وهي الكفر وسائر المعاصي.

﴿فَأُدْخِلُواْ نَاراً﴾ يعني جهنم وعبر عن ذلك بالفعل الماضي لأن الأمر محقق وقيل: أراد عرضهم على النار وعبر عنه بالإدخال.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّاراً﴾ ديارا من الأسماء المستعملة في النفي العام، يقال: ما في الدار ديار، أي ما فيها أحد، ووزنه فيعال، وكان أصله ديوار ثم قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء، وليس وزنه فعال؛ لأنه لو كان كذلك لقيل: دوار لأنه مشتق من الدور، أو من الدار، وروي: أن نوحا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يدع على قومه بهذا الدعاء إلا بعد أن يئس من إيمانهم[1]، وبعد أن أخرج الله كل مؤمن من أصلابهم.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ يؤخذ من هذا أن سنة الدعاء أن يقدم الإنسان الدعاء لنفسه على الدعاء لغيره، وكان ولدا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤمنين، قال ابن عباس[2] لم يكن لنوح أب كافر ما بينه وبين آدم عليهما السلام، واسم والد نوح: لمك بن متوشلخ، وأمه شمخا بنت أنوش حكاه الزمخشري. ﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً﴾

---

(١) قال الطبري: وذُكر أن قيل نوح هذا القول ودعاءه هذا الدعاء، كان بعد أن أوحى إليه ربه: ﴿أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ ءَامَنَ﴾... جامع البيان: ٦٤١/٢٣.

(٢) لم أجده مسندا.

قيل: بيته المسجد، وقيل: السفينة، وقيل: شريعته سماها بيتا استعارة، وهذا بعيد، وقيل: داره، وهذا أرجح لأنه الحقيقة. ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ هذا دعاء بالمغفرة لكل مؤمن ومؤمنة على العموم وفيه دليل على جواز ذلك خلافا لمن قال من المتأخرين: إنه لا يجوز الدعاء بالمغفرة لجميع المؤمنين على العموم، وهذا خطأ وتضييق لرحمة الله الواسعة قال بعض العلماء: إن الإله الذي استجاب لنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ فأغرق بدعوته جميع أهل الأرض الكفار، حقيق أن يستجيب له فيرحم بدعوته جميع المؤمنين والمؤمنات. ﴿تَبَارًا﴾ أي هلاكا. والله أعلم.

*** *** ***

سُورَةُ الجِنّ (مكية - آياتها ٢٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

سورة الجن

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ تقدمت في الأحقاف قصة هؤلاء الجن الذين استمعوا القرآن من النبي ﷺ وأسلموا. ﴿فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ أي قال ذلك بعضهم لبعض، وعجبا مصدر وصف به للمبالغة لأن العجب مصدر قولك: عجبت عجبا، وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: ذا عجب.

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ جد الله جلاله وعظمته، وقيل: معناه من قولك فلان مجدود إذا استغنى وقرئ[1] أنه في هذا الموضع بفتح الهمزة وكسرها وكذلك فيما بعده إلى قوله وأنا منا المسلمون فأما الكسر فاستئناف أو عطف على ﴿إِنَّا سَمِعْنَا﴾ لكنه كسر في معمول القول فيكون ما عطف عليه من قول الجن، وأما الفتح، فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ﴾ وهذا خطأ من طريق المعنى؛ لأن قوله استمع نفر في موضع معمول أوحي فيلزم أن يكون المعطوف عليه مما أوحي وأن لا يكون من كلام الجن، وقيل: إنه معطوف على الضمير المجرور في قوله آمنا به وهذا ضعيف لأن الضمير المجرور لا يعطف عليه إلا بإعادة الخافض، وقال الزمخشري: هو معطوف على محل الجار والمجرور في آمنا به كأنه قال: صدقناه

(١) قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بفتح الهمزة من ﴿وانه﴾ ﴿وانا﴾ ﴿وانهم﴾ من لدن قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ الى قوله: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ في ابتداء كل آية، والباقون بكسرها. التيسير ص: ١٣٦.

وصدقنا: أنه تعالى جد ربنا وكذلك ما بعده، ولا خلاف في فتح ثلاث مواضع وهي: ﴿أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ ﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَامُواْ﴾ ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾؛ لأن ذلك مما أوحي لا من كلام الجن.

﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطاً﴾ هذا من كلام الجن، وسفيههم أبوهم إبليس، وقيل: هو اسم جنس لكل سفيه منهم، واختار ذلك ابن عطية، والشطط التعدي ومجاوزة الحد.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً﴾ أي ظننا أن الأقوال التي كان الإنس والجن يقولونها على الله صادقة وليست بكذب لأنا ظننا أنه لا يكذب أحد على الله.

﴿وَإِنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ تفسير هذا ما روي: أن العرب كانوا إذا حل أحد منهم بواد صاح بأعلى صوته: يا عزيز هذا الوادي إني أعوذ بك من السفهاء الذين في طاعتك، ويعتقد أن ذلك الجن الذي بالوادي يحميه. ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقاً﴾ ضمير الفاعل للجن، وضمير المفعول للإنس، والمعنى: أن الجن زادوا الإنس ضلالا وإثما لما عاذوا بهم، أو زادوهم تخويفا لما رأوا ضعف عقولهم، وقيل: ضمير الفاعل للإنس وضمير المفعول للجن، والمعنى: أن الإنس زادوا الجن تكبرا وطغيانا لما عاذوا بهم، حتى كان الجن يقول: أنا سيد الجن والإنس.

﴿وَإِنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّنْ يَّبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَداً﴾ الضمير في ظنوا لكفار الإنس، وظننتم خطاب الجن بعضهم لبعض، فالمعنى: أن كفار الإنس والجن ظنوا أن لن يبعث الله أحدا، والبعث هنا يحتمل أن يريد به بعث الرسل أو البعث من القبور.

﴿وَإِنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً﴾ هذا إخبار عن ما

حدث عند مبعث النبي ﷺ من منع الجن من استراق السمع من السماء ورجمهم، واللمس المس واستعير هنا للطلب، والحرس اسم مفرد في معنى الحراس كالخدم في معنى الخدام؛ ولذلك وصف بشديد وهو مفرد، ويحتمل أن يريد به الملائكة الحراس أو النجوم الحارسة وكرر الشهب لاختلاف اللفظ.

﴿وَإِنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ المقاعد جمع مقعد وقد فسر رسول الله ﷺ صورة قعود الجن: أنهم كانوا واحدا فوق واحد، فمتى أحرق الأعلى طلع الذي تحته مكانه فكانوا يسترقون الكلمة فيلقونها إلى الكهان ويزيدون معها ثم يزيد الكهان للكلمة مائة كذبة[1]. ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ الرصد اسم جمع للراصد كالحراس للحارس، وقال ابن عطية: هو مصدر وصف به ومعناه منتظر، قال بعضهم: إن رمي الجن بالنجوم إنما حدث بعد مبعث النبي ﷺ، واختار ابن عطية والزمخشري أنه كان قبل المبعث قليلا ثم زاد بعد المبعث وكثر حتى منع الجن من استراق السمع بالكلية، والدليل أنه كان قبل المبعث قول رسول الله ﷺ لأصحابه وقد رأى كوكبا انقض: «**ما كنتم تقولون لهذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول ولد ملك أو مات ملك، فقال رسول الله ﷺ: ليس الأمر كذلك**»[2]. ثم وصف استراق الجن للسمع وقد ذكر شعراء الجاهلية ذلك في أشعارهم.

---

(١) في صحيح البخاري: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت عكرمة يقول سمعت أبا هريرة يقول إن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ـ ووصف سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه ـ فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمع من السماء» الحديث رقم: (٤٥٢٢)، وفي مسلم بعضه الحديث رقم: (٥٩٥٣).

(٢) لم أجده مسندا، وقد أورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٥/٣٥٢.

﴿وَإِنَّا لاَ نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ الآية قال ابن عطية[١]: معناه لا ندري أيؤمن الناس بهذا النبي فيرشدوا أو يكفرون به فينزل بهم الشر، وقال الزمخشري[٢]: معناه لا ندري هل أراد الله بأهل الأرض خيرا أو شرا من عذاب أو رحمة، أو من خذلان أو من توفيق.

﴿وَإِنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ أي منا قوم دون ذلك فحذف الموصوف وأراد به الذين ليس صلاحهم كاملا، أو الذين ليس لهم صلاح، فإن دون قد تكون بمعنى أقل أو بمعنى غير. ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَداً﴾ الطرائق المذاهب والسير وشبهها، والقدد المختلفة وهو جمع قدة وهذا بيان للقسمة المذكورة قبل، وهو على حذف مضاف أي كنا ذوي طرائق.

﴿وَإِنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ﴾ الظن هنا بمعنى العلم، وقال ابن عطية: هذا إخبار منهم عن حالهم بعد إيمانهم، ويحتمل أن يكونوا اعتقدوا هذا الاعتقاد قبل إسلامهم.

﴿سَمِعْنَا الْهُدَىٰ﴾ يعنون القرآن. ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْساً وَلاَ رَهَقاً﴾ البخس النقص والظلم والرهق تحمل مالا يطاق وقال ابن عباس[٣]: البخس نقص الحسنات، والرهق الزيادة في السيئات.

﴿وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ يعني الظالمين، يقال: قسط الرجل إذا جار وأقسط بالألف إذا عدل، وهاهنا انتهى ما حكاه الله من كلام الجن، وأما قوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَداً﴾ يحتمل أن يكون من بقية كلامهم، أو يكون ابتداء كلام الله تعالى وهو الذي اختاره ابن عطية[٤] وأما قوله: ﴿وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا﴾ فهو من كلام

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٥٢.

(٢) الكشاف: ٤/٦٢٨.

(٣) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٣٥٣.

(٤) المحرر الوجيز المصدر السابق.

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ • وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

الله باتفاق وليس من كلامهم.

﴿تَحَرَّوْا۟﴾ أي قصدوا الرشد.

﴿وَأَن لَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ الماء الغدق الكثير وذلك استعارة في توسيع الرزق، والطريقة هي طريقة الإسلام وطاعة الله فالمعنى لو استقاموا على ذلك لو سع الله أرزاقهم فهو كقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ وقيل: هي طريقة الكفر والمعنى على هذا لو استقاموا على الكفر لوسع الله عليهم في الدنيا إملاء لهم واستدراجا ويؤيد هذا قوله: ﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ والأول أظهر، والضمير في استقاموا يحتمل أن يكون للمسلمين أو للقاسطين المذكورين أو لجميع الجن، أو للجن الذين سمعوا النبي ﷺ، أو لجميع الخلق.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ إن كانت الطريقة الإيمان والطاعة فمعنى الفتنة الاختبار: هل يسلمون أم لا؟ وإن كانت الطريقة الكفر فمعنى الفتنة الإضلال والاستدراج.

﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ معنى نسلكه ندخله والصعد الشديد المشقة، وهو مصدر صعد يصعد ووصف بالمصدر للمبالغة، يقال فلان في صعد أي في مشقة وقيل: صعدا جبل في النار.

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ أراد المساجد على الإطلاق وهي بيوت عبادة الله، وروي: أن الآية نزلت بسبب تغلب قريش على الكعبة، وقيل: أراد الأعضاء التي يسجد عليها واحدها مسجد بفتح الجيم وهذا بعيد، وعطف أن المساجد لله على

أوحي إلى أنه استمع، وقال الخليل: معنى الآية لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا أي لهذا السبب فلا تعبدوا غير الله.

﴿وَإِنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ عبد الله هنا محمد ﷺ ووصفه بالعبودية اختصاصا له وتقريبا وتشريفا، وقال الزمخشري[1]: أنه سماه هنا عبد الله ولم يقل الرسول أو النبي لأن هذا واقع في كلام رسول الله ﷺ عن نفسه؛ لأنه مما أوحي إليه فذكر ﷺ نفسه على ما يقتضيه التواضع والتذلل، وهذا الذي قاله بعيد، مع أنه إنما يمكن على قراءة أنه لما قام بفتح الهمزة[2] فيكون عطفا على ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ﴾ وأما على القراءة بالكسر على الاستئناف فيكون إخبارا من الله أو من جملة كلام الجن فيبطل ما قاله. ﴿كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ اللبد الجماعات واحدها لبدة والضمير في كادوا يحتمل أن يكون للكفار من الناس أي كادوا يجتمعون على الرد عليه وإبطال أمره، أو يكون للجن الذين استمعوا أي كادوا يجتمعون عليه لاستماع القرآن والبركة به.

﴿مُلْتَحَدًا﴾ أي ملجئا. ﴿إِلَّا بَلَٰغًا﴾ بدل من ملتحدا أي لا أجد ملجئا إلا بلاغ الرسالة، ويحتمل أن يكون استثناء منقطعا ﴿مِّنَ ٱللَّهِ﴾ قال الزمخشري: هذا الجار والمجرور ليس بصلة البلاغ إنما هو بمعنى بلاغا كائنا من الله، ويحتمل عندي أن يكون متعلقا ببلاغا، والمعنى بلاغ من الله. ﴿وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ قال الزمخشري: إنه معطوف على بلاغا كأنه قال: إلا التبليغ والرسالة، ويحتمل أن يكون ورسالاته معطوفا على اسم الله. ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ جمع ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على معنى ﴿وَمَن يَعْصِ﴾؛ لأنه في معنى الجمع، والآية في الكفار وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين لأن مذهبهم خلودهم في النار، والدليل على أنها في الكفار وجهان:

---

(١) الكشاف: ٤/٦٣٢.

(٢) قال الداني: نافع وأبو بكر: ﴿وإنه لما﴾ بكسر الهمزة، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ١٣٦.

أحدهما: أنها مكية والسورة المكية إنما الكلام فيها مع الكفار.

والآخر: دلالة ما قبلها وما بعدها على أن المراد بها الكفار.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ﴾ تعلقت حتى بقوله ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ وجعلت غاية لذلك والمعنى: أنهم يكفرون ويتظاهرون عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون قال ذلك الزمخشري، وقال أيضا: يجوز أن يتعلق بمحذوف يدل على المعنى كأنه قيل: لا يزالون على ما هم عليه من الكفر حتى إذا رأوا ما يوعدون، وهذا أظهر.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ إن هنا نافية والمعنى: قل لا أدري أقريب ما توعدون أم بعيد؟ وعبر عن بعده بقوله: ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا﴾ ويعني بما توعدون قتلهم يوم بدر، أو يوم القيامة.

﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ أي لا يطلع أحدا على علم الغيب إلا من ارتضى وهم الرسل، فإنه يطلعهم على ما شاء من ذلك ومن في قوله: ﴿مِن رَّسُولٍ﴾ لبيان الجنس لا للتبعيض، والرسل هنا يحتمل أن يراد بهم الرسل من الملائكة، وعلى هذا حملها ابن عطية[1] أو الرسل من بني آدم وعلى هذا حملها الزمخشري[2]، واستدل بها على نفي كرامات الأولياء الذين يدعون المكاشفات، فإن الله خص الاطلاع على الغيب بالرسل دون غيرهم، وفيها أيضا دليل على إبطال الكهانة والتنجيم وسائر الوجوه التي يدعي أهلها الاطلاع على الغيب؛ لأنهم ليسوا من الرسل. ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ المعنى أن الله يسلك من بين يدي الرسل ومن خلفه ملائكة يكونون رصدا يحفظونه

(١) قال ابن عطية: وقوله تعالى ﴿إلا من ارتضى من رسول﴾ معناه فإنه يظهره على ما شاء مما هو قليل من كثير، ثم يبث تعالى حول ذلك الملك الرسول حفظة ﴿رصدا﴾ لإبليس وحزبه من الجن والإنس. المحرر الوجيز: ٥/٣٥٦.

(٢) الكشاف: ٤/٦٣٤.

من الشياطين، وقد ذكرنا رصدا في هذه السورة قال بعضهم[١]: ما بعث الله رسولا إلا ومعه ملائكة يحرسونه حتى يبلغ رسالة ربه.

﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾ في الفاعل بيعلم ثلاثة أقوال:

الأول: أي ليعلم الله أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم أي يعلمه موجودا وقد كان علم ذلك قبل كونه.

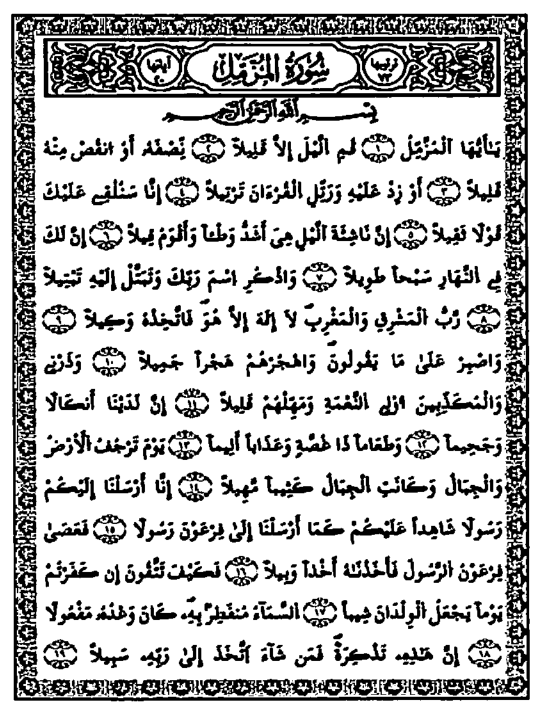
الثاني: ليعلم محمد أن الملائكة الرصد أبلغوا رسالات ربهم.

الثالث: ليعلم من كفر أن الرسل قد بلغوا الرسالة والأول أظهر وجمع الضمير في أبلغوا وفي ربهم حملا على المعنى لأن من ارتضى من رسول يراد به جماعة.

﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ﴾ أي أحاط الله بما عند الرسل من العلوم والشرائع وهذه الجملة معطوفة على قوله ﴿لِّيَعۡلَمَ﴾ لأن معناه أنه قد علم قال ذلك ابن عطية، ويحتمل أن تكون هذه الجملة في موضع الحال ﴿وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ هذا عموم في جميع الأشياء، وعددا منصوب على الحال، أو تمييز، أو مصدر من معنى أحصى.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) نسبه الزمخشري للضحاك بدون سند. الكشاف: ٤/٦٣٥.


سُورَةُ المُزَّمِّلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ الَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ الَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

سورة المزمل

﴿يَٰأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ نداء للنبي ﷺ، ووزن المزمل متفعل فأصله متزمل ثم سكنت التاء وأدغمت في الزاي، وفي تسمية النبي ﷺ بالمزمل ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه كان في وقت نزول الآية متزملا في كساء أو لحاف، والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير هذا قول عائشة[1] والجمهور.

والثاني: أنه كان قد تزمل في ثيابه للصلاة.

الثالث: أن معناه المتزمل للنبوءة أي المتشمر المجد في أمرها، والأول هو الصحيح لما ورد في البخاري ومسلم[2] أن رسول الله ﷺ لما جاءه الملك وهو في غار حراء في ابتداء الوحي رجع ﷺ إلى خديجة ترعد فرائصه، فقال: زملوني زملوني فنزلت يأيها المدثر وعلى هذا نزلت يأيها المزمل فالمزمل

---

(١) قال ابن عطية: واختلف الناس لم نودي بهذا فقالت عائشة والنخعي وجماعة؛ لأنه كان وقت نزول الآية متزملا بكساء، والتزمل الالتفاف في الثياب بضم وتشمير، ومنه قول امرئ القيس (الطويل):

كــأن أبانــا فــي أفــانين ودقــة كبيــر أنــاس فــي بجــاد مزمــل

أي ملفوف، وخفض مزمل في هذا البيت هو على الجوار، وإنما هو نعت لكبير.

فهو ﷺ على قول هؤلاء إنما دعي بهيئة في لباسه. المحرر الوجيز: ٣٥٦/٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٨٠/١٠، والطبري: ٦٧٦/٢٣.

(٢) البخاري الحديث رقم: (٣٠٦٦)، ومسلم الحديث رقم: (٢٥٥)، وقد تقدم تخريجه.

على هذا تزمله من أجل الرعب الذي أصابه أول ما جاءه جبريل، وقال الزمخشري: كان نائما في قطيفة فنودي يأيها المزمل ليبين الله الحالة التي كان عليها من التزمل في القطيفه؛ لأنه سبب للنوم الثقيل المانع من قيام الليل، وهذا القول بعيد غير سديد، وقال السهيلي: في ندائه بالمزمل فائدتان:

إحداهما: الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب نادوه باسم مشتق من حالته التي هو عليها، كقول النبي ﷺ لعلي: «قم أبا تراب»[(١)].

والفائدة الثانية: التنبيه لكل متزمل راقد بالليل ليتنبه إلى ذكر الله؛ لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب وكل من اتصف بتلك الصفة.

﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ﴾ هذا الأمر بقيام الليل اختلف: هل هو واجب أو مندوب؟ فعلى القول بالندب فهو ثابت غير منسوخ، وأما على القول بالوجوب ففيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه فرض على النبي ﷺ وحده ولم يزل فرضا عليه حتى توفي.

الثاني: أنه فرض عليه وعلى أمته فقاموا حتى انتفخت أقدامهم ثم نسخ بقوله في آخر السورة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ الآية وصار تطوعا هذا قول عائشة رضي الله عنها[(٢)] وهو الصحيح، واختلف كم بقي فرضا؟ فقالت عائشة عاما، وقيل: ثمانية أشهر، وقيل: عشرة أعوام فالآية الناسخة على هذا مدنية.

---

(١) في الصحيح:... جاء رسول الله ﷺ بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج فلم يقل عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظر أين هو؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل رسول الله ﷺ يمسحه عنه ويقول: «قم أبا تراب قم أبا تراب» البخاري الحديث رقم: (٤٣٠).

(٢) معرفة السنن والآثار للبيهقي الحديث رقم: (٥٨٤)، ومشكل الآثار للطحاوي الحديث رقم: (٤١٨)، والمحرر الوجيز: ٥/٣٥٧.

الثالث: أنه فرض عليه ﷺ وعلى أمته وهو ثابت غير منسوخ، ولكن ليس الليل كله إلا ما تيسر منه، وهو مذهب الحسن وابن سيرين[١].

﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِّصْفَهُۥ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ في معنى هذا الكلام أربعة أقوال:

الأول: وهو الأشهر والأظهر أن الاستثناء من الليل، وقوله: ﴿نِّصْفَهُۥ﴾ بدل من الليل، أو من قليلا، وجعل النصف قليلا بالنسبة إلى الجميع، والضميران في قوله: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ﴾ ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عائدان على النصف، والمعنى: أن الله خيره بين ثلاثة أحوال، وهو أن يقوم نصف الليل، أو ينقص من النصف قليلا، أو يزد عليه.

الثاني: قال الزمخشري: إلا قليلا استثناء من النصف كأنه قال: نصف الليل إلا قليلا، فخيره على هذا بين حالتين وهما: أن يقوم أقل من النصف أو أكثر منه، وهذا ضعيف لأن قوله: أو انقص منه قليلا تضمن معنى النقص من النصف فلا فائدة زائدة في استثناء القليل من النصف.

القول الثالث: قال الزمخشري أيضا: يجوز أن يريد بقوله: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ نصف النصف وهو الربع، ويكون الضمير في قوله: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يعود على ذلك أي زد على الربع فيكون ثلثا، فيكون التخيير على هذا بين قيام النصف أو الثلث أو الربع وهذا أيضا بعيد.

القول الرابع: قال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى إلا قليلا الليالي التي يمنعه العذر من القيام فيها، والمراد بالليل على هذا الليالي فهو جنس وهذا بعيد؛ لأنه قد فسر هذا القليل المستثنى بما بعد ذلك من نصف الليل أو النقص منه أو الزيادة عليه، فدلَّ ذلك على أن المراد بالدليل المستثنى بعض أجزاء الليل لا بعض الليالي.

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٦١.

فإن قيل: لم قيد النقص من النصف بالقلة فقال: ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلاً﴾ وأطلق في الزيادة فقال: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ ولم يقل قليلا؟ فالجواب: أن الزيادة تحسن فيها الكثرة فلذلك لم يقيدها بالقلة بخلاف النقص فإنه لو أطلقه لاحتمل أن ينقص من النصف كثيرا.

﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ الترتيل هو التمهل والمد وإشباع الحركات وبيان الحروف، وذلك معين على التفكر في معاني القرآن، بخلاف الهذ الذي لا يفقه صاحبه ما يقول، وكان رسول الله ﷺ يقطع قراءته حرفا حرفا[1] ولا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل، ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعوذ.[2].

﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾ هذه الآية اعتراض بين آية قيام الليل، والقول الثقيل: هو القرآن، واختلف في وصفه بالثقل على خمسة أقوال:

أحدها: أنه سمي ثقيلا لما كان النبي ﷺ يلقاه من الشدة عند نزول الوحي عليه، حتى أن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد[3] وقد كان يثقل جسمه عليه الصلاة والسلام بذلك حتى إنه إذا أوحي إليه وهو على ناقته بركت به[4] وأوحي إليه

---

(١) عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ بالليل؟ فقالت: وما لكم وصلاته كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي بقدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح ونعتت له قراءته فإذا هي تنعت «قراءة مفسرة حرفا حرفا» هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه المستدرك الحديث رقم: (١١٦٥)، والسنن الكبرى للنسائي: ٥/٢٢.

(٢) صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢٦٠٤)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٥٤٢)، وسنن أبي داود الحديث رقم: (٨٧١)، والسنن الكبرى للنسائي: ١/٢٤٠، وسنن ابن ماجه الحديث رقم: (١٣٥١)، وشرح السنة للبغوي: ٢/١٣٩.

(٣) صحيح البخاري: «قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا» الحديث رقم: (٢)، ورواه مالك في الموطإ الحديث رقم: (٤٧٥)، وابن حبان الحديث رقم: (٣٨).

(٤) الطبري في جامع البيان: ٢٣/٦٨١، والمستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٣٨٦٥)، ومسند إسحاق الحديث رقم: (٧٥٦).

وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فكادت أن ترض فخذ زيد[١] والثقل على هذا حقيقة.

الثاني: أنه ثقيل على الكفار بإعجازه ووعيده.

الثالث: أنه ثقيل في الميزان.

الرابع: أنه كلام له وزن ورجحان.

الخامس: أنه ثقيل لما تضمن من التكاليف والأوامر والنواهي، وهذا اختيار ابن عطية[٢] وعلى هذا يناسب الاعتراض بهذه الآية قيام الليل لمشقته.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ في الناشئة سبعة أقوال:

الأول: أنه النفس الناشئة بالليل أي التي تنشأ من مضجعها وتقوم للصلاة.

الثاني: الجماعات الناشئة الذين يقومون للصلاة.

الثالث: العبادة الناشئة بالليل أي تحدث فيه.

الرابع: الناشئة القيام بعد النوم، فمن قام أول الليل قبل أن ينام فلم يقم ناشئة.

الخامس: الناشئة القيام أول الليل بعد العشاء.

السادس: الناشئة بعد المغرب والعشاء.

السابع: ناشئة الليل ساعاته كلها.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ يحتمل معنيين:

---

(١) في الصحيح: وقال زيد بن ثابت أنزل الله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفخذه على فخذي فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي انظر البخاري الحديث رقم: (٢٦٧٧)، ومواضع أخرى منه. وشرح السنة للبغوي: ٦/٤٧٨، والطبري رقم: (١٠٢٣٩).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٨٥.

أحدهما: أثقل وأصعب على المصلي ومنه قول النبي ﷺ: «اللهم اشدد وطأتك على مضر»[١] والأثقل أعظم أجرا، فالمعنى تحريض على قيام الليل لكثرة الأجر.

الثاني: أشد ثبوتا من أجل الخلوة وحضور الذهن والبعد عن الناس، ويقرب هذا من معنى ﴿وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ وقرئ[٢] وطاء بكسر الواو على وزن فعال ومعناه موافقة أي يوافق القلب اللسان بحضور الذهن.

﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحاً طَوِيلاً﴾ السبح هنا عبارة عن التصرف في الاشتغال والمعنى يكفيك النهار للتصرف في أشغالك وتفرغ بالليل لعبادة ربك، وقيل المعنى إن فاتك شيء من صلاة الليل فأده بالنهار فإنه طويل يسع ذلك.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ قيل: معناه: قل بسم الله الرحمن الرحيم في أول صلاتك، واللفظ أعم من ذلك. ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً﴾ أي انقطع إليه بالعبادة والتوكل عليه وحده وقيل التبتل رفض الدنيا وتبتيلا مصدر على غير قياس.

﴿فَاتَّخِذْهُ وَكِيلاً﴾ الوكيل هو القائم بالأمور والذي توكل إليه الأشياء فهو أمر بالتوكل على الله.

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ أي على ما يقول الكفار والآية منسوخة بالسيف وقيل إنما المنسوخ المهادنة التي يقتضيها قوله اهجرهم هجرا جميلا وأما الصبر فمأمور به في كل وقت.

﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا تهديد لهم وانتصب المكذبين على أنه مفعول معه

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٩٦١)، وتقدم تخريجه..

(٢) قال ابن عطية: وقرأ أبو عمرو ومجاهد وابن الزبير وابن عباس «وطاء» على وزن فعال، والمعنى موافقة لأنه يخلو البال من أشغال النهار وأشغابه فيوافق قلب المرء لسانه، وفكره عبارته، فهذه مواطأة صحيحة، وبهذا المعنى فسر اللفظ مجاهد وغيره. المحرر الوجيز: ٥/٣٥٩.

أو معطوف. ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ أي التنعم في الدنيا، وروي: أن الآية نزلت في بني المغيرة وهم قوم من قريش كانوا متنعمين في الدنيا.

﴿أَنكَالًا﴾ جمع نكل وهو القيد من الحديد وروى أنها قيود سود من نار.

﴿وَطَعَاماً ذَا غُصَّةٍ﴾ شجرة الزقوم ومعنى ذا غصة أي يغص به آكلوه، وقيل: هو شوك يعترض في حلوقهم لا ينزل ولا يخرج، وروي: أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية فصعق[١].

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي تهتز وتتزلزل والعامل في يوم معنى الكلام المتقدم وهو: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا﴾. ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ الكثيب كدس الرمل، والمهيل اللين الرخو الذي تهيله الريح أي تنشره، وزنه مفعول، والمعنى: أن الجبال تصير إذا نسفت يوم القيامة مثل الكثيب.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا﴾ خطاب لجميع الناس لأن رسول الله ﷺ بعث إلى الناس كافة وقال الزمخشري: هو خطاب لأهل مكة. ﴿شَاهِداً عَلَيْكُمْ﴾ أي يشهد على أعمالكم من الكفر والإيمان والطاعة والمعصية وإنما يشهد على من أدركه لقوله ﷺ: «أقول كما قال أخي عيسى: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾». ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ يعني موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو المراد بقوله: ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ فاللام للعهد.

﴿أَخْذاً وَبِيلاً﴾ أي عظيما شديدا.

﴿يَوْماً﴾ مفعول به وناصبه تتقون أي كيف تتقون يوم القيامة وأهواله إن كفرتم، وقيل: هو مفعول به على أن يكون كفرتم بمعنى جحدتم، وقيل: هو ظرف

(١) المحرر الوجيز: ٥/٣٦٠ قال السمعاني في تفسيره: وقد ورد في الغرائب من الأخبار أن النبي قرئت عنده هذه الآية فصعق صعقة. ٦/٨١.

أي كيف لكم بالتقوى يوم القيامة، ويحتمل أن يكون العامل فيه محذوفا تقديره: اذكروا. وقوله: ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَانَ شِيبًا ۝ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾. الولدان جمع وليد، وهو الطفل الصغير والشيب بكسر الشين جمع أشيب، ووزنه فعل بضم الفاء وكسرت لأجل الياء، ويجعل يحتمل أن يكون مسندا إلى الله تعالى أو إلى اليوم، والمعنى: أن الأطفال يشيبون يوم القيامة، فقيل: إن ذلك حقيقة، وقيل: إنه عبارة عن هول ذلك اليوم، وقيل: إنه عبارة عن طوله.

﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ الانفطار الانشقاق، والضمير المجرور يعود على اليوم أي تتفطر السماء لشدة هوله، ويحتمل أن يعود على الله أي تنفطر بأمره وقدرته، والأول أظهر، والسماء مؤنثة وجاء منفطر بالتذكير؛ لأن تأنيثها غير حقيقي، أو على الإضافة تقديره: ذات انفطار، أو لأنه أراد السقف. ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ الضمير في وعده يحتمل أن يعود على اليوم أو على الله، والأول أظهر؛ لأنه ملفوظ به.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى ما تقدم من المواعظ والوعيد. ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ يريد سبيل التقرب إلى الله ومعنى الكلام حض على ذلك وترغيب فيه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾ هذه الآية نزلت ناسخة لما أمر به في أول السورة من قيام الليل، ومعناها أن الله يعلم أنك ومن معك من المسلمين تقومون قياما مختلفا مرة يكثر ومرة يقل؛ لأنكم لا تقدرون على إحصاء أوقات الليل وضبطها فإنه لا يقدر على ذلك إلا الله، فخفف عنكم وأمركم أن تقرؤوا ما تيسر من القرآن. ﴿وَنِصْفِهِۦ وَثُلُثِهِۦ﴾ من قرأها بالخفض[1] فهو عطف على ثلثي الليل أي تقوم أقل من ثلثي الليل، وأقل من نصفه وثلثه، ومن قرأ بالنصب فهو عطف على أدنى أي تقوم أدنى من ثلثي الليل، وتقوم نصفه تارة وثلثه تارة.

(١) ﴿ونصفه وثلثه﴾ قرأ ابن كثير والكوفيون بنصب الفاء والثاء وضم الهاءين، وقرأ الباقون بخفض الفاء والثاء وكسر الهاءين. النشر: ٢/٤٣٣.

﴿وَطَآئِفَةٌ﴾ يعني المسلمين وهو معطوف على الضمير الفاعل في تقوم. ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ الضمير يعود على ما يفهم من سياق الكلام، أي لن تحصوا تقدير الليل، وقيل: معناه لن تطيقوه أي لن تطيقوا قيام الليل كله. ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ عبارة عن التخفيف، كقوله: فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم ﴿فَاقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾ أي إذا لم تقدروا على قيام الليل كله فقوموا بعضه واقرؤوا في صلاتكم بالليل ما تيسر من القرآن، وهذا الأمر للندب، وقال ابن عطية: هو للإباحة عند الجمهور، وقال قوم منهم الحسن[1] وابن سيرين: هو فرض لابد منه، ولو أقل ما يمكن، حتى قال بعضهم: من صلى الوتر فقد امتثل هذا الأمر، وقيل: كان فرضا ثم نسخ بالصلوات الخمس، وقال بعضهم: هو فرض على أهل القرآن دون غيرهم. ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ ذكر الله في هذه الآية الأعذار التي تكون لبني آدم تمنعهم من قيام الليل، فمنها: المرض، ومنها: السفر للتجارة وهي الضرب في الأرض لابتغاء فضل الله، ومنها: الجهاد ثم كرر الأمر بقراءة ما تيسر تأكيدا للأمر به، أو تأكيدا للتخفيف وهذا أظهر؛ لأنه ذكره بأثر الأعذار ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ الزَّكَوٰةَ﴾ يعني المكتوبتين. ﴿وَأَقْرِضُواْ اللَّهَ﴾ معناه تصدقوا وقد ذكر في البقرة. ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ نصب خيرا لأنه مفعول ثان لتجدوه والضمير فصل. ﴿وَاسْتَغْفِرُواْ اللَّهَ﴾ قال بعض العلماء: إن الاستغفار بعد الصلاة مستنبط من هذه الآية، **«وكان رسول الله ﷺ إذا سلم من صلاته استغفر ثلاثا»**[2].

❋❋ ❋❋ ❋❋

---

(١) تفسير الثعالبي: ٤/٣٥٦.

(٢) صحيح/حَدَّثَنَا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ عَنِ الأَوْزَاعِيِّ عَنْ أَبِي عَمَّارٍ ـ اسْمُهُ شَدَّادُ بْنُ عَبْدِ اللهِ ـ عَنْ أَبِي أَسْمَاء عَن ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثًا، وَقَالَ «اللهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ وَمِنْكَ السَّلاَمُ تَبَارَكْتَ ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ». قَالَ الْوَلِيدُ: فَقُلْتُ لِلأَوْزَاعِيِّ كَيْفَ الاِسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. مسلم الحديث رقم: (١٣٦٢)، وسنن النسائي الحديث رقم: (١٣٣٦).

ربع

إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم (٢٠)

سُورَةُ المُدَّثِّر

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فإذا نقر في الناقور (٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين غير يسير (١٠) ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣) ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥) كلا إنه كان لآياتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧)

سورة المدثر

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ وزنه متفعل ومعناه الذي تدثر في كساء أو ثياب، وتسميته بذلك كتسميته بالمزمل حسبما ذكرنا في موضعه، وقال السهيلي: في ندائه بالمدثر ثلاثة فوائد: الاثنتان اللتان ذكرتا في المزمل، وفائدة ثالثة، وهي: أن العرب يقولون النذير العريان للنذير الذي يكون في غاية الجد والتشمير والمدثر بالثياب ضد هذا فكأنه تنبيه على ما يجب من التشمير، وقيل: إن هذه أول سورة نزلت من القرآن، والصحيح أن سورة اقرأ نزلت قبلها.

﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ أي أنذر الناس وهذه بعثة عامة. ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ أي عظمه، ويحتمل أن يريد قول الله أكبر، ويؤيد ذلك ما روي عن أبي هريرة أن المسلمين قالوا بم نفتتح صلاتنا؟ فنزلت: وربك فكبر وقوله: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ من المقلوب الذي يقرأ من أوله وآخره.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه حقيقة في تطهير الثياب من النجاسة، واختلف في هذا، هل يحمل على الوجوب فتكون إزالة النجاسة واجبة أو على الندب فتكون سنة؟.

والآخر: أنه يراد به الطهارة من الذنوب والعيوب فالثياب على هذا مجاز.

الثالث: أن معناه لا تلبس الثياب من مكسب خبيث.

﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الرجز الأوثان، روي ذلك عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو قول عائشة[1].

والآخر: أن الرجز السخط والعذاب وهذا أصله في اللغة فمعناه اهجر ما يؤدي إليه ويوجبه.

الثالث: أنه المعاصي والفجور قال بعضهم: كل معصية رجز.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ يحتمل قوله تمنن أن يكون بمعنى العطاء، أو بمعنى المن، وهو ذكر العطاء وشبهه، أو بمعنى الضعف، فإن كان بمعنى العطاء ففيه وجهان:

أحدهما: أن معناه لا تعط شيئا لتأخذ أكثر منه قال بعضهم: هذا خاص بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومباح لأمته.

والآخر: لا تعط الناس عطاء وتستكثره لأن الكريم يستقل ما يعطي وإن كان كثيرا.

وإن كان من المن بالشيء ففيه وجهان:

الأول: لا تمنن على الناس بنبوءتك تستكثر بأجر أو مكسب تطلبه.

الثاني: لا تمنن على الله بعملك تستكثر أعمالك ويقع لك بها إعجاب.

وإن كان من الضعف فمعناه لا تضعف عن تبليغ الرسالة وتستكثر ما حملناك من ذلك.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ أي اصبر لوجهه وطلب رضاه، ويحتمل أن يريد الصبر

(١) لم أجده لعائشة وهو ثابت عن أبي سلمة المسند الحديث رقم: (١٤٥٢٣)، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (١١٦٣١).

على المكاره والمصائب، أو على إذاية الكفار له، أو على العبادة.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ يعني نفخ في الصور، ويحتمل أن يريد النفخة الأولى أو الثانية.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ هذا وعيد وتهديد، ونزلت الآية[1] في الوليد بن المغيرة باتفاق وفي معنى وحيدا ثلاثة أقوال:

أحدها: روى أنه كان يلقب الوحيد أي لا نظير له في ماله وشرفه وكونه وحيدا نعمة عددها الله عليه.

الثاني: أن معناه خلقته منفردا ذليلا.

الثالث: أن معناه خلقته وحدي فوحيدا على هذا من صفة الله تعالى وإعرابه على هذا حال من الضمير الفاعل في قوله خلقت وهو على القولين الأولين حال من الضمير المفعول.

﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ أي كثيرا، واختلف في مقداره، فقيل: ألف دينار، وقيل: عشرة آلاف دينار، وقيل: يعني الأرض لأنها مدت.

﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ أي حضورا وروي: أنه كان له عشرة من الأولاد، وقيل: ثلاثة عشرة لا يفارقونه، وأسلم منهم ثلاثة، وهم: خالد، وهشام، وعمار.

﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي بسطت له في الدنيا، بالمال، والقوة، وطيب العيش.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ أي يطمع في الزيادة على ما أعطاه الله وهذا غاية الحرص.

﴿كَلَّآ﴾ زجر عما طمع فيه من الزيادة. ﴿عَنِيدًا﴾ أي معاندا مخالفا والآيات هنا

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٨٣/١٠، والطبري في جامع البيان: ٢٤/٢٤.

إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧) كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)

ثمن

يراد بها القرآن؛ لأن الوليد قال فيه إنه سحر، ويحتمل أن يريد الدلائل.

﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾ الصعود: العقبة الصعبة، وروي عن النبي ﷺ أنها عقبة في جهنم كلما صعدها الإنسان ذاب ثم يعود، فالمعنى: سأشق عليه بتكليفه الصعود فيها.

﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ أي فكر فيما يقول وقدر في نفسه ما يقول في القرآن أي هيأ كلامه روي: أن الوليد سمع القرآن فأعجبه وكاد يسلم ودخل إلى أبي بكر الصديق فعاتبه أبو جهل، وقال له: إن قريشا قد أبغضتك لمقاربتك أمر محمد، وما يخلصك عندهم إلا أن تقول في كلام محمد قولا يرضيهم، فافتتن وقال: أفعل ذلك، ثم فكر فيما يقول في القرآن فقال: أقول شعر؟ ما هو شعر، أقول كهانة؟ ما هو بكهانة، أقول: إنه سحر وإنه قول البشر ليس منزلا من عند الله.

﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ دعاء عليه وذم وكرره تأكيدا لذمه وتقبيح حاله، قال ابن عطية: ويحتمل أن يكون مقتضاه استحسان منزعه الأول حين أعجبه القرآن فيكون قوله: قتل لا يراد به الدعاء عليه، وإنما هو كقولهم: قاتل الله فلانا ما أشجعه يريدون التعجب من حاله واستعظام وصفه، وقال الزمخشري: يحتمل أن يكون ثناء عليه على طريقة الاستهزاء، أو حكاية لقول قريش تهكما بهم.

﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ أي نظر في قوله. ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ البسور: هو تقطيب الوجه وهو أشد من العبوس، وفعل ذلك من حسده للنبي ﷺ، أي عبس في وجهه

عليه الصلاة والسلام، أو عبس لما ضاقت عليه الحيل، ولم يدر ما يقول.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أي أعرض عن الإسلام.

﴿سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ أي ينقل عمن تقدم.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾ تعظيم لها وتهويل.

﴿لاَ تُبْقِى وَلاَ تَذَرُ﴾ مبالغة في وصف عذابها أي لا تدع غاية من العذاب إلا أذاقته إياها، أو لا تبقي شيئا ألقي فيها إلا أهلكته، وإذا أهلك لم تذره هالكا بل يعود للعذاب.

﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾ معنى لواحة مغيرة، يقال: لوحه السفر: إذا غيره، والبشر جمع بشرة، وهي: الجلدة، فالمعنى: أنها تحرق الجلود وتسودها، وقيل: لواحة من لاح إذا ظهر، والبشر الناس أي تلوح للناس، وقال الحسن[1]: تلوح لهم من مسيرة خمسمائة عام.

﴿تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ يعني الزبانية خزنة جهنم، فقيل: هم تسعة عشر ملكا، وقيل: تسعة عشر صفا من الملائكة، والأول أشهر.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلاَّ مَلَٰٓئِكَةً﴾ سبب الآية: أنه لما نزل عليها تسعة عشر، قال أبو جهل: أيعجز عشرة منكم عن واحد من هؤلاء التسعة عشر أن يبطشوا به فنزلت الآية، ومعناها أنهم ملائكة لا طاقة لكم بهم، وروي أن الواحد منهم يرمي بالجبل على الكفار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي جعلناهم هذا العدد ليفتتن الكفار بذلك ويطمعوا أن يغلبوهم ويقولون ما قالوا. ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ أي ليعلم أهل التوراة والإنجيل أن ما أخبر به محمد ﷺ من عدد ملائكة النار حق؛ لأنه موافق لما في كتبهم ﴿وَلاَ يَرْتَابَ﴾

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٧٨/١٩.

أي لا يشك. ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ أن ما قاله محمد ﷺ حق، فإن قيل: كيف نفى عنهم الشك بعد أن وصفهم باليقين، والمعنى واحد وهو تكرار؟ فالجواب: أنه لما وصفهم باليقين نفى عنهم أن يشكوا فيما يستقبل بعد يقينهم الحاصل الآن، فكأنه وصفهم باليقين في الحال والاستقبال، وقال الزمخشري: ذلك مبالغة وتأكيد. ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ المرض عبارة عن الشك وأكثر ما يطلق الذين في قلوبهم مرض على المنافقين، فإن قيل: هذه السورة مكية، ولم يكن حينئذ منافقون، وإنما حدث المنافقون بالمدينة؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن معناه يقول المنافقون إذا حدثوا ففيه إخبار بالغيب.

والآخر: أن يريد من كان بمكة من أهل الشك، وقولهم: ماذا أراد الله بهذا مثلا؟ استبعاد لأن يكون هذا من عند الله. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يحتمل القصد بهذا وجهين:

أحدهما: وصف جنود الله بالكثرة، أي هم من كثرتهم لا يعلمهم إلا الله.

والآخر: رفع اعتراض الكفار على التسعة عشر، أي لا يعلم أعداد جنود الله إلا هو؛ لأن منهم عددا قليلا ومنهم عددا كثيرا حسبما أراد الله.

﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات المتقدمة.

﴿كَلَّا﴾ ردع للكفار عن كفرهم، وقال الزمخشري: هي إنكار لأن تكون لهم ذكرى.

﴿إِذْ أَدْبَرَ﴾ أي ولى وقرئ[1] دبر بغير ألف، والمعنى: واحد، وقيل: معناه

---

(١) ﴿إذ أدبر﴾ قرأ نافع ويعقوب وحمزة وخلف وحفص ﴿إذ﴾ بإسكان الذال من غير ألف بعدها ﴿أدبر﴾ بهمزة مفتوحة وإسكان الدال بعدها وقرأ الباقون ﴿إذا﴾ بألف بعد الذال ﴿دبر﴾ بفتح الدال من غير همزة قبلها. النشر: ٢/٤٣٣.

دبر الليل النهار، أي جاء في دبره.

﴿إِذَا أَسْفَرَ﴾ أي أضاء ومنه الإسفار بصلاة الصبح.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ الضمير لجهنم أو للآيات والنذارة: أي هي من الأمور العظام، والكبر جمع كبرى، وقال ابن عطية: جمع كبيرة والأول هو الصحيح.

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ تمييز أو حال من إحدى الكبر، وقيل: النذير هنا الله فالعامل فيه على هذا محذوف وهذا ضعيف، وقيل: هو حال من هذه السورة أي قم فأنذر نذيرا، وهذا بعيد، قال الزمخشري: هو من بدع التفاسير.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ التقديم عبارة عن تقديم سلوك طريق الهدى والتأخر ضده، ولمن شاء بدل من البشر أي هم متمكنون من التقدم والتأخر، وقيل: معناه الوعيد، كقوله: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ وعلى هذا أعرب الزمخشري أن يتقدم مبتدأ ولمن شاء خبره والأول أظهر ﴿رَهِينَةٌ﴾ قال ابن عطية: الهاء في رهينة للمبالغة، أو على تأنيث النفس، وقال الزمخشري: ليست بتأنيث رهين؛ لأن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وإنما هي بمعنى الرهن أي كل نفس رهن عند الله بعملها.

﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ أي أهل السعادة فإنهم فكوا رقابهم بأعمالهم الصالحة كما فك الراهن رهنه بأداء الحق، وقال علي[١] بن أبي طالب أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لا أعمال لهم يرتهنون بها، وقال ابن عباس[٢] هم الملائكة.

﴿يَتَسَآءَلُونَ ۝ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي يسأل بعضهم بعضا عن حال المجرمين الذين في النار.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٨٥، والدر المنثور: ٨/٣٣٦.

(٢) البحر المحيط: ٨/٣٧١.

فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ (٤٨) فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ (٥١) بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ (٥٣) كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ (٥٦)

سُورَةُ القِيَامَةِ

مكية — آياتها ٤٠ — ترتيبها ٧٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ (١) وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ (٣) بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ (٤) بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ (٥) يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ (٦) فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ (٩) يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ (١٠) كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ (١٢) يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣) بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (١٥) لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ (١٩)

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ أي ما أدخلكم النار وهذا خطاب للمجرمين يحتمل أن خاطبهم به المسلمون أو الملائكة فأجابوهم بقولهم: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ وما بعده، أي هذا الذي أوجب دخولهم النار وإنما أخر التكذيب بيوم الدين تعظيما له لأنه أعظم جرائمهم.

﴿نَخُوضُ﴾ الخوض هو كثرة الكلام بما لا ينبغي من الباطل وشبهه.

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ هو الموت عند المفسرين، وقال ابن عطية: إنما اليقين الذي أرادوا ما كانوا يكذبون به في الدنيا فيتيقنونه بعد الموت.

﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ إنما ذلك لأنهم كفار، وأجمع العلماء أنه لا يشفع أحد في الكفار، وجمع الشافعين دليل على كثرتهم كما، ورد في الآثار[(١)] تشفع الملائكة والأنبياء والعلماء والشهداء والصالحون.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ يعني كفار قريش. ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ

(١) لم أعثر على هذا الأثر بلفظه لكن الشفاعة لمن رضي الله له ذلك ثابتة معروفة، ففي صحيح مسلم: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يُصَلِّى عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلاَّ شُفِّعُوا فِيهِ» رقم ٢٢٤١: وفي صحيح ابن حبان: «ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئا إلا شفعهم الله فيه» ٣٠٨٢ إسناده حسن على شرط مسلم. وعن النخعيّ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قال: يُشَفَّعُون في إخوانهم، ﴿ويزيدهم من فضله﴾ قال: يشفعون في إخوان إخوانهم. الطبري ٢١/٥٣٤ وابن كثير ٧/٢٠٦ وغيرهما.

مُّسْتَنفَرَةٌ﴾[١] المستنفرة بفتح الفاء التي استنفرها الفزع وبالكسر بمعنى النافرة، شبه الكفار بالحمر النافرة في جهلهم ونفورهم عن الإسلام، ويعني حمر الوحش.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ قال ابن عباس[٢]: القسورة الرماة، وقال أيضا: هو الأسد، وقيل: أصوات الناس، وقيل: الرجال الشداد، وقيل: سواد أول الليل.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفاً مُّنَشَّرَةً﴾ المعنى يطمع كل إنسان منهم أن ينزل عليه كتاب من الله، ومعنى منشرة: منشورة غير مطوية، أي طرية كما كتبت لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا للرسول ﷺ لا نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتاب من السماء فيه من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر باتباعك.

﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه. ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي هذه هي العلة والسبب في إعراضهم.

﴿كَلَّا﴾ تأكيد للردع الأول، أو ردعهم عن عدم خوفهم الآخرة. ﴿إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ﴾ الضمير لما تقدم من الكلام، أو للقرآن بجملته.

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ فاعل شاء ضمير يعود على من، وفي ذلك حض وترغيب، وقيل: الفاعل هو الله، ثم قيد فعل العبد بمشيئة الله.

﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي هو أهل لأن يتقى لشدة عقابه، وهو أهل لأن يغفر الذنوب لكرمه وسعة رحمته وفضله.

*** *** ***

(١) ﴿مستنفر﴾ قرأ المدنيان وابن عامر بفتح الفاء، وقرأ الباقون بكسرها. النشر ٤٣٣/٢.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٤٠/٢٤، والمحرر الوجيز: ٣٧١/٥.

سورة القيامة

﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ في الموضعين معناه أقسم ولا زائدة لتأكيد القسم، وقيل: هي استفتاح كلام بمنزلة ألا، وقيل: هي نفي لكلام الكفار.

﴿بِالنَّفۡسِ اللَّوَّامَةِ﴾ هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات فإن النفوس على ثلاثة أنواع: فخيرها النفس المطمئنة، وشرها النفس الأمارة بالسوء، وبينهما النفس اللوامة، وقيل: اللوامة هي المذمومة الفاجرة وهذا بعيد؛ لأن الله لا يقسم إلا بما يعظم من المخلوقات ويستقيم إن كان لا أقسم نفيا للقسم.

﴿أَيَحۡسَبُ الۡإِنسَانُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ الإنسان هنا للجنس أو الإشارة به للكفار المنكرين للبعث، ومعناه: أيظن أن لن نجمع عظامه للبعث بعد فنائها في التراب؟ وهذه الجملة هي التي تدل على جواب القسم المتقدم.

﴿بَلَىٰ﴾ تقديره: نجمعها. ﴿قَٰدِرِينَ﴾ منصوب على الحال من الضمير في نجمع والتقدير: نجمعها ونحن قادرون. ﴿عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ البنان الأصابع وفي المعنى قولان:

أحدهما: أنه إخبار بالقدرة على البعث أي قادرين على أن نسوي أصابعه أي نخلقها بعد فنائها مستوية متقنة، وإنما خص الأصابع دون سائر الأعضاء لدقة عظامها وتفرقها.

والآخر: أنه تهديد في الدنيا أي قادرين على أن نجعل أصابعه مستوية ملتصقة كيد الحمار وخف الجمل، فلا يمكنه تصريف يديه في منافعه، والأول أليق بسياق الكلام.

﴿بَلۡ يُرِيدُ الۡإِنسَانُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ هذه الجملة معطوفة على أيحسب

الإنسان، ويجوز أن يكون استفهاما مثلها أو تكون خبرا، وليست بل هنا للإضراب عن الكلام الأول بمعنى إبطاله، وإنما هي للخروج منه إلى ما بعده، وليفجر معناه ليفعل أفعال الفجور، وفي معنى أمامه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه عبارة عما يستقبل من الزمان أي يفجر بقية عمره.

الثاني: أنه عبارة عن اتباع أغراضه وشهواته، يقال مشى فلان قدامه إذا لم يرجع عن شيء يريده، والضمير على هذين القولين يعود على الإنسان.

الثالث: أن الضمير يعود على يوم القيامة، والمعنى: يريد الإنسان أن يفجر قبل يوم القيامة.

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ أيان معناها متى وهذا السؤال عن يوم القيامة هو على وجه الاستخفاف والاستبعاد.

﴿بَرَقَ ٱلْبَصَرُ﴾ هذا إخبار عن يوم القيامة، وقيل: عن حالة الموت وهذا خطأ لأن القمر لا يخسف عند موت أحد[١] ولا يجمع بينه وبين الشمس، وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق، وقرئ[٢] بكسر الراء ومعناه تحير من الفزع، وقيل: معناه شخص، فيتقارب معنى الفتح والكسر.

﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوؤه، يقال: خسف هو وخسفه الله، والخسوف للقمر، والكسوف للشمس، وقيل: الكسوف ذهاب بعض الضوء، والخسوف ذهاب جميعه، وقيل: بمعنى واحد.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ في جمعهما ثلاثة أقوال:

---

(١) يشير إلى الحديث الصحيح: «إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا حياته ولكنهما آيتان من آيات الله فإذا رأيتموهما فصلوا» البخاري الحديث رقم: (٩٩٥)، ومسلم الحديث رقم: (٢١٣٨)، وغيرهما.

(٢) ﴿فإذا برق البصر﴾ قرأ المدنيان بفتح الراء، وقرأ الباقون بكسرها. النشر: ٢/٤٣٣.

أحدها: أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب.

والآخر: أنهما يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في النار، وقيل: في البحر فتكون النار الكبرى.

الثالث: أنهما يجمعان فيذهب ضوؤهما.

﴿لاَ وَزَرَ﴾ أي لا ملجأ ولا مغيث.

﴿بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ أي بجميع أعماله ما قدم منها في أول عمره وما أخر في آخره، وقيل: ما قدم في حياته، وما أخر من سنة أو وصية بعد مماته، وقيل: ما قدم لنفسه من ماله، وما أخر منه لورثته.

﴿بَلِ ٱلإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ في معناه قولان:

أحدهما: أنه شاهد على نفسه بأعماله إذ تشهد عليه جوارحه يوم القيامة.

والآخر: أنه حجة بينة لأن خلقته تدل على خالقه، فوصف بالبصارة مجازا لأن من نظر فيه أبصر الحق، والأول أليق بما قبله وما بعده كأنه قال: ينبؤ الإنسان يومئذ بأعماله بل هو يشهد بأعماله وإن لم ينبأ بها، وكذلك يلتئم مع قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ويكون هو جواب لو حسبما نذكره.

﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن المعاذير الأعذار، أي الإنسان يشهد على نفسه بأعماله ولو اعتذر عن قبائحها.

والآخر: أن المعاذير الستور أي الإنسان يشهد على نفسه يوم القيامة ولو سدل الستور على نفسه في الدنيا حين يفعل القبائح.

﴿لاَ تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ الضمير في به يعود على القرآن، دلت

على ذلك قرينة الحال، وسبب الآية[1] أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يحرك به شفتيه مخافة أن ينساه لحينه، فأمره الله أن ينصت ويستمع، وقيل: كان يخاف أن ينسى القرآن فكان يدرسه حتى غلب عليه ذلك وشق عليه فنزلت الآية، والأول هو الصحيح لأنه ورد في البخاري[2] وغيره. ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ضمن الله له أن يجمعه في صدره فلا يحتاج إلى تحريك شفتيه عند نزوله، ويحتمل قرآنه هنا وجهين:

أحدهما: أن يكون بمعنى القراءة فإن القرآن قد يكون مصدرا من قرأت.

والآخر: أن يكون معناه تأليفه في صدره فهو مصدر من قولك: قرأت الشيء أي جمعته.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي إذا قرأه جبريل فاجعل قراءة جبريل قراءة الله لأنها من عنده، ومعنى ﴿اتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اسمع قراءته واتبعها بذهنك لتحفظها، وقيل: اتبع القرآن في الأوامر والنواهي.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ أي علينا أن نبينه لك ونجعلك تحفظه، وقيل: علينا أن نبين معانيه وأحكامه، **فإن قيل**: ما مناسبة قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآية لما قبلها؟ **فالجواب**: أنه لعله نزل معه في حين واحد، فجعل على ترتيب النزول.

---

(١) سيأتي تخريجه بعد.

(٢) في الصحيح... عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾. قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ فإن علينا أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾. قال: إنا علينا أن نبينه بلسانك. قال: وكان إذا أتاه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأه كما وعده الله. البخاري الحديث رقم: (٤٧٥٧)، وفي عدة مواضع منه، ومسلم الحديث رقم: (١٠٣٣)، وغيرهما..

كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥) كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠) فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ (٣١) وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ (٣٣) أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٤) ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ (٣٥) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ (٤٠)

سُورَةُ الإِنْسَانِ

ترتيبها ٧٦ — آياتها ٣١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ثمن

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣) إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤) إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)

﴿بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ أي تحبون الدنيا وهذا الخطاب توبيخ للكفار ومن كان على مثل حالهم في حب الدنيا، وكلا ردع عن ذلك.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بالضاد أي ناعمة ومنه ﴿نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾.

﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ هذا من النظر بالعين وهو نص في نظر المؤمنين إلى الله تعالى في الآخرة وهو مذهب أهل السنة، وأنكره المعتزلة وتأولوا ناظرة بأن معناها منتظرة، وهذا باطل؛ لأن نظر بمعنى انتظر يتعدى بغير حرف جر، تقول: نظرتك أي انتظرتك، وأما المتعدي بإلى فهو من نظر العين ومنه قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ وقال بعضهم إلى هنا ليست بحرف جر وإنما هي واحد الآلاء بمعنى النعم، وهذا تكلف في غاية البعد وتأوله الزمخشري بأن معناه كقول الناس: فلان ناظر إلى فلان إذا كان يرتجيه ويتعلق به وهذا بعيد، وقد جاء عن النبي ﷺ في النظر إلى الله أحاديث صحيحة[1] مستفيضة صريحة المعنى لا تحتمل التأويل فهي تفسير للآية.

﴿بَاسِرَةٌ﴾ أي عابسة تظهر عليها الكآبة، والبسور: أشد من العبوس.

﴿تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ أي مصيبة قاصمة الظهر والظن هنا يحتمل أن يكون على أصله أو بمعنى اليقين.

﴿إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ﴾ يعني حالة الموت والتراقي جمع ترقوة وهي عظام

(١) تقدم تخريجها.

أعلى الصدر والفاعل ببلغت نفس الإنسان دل على ذلك سياق الكلام وهو عبارة عن حال الحشرجة وسياق الموت.

﴿وَقِيلَ مَن رَّاقٍ﴾ أي قال أهل المريض من يرقيه عسى أن يشفيه، وقيل: معناه أن الملائكة تقول من يرقى بروحه أي يصعد بها إلى السماء، فالأول من الرقية وهو أشهر وأظهر، والثاني من الرقي وهو العلو.

﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ﴾ أي تيقن المريض أن ذلك الحال فراق الدنيا وفراق أهله وماله.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ هذا عبارة عن شدة كرب الموت وسكراته، أي التفت ساقه على الأخرى عند السياق، وقيل: هو مجاز كقوله: كشفت الحرب عن ساقها إذا اشتدت، وقيل: معناه ماتت ساقه فلا تحمله، وقيل: التفت أي لفها الكافر إذا كفر وفي قوله: ﴿ٱلسَّاقُ﴾ و﴿ٱلْمَسَاقُ﴾ ضرب من ضروب التجنيس.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ هذا جواب إذا بلغت التراقي، والمساق مصدر من السوق كقوله: ﴿إِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ لا هنا نافية، وصدق هنا يحتمل أن يكون من التصديق بالله ورسله، أو من الصدقة، ونزلت هذه الآية وما بعدها في أبي جهل.

﴿يَتَمَطَّىٰ﴾ أي يتبختر في مشيته وذلك عبارة عن التكبر والخيلاء، وكانت هذه المشية معروفة في بني مخزوم الذين كان أبو جهل منهم.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ﴾ وعيد وتهديد. ﴿فَأَوْلَىٰ﴾ وعيد ثان، ثم كرر ذلك تأكيدا، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ لبب أبا جهل وقال له: إن الله يقول لك: أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى، فنزل القرآن بموافقة ذلك.

(١) المحرر الوجيز: ٣٧٩/٥.

﴿أَيَحْسِبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ هذا توبيخ ومعناه أيظن أن يترك من غير بعث ولا حساب ولا جزاء فهو كقوله أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا والإنسان هنا جنس وقيل نزلت في أبي جهل ولا يبعد أن يكون سببها خاصا ومعناها عام.

﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ تُمْنَىٰ﴾ النطفة النقطة وتمنى من قولك أمنى الرجل. ومعنى الآية الاستدلال بخلقة الإنسان على بعثه كقوله: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ والعلقة الدم لأن المني يصير في الرحم دما.

﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ أي خلقه بشرا فسوى صورته أي أتقنها.

﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ هذا تقرير واحتجاج، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ آخر هذه السورة قال: بلى وفي رواية: «سبحانك اللهم بلى».

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٨٤/٢٤ بصيغة تمريض، وهي: ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلَى.

سورة الإنسان

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ هل هنا بمعنى التقرير لا لمجرد الاستفهام، وقيل: هل بمعنى قل، والإنسان هنا جنس، والحين الذي أتى عليه حين كان معدوما قبل أن يخلق، وقيل: الإنسان هنا آدم، والحين الذي أتى عليه حين كان طينا قبل أن ينفخ فيه الروح، وهذا ضعيف لوجهين:

أحدهما قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ وهو هنا جنس باتفاق إذ لا يصح هنا في آدم.

والآخر: أن مقصد الآية تحقير الإنسان.

﴿مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أي أخلاط واحدها مشج بفتح الميم والشين، وقيل: مشج بوزن عدل، وقال الزمخشري: ليس أمشاج بجمع وإنما هو مفرد كقولهم: برمة أعشار، ولذلك أوقع صفة للمفرد، واختلف في معنى الأخلاط هنا، فقيل: اختلاط الدم والبلغم والصفراء والسوداء، وقيل: اختلاط ماء الرجل والمرأة، وروي: أن عظام الإنسان وعصبه من ماء الرجل، وأن لحمه وشحمه من ماء المرأة، وقيل: معناه ألوان وأطوار، أي يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة. ﴿نَّبْتَلِيهِ﴾ أي نختبره، وهذه الجملة في موضع الحال، أي خلقناه مبتلين له، وقيل: معناه نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة. ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ هذا معطوف على خلقنا الإنسان، ومن جعل نبتليه بمعنى نصرفه في بطن أمه فهذا عطف عليه، وقيل: أن نبتليه مؤخر في المعنى، أي جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه، وهذا تكلف بعيد.

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ أي سبيل الخير والشر، ولذلك قسم الإنسان إلى قسمين: شاكرا، أو كفورا، وهما حالان من الضمير في هديناه، والهدى هنا بمعنى

بيان الطريقين وموهبة العقل الذي يميز به بينهما، ويحتمل أن يكون بمعنى الإرشاد، أي هدى المؤمن للإيمان والكافر للكفر ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾.

﴿سَلَاسِلَاْ﴾ من قرأه بغير تنوين فهو الأصل إذ هو لا ينصرف؛ لأنه جمع لا نظير له في الآحاد، ومن قرأه بالتنوين[1] فله ثلاث توجيهات:

أحدها: أنها لغة لبعض العرب يصرفون كل ما لا ينصرف إلا أفعل.

والآخر: أن النون بدل من حرف الإطلاق وأجرى الوصل مجرى الوقف.

والثالث: أن يكون صاحب هذه القراءة راوية للشعر قد عود لسانه صرف مالا ينصرف فجرى على ذلك[2].

﴿الْأَبْرَارَ﴾ جمع بار أو بر ومعناه العاملون بالبر وهو غاية التقوى والعمل الصالح حتى قال بعضهم: الأبرار هم الذين لا يؤذون الذر. ﴿مِن كَأْسٍ﴾ ذكر في الصافات معنى الكاس ومن هنا يحتمل أن تكون للتبعيض أو الابتداء الغاية ﴿مِزَاجُهَا كَافُوراً﴾ أي تمزج الخمر بالكافور، وقيل: المعنى أنه كافور في طيب رائحته، كما تمدح طعاما فتقول: هذا مسك.

﴿عَيْناً﴾ بدل من كافورا على القول بأن الخمر تمزج بالكافور، أو بدل من موضع ﴿مِن كَأْسٍ﴾ على القول الآخر كأنه قال: يشربون خمرا خمر عين، وقيل: هو مفعول يشربون، وقيل: منصوب بإضمار فعل ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ قال ابن عطية: الباء زائدة والمعنى يشربها وهذا ضعيف؛ لأن الباء إنما تزاد في مواضع ليس هذا منها، وإنما هي كقولك: شربت الماء بالعسل لأن العين المذكورة تمزج بها الكأس من الخمر. ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ وصفهم بالعبودية وفيه معنى التشريف والاختصاص كقوله:

---

(١) قرأ المدنيان والكسائي وأبو بكر بالتنوين ووقفوا عليه بألف. النشر: ٢/٤٣٦.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٣٨١.

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا
كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا
وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا
﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ
الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾
مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً
عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ
وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾
وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ
سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ • وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ
لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾
عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ
شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا
﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا
تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾

ربع

﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾. ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ أي يفجرونها حيث شاؤوا من منازلهم تفجيرا سهلا لا يصعب عليهم وفي الأثر: أن في قصر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة عينا تفجر إلى قصور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنين.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ أي منتشرا شائعا، ومنه: استطار الفجر إذا انشق ضوؤه. ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ﴾ نزلت هذه الآية وما بعدها في علي بن أبي طالب[1] وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فإنهم كانوا صائمين فلما وضعوا فطورهم ليأكلوه جاء مسكين فرفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطورهم جاء يتيم فدفعوه له وباتوا طاوين وأصبحوا صائمين، فلما وضعوا فطرهم جاء أسير فدفعوه له وباتوا طاوين، والآية على هذا مدنية لأن عليا إنما تزوج فاطمة بالمدينة، وقيل: إنما هي مكية وليست في علي.

﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ الضمير للطعام أي يطعمونه مع حبه والحاجة إليه فهو كقوله: ﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ ففي قوله: ﴿عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ تتميم وهو من أدوات البيان وقيل: الضمير لله، وقيل: للإطعام المفهوم من يطعمون، والأول أرجح وأظهر. ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ قد ذكرنا المسكين واليتيم، وأما الأسير ففيه خمسة أقوال:

---

(١) لم أجده مسندا وانظر أسباب النزول للواحدي، ص: ٣٣٦.

أحدها: أن الأسير الكافر بين المسلمين ففي إطعامه أجر؛ لأنه في كل ذي كبد رطبة أجر، وقيل: نسخ ذلك بالسيف.

والآخر: أنه الأسير المسلم إذا خرج من دار الحرب لطلب الفدية.

والثالث: أنه المملوك.

الرابع: أنه المسجون.

الخامس: أنه المرأة لقوله ﷺ: «استوصوا بالنساء خيرا لأنهن عوان عندكم»[1] وهذا بعيد، والأول أرجح؛ لأنه روي: أن النبي ﷺ كان يؤتى بالأسير المشرك فيدفعه إلى بعض المسلمين ويقول له أحسن إليه[2].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ عبارة عن الإخلاص لله ولذلك فسروه وأكدوه بقولهم: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ والشكور مصدر كالشكر، ويحتمل أنهم قالوا هذا الكلام بألسنتهم أو قالوه في نفوسهم فهو عبارة عن النية والقصد.

﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وصف اليوم بالعبوس مجاز على وجهين:

أحدهما: أن يوصف اليوم بصفة أهله، كقولهم: نهاره صائم وليله قائم.

وروي: أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل الدم من عينيه مثل القطران.

والآخر: يشبه في شدته بالأسد العبوس.

---

(١) صحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَإِذَا شَهِدَ أَمْرًا فَلْيَتَكَلَّمْ بِخَيْرٍ أَوْ لِيَسْكُتْ، وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا». مسلم الحديث رقم: (٣٧٢٠)، وفي الترمذي «فإنما هن عوان عندكم» الحديث رقم: (٣٠٨٧)، والنسائي الحديث رقم: (٩١٦٩).

(٢) لم أجده مسندا ويورده بعض كتب التفسير بدون ذكر سند الكشاف: ٤/٦٦٩، والألوسي: ٢٩/١٥٥.

﴿قَمْطَرِيراً﴾ قال ابن عباس[1]: معناه طويل، وقيل: شديد.

﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾ النضرة التنعم وهذا في مقابلة عبوس الكافر، وقوله: ﴿وَقَىٰهُمْ﴾، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ من أدوات البيان.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ أي بصبرهم على الجوع وإيثار غيرهم على أنفسهم حسبما ذكرنا[2] من قصة علي وفاطمة والحسن والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وقد ذكرنا الأرائك.

﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾ عبارة عن اعتدال هوائها، أي ليس فيها حر ولا برد والزمهرير هو البرد الشديد، وقيل: هو القمر بلغة طيئ، والمعنى على هذا: أن للجنة ضياء فلا يحتاج فيها إلى شمس ولا قمر.

﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾ معناه أن ظلال الأشجار متدلية عليهم قريبة منهم وإعراب دانية معطوف على متكئين، وقال الزمخشري: هو معطوف على الجملة التي قبلها وهي: ﴿لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً﴾؛ لأن هذه الجملة في حكم المفرد تقديره: غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية، ودخلت الواو للدلالة على أن الأمرين يجتمعان لهم أي جامعين بين البعد عن الحر والبرد وبين دنو الظلال، وقيل: هو صفة لجنة عطف بالواو كقولك: فلان عالم وصالح، وقيل: هو معطوف عليها أي وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها. ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً﴾ القطوف جمع قطف وهو العنقود من النخل والعنب وشبه ذلك، وتذليلها هو أن تتدلى إلى الأرض، وروي: أن أهل الجنة يقطعون الفواكه على أي حال كانوا من قيام أو جلوس أو اضطجاع؛ لأنها تتدلى لهم كما يريدون، وهذه الجملة في موضع الحال من دانية أي دانية في حال تذليل قطوفها أو معطوفة عليها.

﴿بِـَٔانِيَةٍ﴾ هي جمع إناء ووزنها أفعلة وقد ذكرنا الأكواب في الواقعة.

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٩١.

(٢) سبق.

﴿قَوَارِيرَا۟﴾ القوارير هي الزجاج فإن قيل: كيف يتفق أنها زجاج مع قوله: ﴿مِن فِضَّةٍ﴾؟ فالجواب: أن المراد أنها في أصلها من فضة وهي تشبه الزجاج في صفائها وشفيفها، وقيل: هي من زجاج وجعلها من فضة على وجه التشبيه لشرف الفضة وبياضها، ومن قرأ بغير تنوين فهو على الأصل[1] ومن نونه فعلى ما ذكرنا في سلاسل.

﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ هذه صفة للقوارير والمعنى قدروها على قدر الأكف أو على قدر ما يحتاجون من الشراب، قال مجاهد هي لا تغيض ولا تفيض، وقيل قدروها على حسب ما يشتهون والضمير الفاعل في قدروها يحتمل أن يكون للشاربين بها أو للطائفتين بها.

﴿مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ هو كما ذكرنا في مزاجها كافورا.

﴿سَلْسَبِيلًا﴾ معناه أنه سلسل منقاد لجريه، وقيل: سهل الانحدار في الحلق، يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل بمعنى واحد وزيدت الباء في التركيب للمبالغة في سلاسته فصارت الكلمة خماسية، وقيل: سل فعل أمر سبيلا مفعول به، وهذا في غاية الضعف.

﴿وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ ذكر في الواقعة. ﴿لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ شبههم باللؤلؤ في الحسن والبياض وبالمنثور منه في كثرتهم وانتشارهم في القصور.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ مفعول رأيت محذوف ليكون الكلام على الإطلاق في كل ما يرى فيها، وثم ظرف مكان، وقال الفراء: تقديره إذا رأيت ما ثم فما مفعولة ثم

---

(١) نافع وأبو جعفر والكسائي وأبو بكر ﴿قواريرا قواريرا﴾ بتنوينهما، ووقفوا عليهما بالألف، وابن كثير وخلف في اختياره في الأول بالتنوين، ووقفا عليه بالألف. والثاني بغير تنوين ووقفا عليه بغير ألف. والباقون بغير تنوين فيهما، ووقف حمزة ورويس عليهما بغير ألف، ووقف هشام عليهما بالألف صلة للفتحة، ووقف الباقون وهم أبو عمرو وحفص وابن ذكوان وروح على الأول بالألف وعلى الثاني بغير ألف، فحصل من ذلك أن من لم ينونهما وقف على الأول بالألف إلا حمزة ورويسا وعلى الثاني بغير ألف إلا هشاما. تحبير التيسير، ص: ٥٩٩.

حذفت، قال الزمخشري: وهذا خطأ؛ لأن ثم صلة لما ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة. ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ يعني كثرة ما أعطاهم الله حتى إن أدنى أهل الجنة منزلة له مثل الدنيا وعشرة أمثاله معه حسبما ورد في الحديث[1]، وقيل أراد أن الملائكة تسلم عليهم وتستأذن عليهم فهم بذلك كالملوك.

﴿عَالِيهِمْ﴾ بسكون الياء مبتدأ خبره. ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ أي ما يعلوهم من الثياب ثياب سندس، وقرئ[2] بالنصب على الحال من الضمير في يطوف عليهم أو في حسبتهم وقال ابن عطية: العامل فيه لقاهم أو جزاهم، وقال أيضًا: يجوز أن ينتصب على الظرف لأن معناه فوقاهم وقد ذكرنا معنى السندس والإستبرق وقرئ ﴿خُضْرٌ﴾ بالخفض[3] صفة لسندس وبالرفع صفة لثياب. ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع[4] عطف على ثياب وبالخفض عطف على سندس. ﴿وَحُلُّوا﴾ وزنه فعلوا معناه جعل لهم حلى. ﴿أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ ذكرنا الأساور في الكهف فإن قيل كيف قال هنا أساور من فضة وفي موضع آخر أساور من ذهب فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف درجات أهل الجنة قال رسول الله ﷺ[5]: «جنتان من ذهب آنيتهما

---

(١) في الصحيح.. إن آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج حبوا، فيقول له ربه: ادخل الجنة فيقول: رب الجنة ملأى، فيقول له ذلك ثلاث مرات، فكل ذلك يعيد عليه: الجنة ملأى، فيقول: إن لك مثل الدنيا عشر مرار. البخاري الحديث رقم: (٧٠٧٣)، ومسلم الحديث رقم: (٤٧٩)، ولفظه: «فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ قَالَ ـ فَيَقُولُ أَتَسْخَرُ بِي ـ أَوْ أَتَضْحَكُ بِي ـ وَأَنْتَ الْمَلِكُ» قَالَ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. قَالَ فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً».

(٢) ﴿عاليهم﴾ قرأ المدنيان وحمزة بإسكان الياء وكسر الهاء وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الهاء. النشر: ٢/٤٣٧.

(٣) ﴿خضر﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف وأبو بكر بالخفض، وقرأ الباقون بالرفع. النشر المصدر السابق.

(٤) ﴿وإستبرق﴾ قرأ ابن كثير ونافع وعاصم بالرفع وقرأ الباقون بالخفض. النشر المصدر السابق.

(٥) تقدم تخريجه.

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرْسَلَاتِ (ترتيبها ٧٧) (آياتها ٥٠)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

ثمن

وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما» فلعل الذهب للمقربين والفضة لأهل اليمين، ويحتمل أن يكون أهل الجنة لهم أساور من فضة ومن ذهب معا. ﴿شَرَاباً طَهُوراً﴾ أي ليس بنجس كخمر الدنيا، وقيل: معناه أنه لم تعصره الأقدام، وقيل: معناه لا يصير بولا.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ أي يقال لهم هذا يقوله الله تعالى والملائكة.

﴿ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً﴾ أو هنا للتنويع فالمعنى لا تطع النوعين فاعلا للإثم ولا كفورا، وقيل: هي بمعنى الواو أي جامعا للوصفين لأن هذه هي حالة الكفار، وروي: أن الآية نزلت في أبي جهل، وقيل: إن الآثم عتبة بن ربيعة، والكفور الوليد بن المغيرة، والأحسن أنها على العموم لأن لفظها عام وإن كان سبب نزولها خاصا.

﴿بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ هذا أمر بذكر الله في كل وقت، وقيل: إشارة إلى الصلوات الخمس، فالبكرة صلاة الصبح، والأصيل الظهر والعصر، ومن الليل المغرب والعشاء.

﴿إِنَّ هَٰؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي الدنيا والإشارة إلى الكفار، واليوم الثقيل يوم القيامة، ووصفه بالثقل عبارة عن هوله وشدته.

﴿وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ الأسر الخلقة، وقيل: المفاصل والأوصال، وقيل: القوة.

﴿بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلاً﴾ أي أهلكناهم وأبدلنا منهم غيرهم، وقيل: مسخناهم فبدلنا صورهم، وهذا تهديد.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ الإشارة إلى الآية أو السورة أو الشريعة بجملتها. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ تحضيض وترغيب، ثم قيد مشيئتهم بمشيئة الله.

﴿وَالظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بفعل مضمر، تقديره: ويعذب الظالمين.

*** *** ***

سورة المرسلات

اختلف في معنى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات على قولين:

أحدهما: أنها الملائكة.

والآخر: أنها الرياح.

فعلى القول بأنها الملائكة سماهم المرسلات لأن الله تعالى يرسلهم بالوحي وغيره، وسماهم العاصفات لأنهم يعصفون كما تعصف الرياح في سرعة مضيهم إلى امتثال أوامر الله تعالى، وسماهم ناشرات لأنهم ينشرون أجنحتهم في الجو وينشرون الشرائع في الأرض، أو ينشرون صحائف الأعمال، وسماهم الفارقات لأنهم يفرقون بين الحق والباطل، وعلى القول بأنها الرياح سماها المرسلات لقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَاحَ﴾ وسماها العاصفات من قوله: ﴿رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ أي شديدة، وسماها الناشرات لأنها تنشر السحاب في الجو ومنه قوله: ﴿يُرۡسِلُ ٱلرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ وسماها الفارقات؛ لأنها تفرق بين السحاب، ومنه قوله: ﴿وَيَجۡعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ وأما الملقيات ذكرا، فهم الملائكة لأنهم يلقون الذكر للأنبياء عليهم السلام، والأظهر في المرسلات والعاصفات أنها الرياح؛ لأن وصف الريح بالعصف حقيقة، والأظهر في الناشرات والفارقات أنها الملائكة لأن الوصف بالفارقات أليق بهم من الرياح، ولأن الملقيات المذكورة بعدها هي الملائكة ولم يقل أحد أنها الرياح، ولذلك عطف المتجانسين بالفاء فقال: والمرسلات فالعاصفات ثم عطف ما ليس من جنسها بالواو فقال: والناشرات ثم عطف عليه المتجانسين بالفاء، وقد قيل في المرسلات والملقيات أنهم الأنبياء عليهم السلام. ﴿عُرۡفًا﴾ معناه فضلا وإنعاما، وانتصابه على أنه مفعول من أجله، وقيل: معناه متتابعة، وهو مصدر في موضع الحال، وأما عصفا ونشرا وفرقا فمصادر، وأما ذكرا فمفعول به.

﴿عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا﴾ العذر فسره ابن عطية وغيره بمعنى إعذار الله إلى عباده

لئلا تبقى لهم حجة أو عذر، وفسره الزمخشري بمعنى الاعتذار، يقال عذر: إذا محا الإساءة، وأما نذرا فمن الإنذار وهو التخويف وقرئ(١) بضم الذال في الموضعين وبإسكانها، ويحتمل أن يكونا مصدرين فيكون نصبهما على البدل من ذكرا أو مفعولا بـ (ذكرا)، ويحتمل أن يكون عذرا جمع عذير أو عاذر ونذرا جمع نذير فيكون نصبهما على الحال.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ يعني البعث والجزاء وهو جواب القسم.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ أي زال ضوؤها، وقيل: محيت. ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي انشقت. ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أي صارت غبارا.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ أي جعل لها وقت معلوم فحان ذلك الوقت وجمعت للشهادة على الأمم يوم القيامة، وقرئ(٢) وقتت بالواو وهو الأصل والهمزة بدل من الواو.

﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ هو من الأجل كما أن التوقيت من الوقت، وفيه توقيف يراد به تعظيم لذلك اليوم، ثم بينه بقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي يفصل فيه بين العباد ثم عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكراره في هذه السورة قيل: إنه تأكيد، وقيل: بل في كل آية ما يقتضي التصديق، فجاء ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ راجعا إلى ما قبله في كل موضع منها.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ يعني الكفار المتقدمين كقوم نوح وغيرهم ﴿ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ﴾ يعني قريشا وغيرهم من الكفار بمحمد ﷺ، وهذا وعيد لهم ظهر مصداقه يوم بدر وغيره.

---

(١) قال الداني: قرأ الحرميان وابن عامر وأبو بكر ﴿أو نذرا﴾ بضم الذال والباقون بإسكانها. التيسير، ص: ١٣٨.

(٢) ﴿أقتت﴾ قرأ أبو عمرو وابن وردان بواو مضمومة مبدلة من الهمزة. النشر: ٢/٤٣٧.

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أي مثل هذا الفعل نفعل بكل مجرم يعني الكفار.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ يعني المني والمهين الضعيف.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ يعني رحم المرأة وبطنها.

﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ يعني وقت الولادة وهو معلوم عند تسعة أشهر، أو أقل منها أو أكثر.

﴿فَقَدَّرْنَا﴾ بالتشديد[1] من التقدير وبالتخفيف من القدرة فإذا كان من القدرة اتفق مع قوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ وإذا كان من التقدير فهو تجنيس.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا﴾ الكفات من كفت إذا ضم وجمع فالمعنى: أن الأرض تكفت الأحياء على ظهرها والموتى في بطنها، وانتصب أحياء وأمواتا على أنه مفعول بكفاتا؛ لأن الكفات اسم لما يضم ويجمع فكأنه قال: جامعة أحياء وأمواتا، ويجوز أن يكون المعنى تكفتهم أحياء وأمواتا فيكون نصبهما على الحال من الضمير، وإنما نكر أحياء وأمواتا للتفخيم ودلالة على كثرتهم.

﴿رَوَٰسِيَ﴾ يعني الجبال. ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ أي مرتفعات. ﴿مَّآءً فُرَاتًا﴾ أي حلوا.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ﴾ خطاب للمكذبين وقرأ يعقوب بفتح اللام[2] على أنه فعل ماض

---

(١) ﴿فقدرنا﴾ قرأ المدنيان والكسائي بتشديد الدال وغيرهم بتخفيفها. التيسر، ص: ٣٥٧، والبدور الزاهرة، ص: ١٣٨.

(٢) قال في النشر: ٤٣٧/٢ فروى رويس ﴿انطلقوا﴾ بفتح اللام وقرأ الباقون بكسرها.

ثم كرره لبيان المنطلق إليه.

﴿إِلَىٰ ظِلٍّ﴾ يعني دخان جهنم، ومنه: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ﴾. ﴿ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أي يتفرع من الدخان ثلاث شعب فتظلهم بينما يكون المؤمنون في ظلال العرش، وقيل: إن هذه الآية في عبدة الصليب لأنهم على ثلاث شعب، فيقال لهم انطلقوا إليه.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾ نفى عنه أن يظلهم كما يظل العرش المؤمنين، ونفى أيضا أن يمنع عنهم اللهب.

﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ الضمير في إنها لجهنم، والقصر واحد القصور وهي الديار العظام شبه الشرر به في عظمته وارتفاعه في الهواء، وقيل: هو الغليظ من الشجر واحده قصرة كجمرة وجمر.

﴿كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ في الجمالات قولان:

أحدهما: أنها جمع جمال شبه بها الشرر، وصفر على ظاهره لأن لون النار يضرب إلى الصفرة، وقيل: صفر هنا بمعنى سود يقال جمل أصفر أي أسود وهذا أليق بوصف جهنم.

الثاني: أن الجمالات قطع النحاس الكبار فكأنه مشتق من الجملة وقرئ جمالات[1] بضم الجيم وهي قلوس السفن وهي حبالها العظام.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ هذا في مواطن، وقد يتكلمون في مواطن أخر لقوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا﴾.

---

(١) قال في النشر: واختلفوا في ﴿جمالة صفر﴾ فقرأ حمزة والكسائي وخلف وحفص ﴿جمالة﴾ بغير ألف بعد اللام على التوحيد، وقرأ الباقون بالألف على الجمع. واختلفوا في الجيم منها فروى رويس بضم الجيم وقرأ الباقون بكسرها. المصدر السابق.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ تعجيز لهم وتعريض بكيدهم في الدنيا وتقريع عليه.

﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ﴾ يقال لهم ذلك في الجنة بلسان الحال، أو بلسان المقال. ﴿هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ نصب هنيئا على الحال، أو على الدعاء.

﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ﴾ خطاب للكفار على وجه التهديد، تقديره: قل لهم كلوا وتمتعوا قليلا في الدنيا.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾ هذا إخبار عن حال الكفار في الدنيا وذكر الركوع عبارة عن الصلاة، وقيل: معنى اركعوا اخشعوا وتواضعوا، وقيل: هو إخبار عن حال المنافقين يوم القيامة؛ لأنهم إذا قيل لهم اركعوا لا يقدرون على الركوع. كقوله: ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ والأول أشهر وأظهر.

﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير للقرآن.

❁❁ ❁❁ ❁❁



سُورَةُ النَّبَإِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِّلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَّابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)

سورة النبإ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أصل عم عن ما ثم أدغمت النون في الميم وحذفت ألف ما لأنها استفهامية تقديرها: عن أي شيء يتساءلون؟ وليس المراد بها هنا مجرد الاستفهام، وإنما المراد تفخيم الأمر، والضمير في يتساءلون لكفار قريش، أو لجميع الناس، ومعناه يسأل بعضهم بعضا.

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ هو ما جاءت به الشريعة، من التوحيد والبعث والجزاء وغير ذلك، ويتعلق عن النبإ بفعل محذوف يفسره الظاهر تقديره: يتساءلون عن النبإ، ووقعت هذه الجملة جوابا عن الاستفهام وبيانا للمسؤول عنه، كأنه لما قال عم يتساءلون؟ أجاب فقال: يتساءلون عن النبإ العظيم، وقيل: يتعلق عن النبإ بيتساءلون الظاهر، والمعنى على هذا: لأى شيء يتساءلون عن النبإ العظيم؟ والأول أفصح وأبرع، وينبغي على ذلك أن يوقف على قوله عم يتساءلون.

﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ إن كان الضمير في يتساءلون لكفار قريش فاختلافهم أن منهم من يقطع بالتكذيب ومنهم من يشك، أو يكون اختلافهم قول بعضهم: سحر، وقول بعضهم: شعر وكهانة، وغير ذلك، وإن كان الضمير لجميع الناس فاختلافهم أن منهم المؤمن والكافر.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ ردع وتهديد، ثم كرره للتأكيد.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا﴾ أي فراشا، وإنما ذكر الله تعالى هنا هذه المخلوقات على جهة التوقيف ليقيم الحجة على الكفار فيما أنكروه من البعث، كأنه يقول: إن الإله الذي قدر على خلقة هذه المخلوقات العظام قادر على إحياء الناس بعد موتهم، ويحتمل أنه ذكرها حجة على التوحيد؛ لأن الذي خلق هذه المخلوقات هو الإله وحده لا شريك له.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ شبهها بالأوتاد لأنها تمسك الأرض أن تميد.

﴿وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي مزدوجين ذكرا وأنثى، وقيل: معناه أنواعا في ألوانكم وصوركم وألسنتكم.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة لكم، وقيل: معناه قطعا للأعمال والتصرف، والسبت القطع، وقيل: معناه موتا؛ لأن النوم هو الموت الأصغر، ومنه قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ شبهه بالثياب التي تلبس لأنه ستر عن العيون.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي تطلب فيه المعيشة فهو على حذف مضاف تقديره: ذا معاش، وقال الزمخشري[1]: معناه يعاش فيه، فجعله بمعنى الحياة في مقابلة السبات الذي بمعنى الموت.

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾ يعني السموات. ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني الشمس، والوهاج الوقاد الشديد الإضاءة، وقيل: الحار الذي يضطرم من شدة لهبه.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَاتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ يعني المطر، والمعصرات هي السحاب وهو مأخوذ من العصر؛ لأن السحاب ينعصر فينزل منه الماء، أو من العصرة بمعنى

(١) الكشاف: ٤/٦٨٦.

الإغاثة، ومنه: ﴿وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ﴾ وقيل: هي السموات، وقيل: الرياح، والثجاج: السريع الاندفاع.

﴿لِّنُخۡرِجَ بِهِۦ حَبّٗا وَنَبَاتٗا﴾ الحب هو القمح والشعير وسائر الحبوب، والنبات هو العشب.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا﴾ أي ملتفة وهو جمع لف بضم اللام، وقيل: بالكسر، وقيل: لا واحد له.

﴿كَانَ مِيقَٰتٗا﴾ أي في وقت معلوم.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعني نفخة القيام من القبور. ﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا﴾ أي جماعات.

﴿فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ أي تنفتح فتكون فيها شقاق كالأبواب.

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ﴾ أي حملت. ﴿فَكَانَتۡ سَرَابًا﴾ عبارة عن تلاشيها وفنائها، والسراب في اللغة ما يظهر على البعد أنه ماء، وليس ذلك المراد هنا، وإنما هو تشبيه في أنه لا شيء.

﴿مِرۡصَادٗا﴾ أي موضع الرصد، والرصد: هو الارتقاب والانتظار أي تنتظر الكفار ليدخلوها، وقيل: معناه طريقا للمؤمنين يمرون عليه إلى الجنة؛ لأن الصراط منصوب على جهنم.

﴿مَـَٔابٗا﴾ أي مرجعا. ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا﴾ جمع حقبة أو حقب وهي المدة الطويلة من الدهر غير محدودة، وقيل: إنها محدودة ثم اختلف في مقدارها، فروي[1] عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها ثمانون ألف سنة، وقال ابن عباس:[2]: ثلاثون

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٣٩٥، والسيوطي في الدر المنثور: ٨/٣٩٥ بسند ضعيف.

(٢) لم أجده.

سنة، وقيل: ثلاثمائة سنة وعلى القول بالتحديد، فالمعنى: أنهم يبقون فيها أحقابا كلما انقضى حقب جاء آخر إلى غير نهاية، وقيل: إنه كان يقتضي أن مدة العذاب تنقضي ثم نسخ بقوله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ وهذا خطأ؛ لأن الأخبار لا تنسخ، وقيل: هي في عصاة المؤمنين الذي يخرجون من النار وهذا خطأ؛ لأنها في الكفار لقوله: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، وقيل: معناها أنهم يبقون أحقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا ثم يبدل لهم نوع آخر من العذاب.

﴿لاَّ يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْداً وَلاَ شَرَاباً﴾ أي لا يذوقون برودة تخفف عنهم حر النار، وقيل: لا يذوقون ماء باردا، وقيل: البرد هنا النوم، والأول أظهر.

﴿إِلاَّ حَمِيماً وَغَسَّاقاً﴾ استثناء من الشراب وهو متصل، والحميم الماء الحار والغساق صديد أهل النار، وقد ذكر في سورة داود.

﴿جَزَآءً وِفَاقاً﴾ أي موافقا أعمالهم لأن أعمالهم كفر وجزاؤهم النار، ووفاقا مصدر وصف به أو هو على حذف مضاف تقديره: ذو وفاق.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لاَ يَرْجُونَ حِسَاباً﴾ هذا مثل لا يرجون لقاءنا وقد ذكر.

﴿كِذَّاباً﴾ بالتشديد مصدر بمعنى تكذيب، وبالتخفيف بمعنى الكذب، أو المكاذبة وهي تكذيب بعضهم لبعض.

﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «ما نزل في أهل النار أشد من هذه الآية».

---

(١) لم أجده مرفوعا، وعن الحسن بن دينار قال: سالت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار؟ فقال: قول الله: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٩٥/١٠، وأخرج الطبري عن عبد الله بن عمرو، قال: لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: ﴿فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً﴾ قال: فهم في مزيد من العذاب أبدا. جامع البيان: ١٦٩/٢٤.

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَآئِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٣٦) رَّبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّآ أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠)

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥)

﴿مَفَازاً﴾ أي موضع فوز يعني الجنة. ﴿حَدَآئِقَ﴾ أي بساتين.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾ جمع كاعب وهي الجارية التي خرج ثديها. ﴿أَتْرَاباً﴾ أي على سن واحد.

﴿وَكَأْساً دِهَاقاً﴾ أي ملأى، وقيل: صافية، والأول أشهر.

﴿عَطَآءً حِسَاباً﴾ أي كافيا من أحسب الشيء إذا كفاه، وقيل: معناه على حسب أعمالهم.

﴿رَّبِّ السَّمَوَاتِ﴾ بالرفع[1] مبتدأ أو خبر ابتداء مضمر، وبالخفض صفة لربك والرحمن بالخفض[2] صفة، وبالرفع خبر المبتدإ أو خبر ابتداء مضمر. ﴿لاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً﴾ قال ابن عطية الضمير للكفار أي لا يملكون أن يخاطبوه بمعذرة ولا غيرها، وقيل المعنى لا يقدرون أن يخاطبهم كقوله: ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ﴾ وقال الزمخشري[3]: الضمير لجميع الخلق أي ليس بأيديهم شيء من خطاب الله.

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ قيل: هو جبريل، وقيل: ملك عظيم يكون هو وحده صفا والملائكة صفا، وقيل: يعني أرواح بني آدم فهو اسم جنس، و﴿يَوْمَ﴾ يتعلق بـ ﴿لاَ يَمْلِكُونَ﴾ أو ﴿لاَ يَتَكَلَّمُونَ﴾. ﴿لاَّ يَتَكَلَّمُونَ﴾ الضمير للملائكة والروح

(١) ﴿رب السموات﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب والكوفيون بخفض الباء وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٤٣٨.

(٢) ﴿الرحمن﴾ قرأ ابن عامر ويعقوب وعاصم بخفض النون وقرأ الباقون برفعها. النشر المصدر السابق.

(٣) الكشاف: ٤/٦٩٠.

أي تمنعهم الملائكة من الكلام إلا من بعد أن يأذن الله لهم، وقول الصواب يكون في ذلك الموطن على هذا، وقيل: الضمير للناس خاصة والصواب المشار إليه، قول: لا إله إلا الله، أي من قالها في الدنيا.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ أي الحق وجوده ووقوعه. ﴿فَمَن شَآءَ﴾ تخصيص وترغيب.

﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني عذاب الآخرة ووصفه بالقرب لأن كل آت قريب، أو لأن الدنيا على آخرها ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ المرء هنا عموم في المؤمن والكافر، وقيل: هو المؤمن، وقيل: هو الكافر، والعموم أحسن؛ لأن كل أحد يرى ما عمل لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ الآية. ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًا﴾ تمنى أن يكون يوم القيامة ترابا فلا يحاسب ولا يجازى، وقيل: تمنى أن يكون في الدنيا ترابا أي لم يخلق، وروي أن البهائم تحشر ليقتص لبعضهم من بعض ثم ترد ترابا فيتمنى الكافر أن يكون ترابا مثلها وهذا يقوي الأول، وقيل: الكافر هنا إبليس يتمنى أن يكون خلق من تراب مثل آدم وذريته، لما رأى ثوابهم وقد كان احتقر التراب في قوله: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾.

❊❊ ❊❊ ❊❊

سورة النازعات

اختلف في معنى النازعات والناشطات والسابقات والسابحات والمدبرات، فقيل: إنها الملائكة، وقيل: النجوم، فعلى القول بأنها الملائكة سماهم نازعات لأنهم ينزعون نفوس بني آدم من أجسادها، وناشطات لأنهم ينشطونها أي يخرجونها، فهو من قولك: نشطت الدلو من البئر إذا أخرجتها، وسابحات لأنهم يسبحون في سيرهم أي يسرعون فيسبقون فيدبرون أمور العباد والرياح والمطر وغير ذلك حسبما يأمرهم الله، وعلى القول بأنها النجوم سماها نازعات لأنها تنزع من المشرق إلى المغرب، وناشطات لأنها تنشط من برج إلى برج، وسابحات لأنها تسبح في الفلك ومنه ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فتسبق في جريها فتدبر أمرا من علم الحساب، وقال ابن عطية: لا أعلم خلافا أن المدبرات أمرا الملائكة، وحكى الزمخشري فيها ما ذكرنا، وقد قيل: في النازعات والناشطات أنها النفوس تنزع من معنى النزع بالموت فتنشط من الأجساد، وقيل: في السابحات والسابقات أنها الخيل وأنها السفن.

﴿غَرْقًا﴾ إن قلنا إن النازعات الملائكة ففي معنى غرقا وجهان:

أحدهما: أنها من الغرق أي تغرق الكفار في جهنم.

والآخر: أنه من الإغراق في الأمر بمعنى المبالغة فيه، أي تبالغ في نزعها فتقطع الفلك كله، وإن قلنا إنها النفوس فهو أيضا من الإغراق أي تغرق في الخروج من الجسد، والإعراب ﴿غَرْقًا﴾ مصدر في موضع الحال، **(ونشطا وسبحا وسبقا)** مصادر وأمرا مفعول به وجواب القسم محذوف وهو بعث الموتى بدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة، وقيل: الجواب: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ على تقدير حذف لام التأكيد، وقيل: هو ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾

وهذا بعيد لبعده عن القسم، ولأنه إشارة إلى قصة فرعون لا لمعنى القسم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ قيل الراجفة النفخة الأولى في الصور، والرادفة النفخة الثانية لأنها تتبعها، ولذلك سماها رادفة من قولك: ردفت الشيء إذا تبعته وفي الحديث[١]: «أن بينهما أربعين عاما»، وقيل: الراجفة الموت، والرادفة: القيامة، وقيل: الراجفة الأرض من قوله: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ والرادفة: السماء لأنها تنشق يومئذ، والعامل في يوم ترجف محذوف وهو الجواب المقدر، تقديره: لتبعثن يوم ترجف الراجفة، وإن جعلنا يوم ترجف الجواب فالعامل في يوم معنى قوله: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ وقوله: ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ في موضع الحال، ويحتمل أن يكون العامل فيه ﴿تَتْبَعُهَا﴾ ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾: أي شديدة الاضطراب، والوجيف والوجيب بمعنى واحد، وارتفع قلوب بالابتداء وواجفة خبره، وقال الزمخشري[٢]: واجفة صفة والخبر: ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾.

﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ كناية عن الذل والخوف وإضافة الأبصار إلى القلوب على تجوز، والتقدير: قلوب أصحابها.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ۝ إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ هذا حكاية قول الكفار في الدنيا، ومعناه على الجملة: إنكار البعث فالهمزة في قوله: ﴿أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ﴾ للإنكار، ولذلك اتفق العلماء على قراءته بالهمزتين إلا أن منهم من سهل الثانية ومنهم من خففها، واختلفوا في ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً﴾ فمنهم من قرأه بهمزة واحدة[٣] لأنه ليس بموضع استفهام ولا إنكار، ومنهم من قرأه بهمزتين

---

(١) لم أجده مسندا.

(٢) الكشاف: ٤/٤٩٦.

(٣) قال الداني في التيسير: فإذا اختلفتا بالفتح والكسر نحو قوله ﴿أإذا كنا﴾ و﴿أإله مع الله﴾ و﴿أإن لنا﴾ وشبهه فالحرميان وأبو عمرو يسهلون الثانية، وقالون وأبو عمرو يدخلان قبلها ألفا، والباقون يحققون الهمزتين، وهشام من قراءتي على أبي الفتح يدخل بينهما ألفا.. ص: ٢٧.

تأكيدا للإنكار المتقدم، ثم اختلفوا في معنى الحافرة على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها الحالة الأولى يقال رجع فلان في حافرته إذا رجع إلى حالته الأولى، فالمعنى: أئنا لمردودون إلى الحياة بعد الموت.

والآخر: أن الحافرة الأرض بمعنى محفورة، فالمعنى: أئنا لمردودون إلى وجه الأرض بعد الدفن في القبور.

والثالث: أن الحافرة النار والعظام النخرة البالية المتعفنة وقرئ[1] ناخرة بألف وبحذف الألف وهما بمعنى واحد إلا أن حذف الألف أبلغ لأن فعل أبلغ من فاعل، وقيل معناه العظام المجوفة التي تمر بها الريح فيسمع لها نخير والعامل في إذا كنا محذوف تقديره إذا كنا عظاما نبعث، ويحتمل أن يكون العامل فيه مردودون في الحافرة، ولكن إنما يجوز ذلك على قراءة إذا كنا بهمزة واحدة على الخبر ولا يجوز على قراءته بهمزتين لأن همزة الاستفهام لا يعمل ما قبلها فيما بعدها.

﴿قَالُواْ تِلْكَ إِذاً كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ الكرة الرجعة والخاسرة منسوبة إلى الخسران كقوله: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي ذات رضى، أو معناه خاسر أصحابها، ومعنى هذا الكلام أنهم قالوا: إن كان البعث حقا فكرتنا خاسرة؛ لأنا ندخل النار.

﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ يعني النفخة في الصور للقيام من القبور وهذا من كلام الله تعالى ردا على الذين أنكروا البعث، كأنه يقول: لا تظنوا أنه صعب على الله، هو عليه يسير فإنما ينفخ نفخة واحدة في الصور فيقوم الناس من قبورهم.

﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ إذا هنا فجائية، والساهرة وجه الأرض والباء ظرفية والمعنى: إذا نفخ في الصور حصلوا بالأرض أسرع شيء.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف وتنبيه وليس المراد به مجرد الاستفهام.

---

(١) قال الداني: قرأ أبو بكر وحمزة والكسائي ﴿ناخرة﴾ بالألف، والباقون بغير ألف. التيسير، ص: ١٣٨، والسبعة لابن مجاهد، ص: ٦٧١.

إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾

ربع

سُورَةُ عَبَسَ

ترتيبها ٨٠ — آياتها ٤٢

﴿طُوًى﴾ ذكر في طه. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ تفسير للنداء.

﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ﴾ أن تتطهر من الكفر والذنوب والعيوب والرذائل، وقال بعضهم: تزكى تسلم، وقيل: تقول: لا إله إلا الله، والأول أعم.

﴿الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ قلب العصا حية، وإخراج اليد بيضاء، وجعلهما واحدة؛ لأن الثانية تتبع الأولى، ويحتمل أن يريد الأولى وحدها.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ الإدبار كناية عن الإعراض عن الإيمان، ويسعى عبارة عن جده في الكفر، وفي إبطال أمر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: هو حقيقة أي قام من مجلسه يفر من مجالسة موسى، أو يهرب من العصا لما صارت ثعبانا.

﴿فَحَشَرَ﴾ أي جمع جنوده وأهل مملكته. ﴿فَنَادَىٰ﴾ أي نادى قومه وقال لهم ما قال، ويحتمل أنه ناداهم بنفسه أو أمر من يناديهم، والأول أظهر، وروي: أنه قام فيهم خطيبا فقال ما قال.

﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ النكال مصدر بمعنى التنكيل، والعامل فيه ﴿أَخَذَهُ اللَّهُ﴾ لأنه بمعناه، وقيل: العامل محذوف، و﴿الْآخِرَةِ﴾ هي دار الآخرة ﴿وَالْأُولَىٰ﴾ الدنيا فالمعنى نكال الآخرة بالنار ونكال الأولى بالغرق، وقيل: الآخرة قوله: أنا ربكم الأعلى، والأولى قوله: ما علمت لكم من إله غيري وقيل: بالعكس، فالمعنى: أخذه الله وعاقبه على كلمة الآخرة وكلمة الأولى.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ ٱلسَّمَآءُ﴾ هذا توقيف قصد به الاستدلال على البعث فإن الذي خلق السماء قادر على خلق الأجساد بعد فنائها.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ السمك غلظ السماء وهو الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها، ومعنى رفعه أنه جعله مسيرة خمسمائة عام، وقيل: السمك السقف. ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ أي أتقن خلقتها، وقيل: جعلها مستوية ليس فيها مرتفع ولا منخفض.

﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي جعله مظلما، يقال: غطش الليل إذا أظلم، وأغطشه الله ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي أظهر ضوء الشمس في وقت الضحى، وأضاف الضحى والليل إلى السماء من حيث أنهما ظاهران منها وفيها.

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا﴾ أي بسطها واستدل بها من قال إن الأرض بسيطة غير كروية، وقد ذكرنا في فصلت الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾.

﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا﴾ ومرعاها نسب الماء والمرعى إلى الأرض لأنهما يخرجان منها، فإن قيل: لم قال أخرج بغير حرف العطف؟ فالجواب: أن هذه الجملة في موضع الحال وتفسير لما قبلها قاله الزمخشري.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ أي أثبتها ونصب الجبال بفعل مضمر يدل عليه الظاهر وكذلك الأرض.

﴿مَتَاعاً لَّكُمْ﴾ تقديره فعل ذلك كله تمتيعا لكم منه. ﴿وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ لأن بني آدم والأنعام ينتفعون بما ذكر.

﴿ٱلطَّآمَّةُ﴾ هي القيامة، وقيل: النفخة الثانية، واشتقاقها من قولك: طم الأمر إذا علا وغلب.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾ أي أظهرت لكل من يرى، فهي لا تخفى على أحد.

﴿مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ ذكر في سورة الرحمن. ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي ردها عن شهواتها وأغراضها الفاسدة، قال بعض الحكماء: إذا أردت الصواب فانظر هواك وخالفه. وقال سهل التستري: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين.

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ ذكر في الأعراف. ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ أي من ذكر زمانها، فالمعنى: لست في شيء من ذكر ذلك، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[1]: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل عن الساعة كثيرا فلما نزلت هذه الآية انتهى.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ أي منتهى علمها لا يعلم متى تكون إلا هو وحده.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ أي إنما بعثت لتنذر بها وليس عليك الإخبار بوقتها، وخص الإنذار بمن يخشاها لأنه هو الذي ينفعه الإنذار.

﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أخبر أنهم إذا رأوا الساعة ظنوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا أو في القبور إلا عشية يوم أو ضحى يوم، وأضاف الضحى كذلك إلى العشية لما بينهما من الملابسة، إذ هما في يوم واحد.

*** *** ***

(١) الطبري في جامع البيان: ٢١٣/٢٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ (١) أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ (٤) أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ (١٢) فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ (١٤) بِأَيْدِى سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ (١٧) مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ (١٩) ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣) فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) ۞ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ (٤٢)

سورة عبس

سبب نزول صدر هذه السورة[١] أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان حريصا على إسلام قريش، وكان يدعو أشرافهم إلى الله تعالى ليسلموا، فيسلم بإسلامهم غيرهم، فبينما هو مع رجل من عظمائهم، قيل: هو الوليد بن المغيرة، وقيل: عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف، وقال ابن عباس[٢]: كانوا جماعة إذ أقبل عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى فقال: يا رسول الله علمني مما علمك الله وكرر ذلك، وهو لا يعلم عنه بتشاغله بالقوم فكره رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قطع الأعمى كلامه، فعبس وأعرض عنه، وذهب الرجل الذي كان مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فنزلت الآية، فكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا رأى عبد الله ابن أم مكتوم بعد ذلك يقول: «**مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويبسط له رداءه**»[٣] وقد استخلفه على المدينة مرتين[٤].

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أي عبس في وجه الأعمى وأعرض عنه، قال ابن عطية: في

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٣٩٩/١٠، والمحرر الوجيز: ٤٠٨/٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) قال ابن عطية: قال سفيان الثوري: فكان بعد ذلك إذا رأى ابن ام مكتوم بسط له رداءه، وقال أنس بن مالك رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء، واستخلفه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على المدينة مرتين. المصدر السابق.

(٤) انظر معرفة الصحابة لأبي نعيم: ٤٨٧/١١.

مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العتب لأن في ذلك بعض الإعراض، وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار، وقال غيرهما: هو إكرام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب وهذا أحسن.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ في موضع مفعول من أجله وهو منصوب بتولى أو عبس وذكر ابن أم مكتوم بلفظ الأعمى ليدل أن عماه هو الذي أوجب احتقاره، وفي هذا دليل على أن ذكر هذه العاهات جائز إذا كانت لمنفعة، أو يشتهر صاحبها بها، ومنه قول المحدثين: سليمان الأعمش، وعبد الرحمن الأعرج وغير ذلك.

﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ أيْ: أيُّ شيء يطلعك على حال هذا الأعمى؟. ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ أي يتطهر وينتفع في دينه بما يسمع منك.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ أي تتعرض للغنى رجاء أن يسلم.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ أي لا حرج عليك أن لا يتزكى هذا الغني.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ إشارة إلى عبد الله بن أم مكتوم، ومعنى يسعى يسرع في مشيه من حرصه في طلب الخير.

﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ أي يخشى الله، أو يخاف الكفار وإذايتهم له على اتباعك، وقيل: جاء وليس معه من يقوده فكان يخشى أن يقع وهذا ضعيف.

﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ أي تشتغل عنه بغيره من قولك: لهيت عن الشيء إذا تركته، وروي: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تأدب بما أدبه الله في هذه السورة فلم يعرض بعدها عن فقير ولا تعرض لغنى، وكذلك اتبعه فضلاء العلماء، فكان الفقراء في مجلس سفيان الثوري كالأمراء، وكان الأغنياء يتمنون أن يكونوا فقراء.

﴿كَلَّآ﴾ ردع عن معاودة ما وقع العتاب فيه. ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن هذا الكلام المتقدم تذكرة أو موعظة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والآخر: أن القرآن تذكرة لجميع الناس فلا ينبغي أن يؤثر فيه أحد على أحد وهذا أرجح لأنه يناسبه: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ وما بعده، وأنث الضمير في قوله: ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ على معنى القصة أو الموعظة أو السورة أو القراءة، وذكرها في قوله: ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ على معنى الوعظ، أو الذكر، والقرآن.

﴿فِي صُحُفٍ﴾ صفة لتذكرة أي ثابتة في صحف وهي الصحف المنسوخة من اللوح المحفوظ، وقيل: هي مصاحف المسلمين.

﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ إن كانت الصحف المصاحف فمعناه مرفوعة المقدار، وإن كانت صحف الملائكة فمعناه كذلك، أو مرفوعة في السماء، و﴿مُّطَهَّرَةٍ﴾ أي منزهة عن أيدي الشياطين.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ هي الملائكة، والسفرة جمع سافر وهو الكاتب؛ لأنهم يكتبون القرآن، وقيل: لأنهم سفراء بين الله وبين عبيده، وقيل: يعني القراء من الناس، والأول أرجح، وقد قال رسول الله ﷺ[1]: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة**» أي أنه يعمل مثل عملهم في كتابة القرآن وتلاوته، أو له من الأجر على القرآن مثل أجورهم.

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ﴾ دعاء عليه على ما جرت به عادة العرب من الدعاء بهذا اللفظ، ومعناه تقبيح حاله وأنه ممن يستحق أن يقال له ذلك، وقيل: معناه لعن، وهذا بعيد. ﴿مَا أَكْفَرَهُۥ﴾ تعجيب من شدة كفره مع أنه كان يجب عليه خلاف ذلك.

﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ توقيف وتقرير، ثم أجاب عنه بقوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ﴾ يعني المني، ومقصد الكلام تحقير الإنسان، ومعناه أنه يجب عليه أن يعظم

---

(١) البخاري الحديث رقم: (٥٢)، ومسلم الحديث رقم: (١٨٩٨)، وأبو داود الحديث رقم: (١٢٤٢)، والترمذي الحديث رقم: (٢٨٢٩).

الرب الذي خلقه. ﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾ أي هيأه لما يصلح له، ومنه: ﴿خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ وقيل: معناه جعله على مقدار معلوم في أعضائه، وأجله، ورزقه، وغير ذلك.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾ نصب السبيل بفعل مضمر فسره يسره، وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: يسر سبيل خروجه من بطن أمه.

والآخر: أنه سبيل الخير والشر لقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

والثالث: سبيل النظر السديد المؤدي إلى الإيمان، والأول أرجح لعطفه على قوله: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ وهو قول ابن عباس[(١)].

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾ أي جعله ذا قبر، يقال: قبرت الميت إذا دفنته وأقبرته إذا أمرت أن يدفن.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي بعثه من قبره يقال: نشر الميت إذا قام، وأنشره الله، والإشارة بإذا شاء ليوم القيامة، أي الوقت الذي يقدر أن ينشره فيه.

﴿كَلَّا﴾ ردع للإنسان عما هو فيه. ﴿لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ أي لم يقض الإنسان على تطاول عمره ما أمره الله، قال بعضهم: لا يقضى أحد أبدا جميع ما افترض الله عليه، إذ لا بد للعبد من تفريط.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أمر بالاعتبار في الطعام كيف خلقه الله بقدرته ويسره برحمته، فيجب على العبد طاعته وشكره، ويقبح معصيته والكفر به، وقيل: فلينظر إلى طعامه إذا صار رجيعا فينظر حقارة الدنيا وخساسة نفسه، والأول

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤١١، وهو قول قتادة وأبو صالح والسدي.

أشهر وأظهر في معنى الآية، على أن القول الثاني صحيح، وانظر كيف فسره بقوله: ﴿إِنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا﴾ وما بعده ليعدد النعم ويظهر القدرة وقرئ[1] أنا صببنا الماء بفتح الهمزة على البدل من الطعام.

﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يعني بخرج النبات منها.

﴿حَبًّا﴾ يعني القمح والشعير وسائر الحبوب.

﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: هي الفصفصة، وقيل: هي علف البهائم، واختار ابن عطية أنها البقول وشبهها مما يؤكل رطبا.

﴿غُلْبًا﴾ أي غليظة ناعمة. ﴿وَأَبًّا﴾ الأب: المرعى عند ابن عباس[2] والجمهور، وقيل: التبن وقد توقف في تفسيره أبو بكر[3] وعمر[4] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾ القيامة، وهي مشتقة من قولك: صخ الأذن إذا أصمها بشدة صياحه، فكأنه إشارة إلى النفخة في الصور، أو إلى شدة الأمر حتى يصخ من يسمعه لصعوبته، وقيل: هي من قولك: أصاخ للحديث إذا استمعه، والأول هو الموافق للاشتقاق.

﴿يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ الآية، ذكر فرار الإنسان من أحبابه ورتبهم على ترتيبهم في الحنو والشفقة، فبدأ بالأقل وختم بالأكثر؛ لأن الإنسان أشد شفقة على بنيه من كل من تقدم ذكره، وإنما يفر منهم لاشتغاله بنفسه، وقيل إن فراره منهم

---

(١) قال الداني: الكوفيون: ﴿أنا صببنا﴾ بفتح الهمزة والباقون بكسرها. التيسير، ص: ١٣٩.

(٢) الطبري في جامع البيان: ٢٤/٢٣٠ تفسير ابن أبي حاتم: ١٠/٣٤٠١.

(٣) لم أجده مسندا، قال الزمخشري: وعن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سئل عن الأبّ؟ فقال: أيّ سماء تظلني، وأيّ أرض تقلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به؟. الكشاف: ٤/٧٠٥.

(٤) أخرج الطبري قال: قرأ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ فلما أتى على هذه الآية: ﴿وَفَاكِهَةً وَأَبًّا﴾ قال: قد عرفنا الفاكهة. فما الأبّ؟ قال: لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف. جامع البيان: ٢٤/٢٢٩.

لئلا يطالبوه بالتبعات، والأول أرجح وأظهر لقوله: ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ أي هو مشغول بشأنه من الحساب والثواب والعقاب حتى لا يسعه ذكر غيره، وانظر قول الأنبياء عليهم السلام يومئذ «نفسي نفسي»[١].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أي مضيئة من السرور وهو من قولك: أسفر الصبح إذا أضاء.

﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ أي غبار، والقترة أيضا الغبار، قال ابن عطية[٢]: الغبرة من العبوس والكرب كما يقتر وجه المهموم والمريض، والقترة هي غبار الأرض، وقال الزمخشري[٣]: الغبرة غبار يعلوها والقترة سواد فيعظم قبحها باجتماع الغبار والسواد.

❊❊ ❊❊ ❊❊

(١) البخاري الحديث رقم: (٣١٨٢)، ومسلم الحديث رقم: (٥٠١)، وغيرهما.

(٢) قال ابن عطية: ﴿الغبرة﴾ الأولى: إنما هي العبوس والهم كما يرى على وجه المهموم والميت والمريض شبه الغبار. وأما ﴿القترة﴾ فغبار الأرض. المحرر الوجيز: ٥/٤١٤.

(٣) الكشاف: ٤/٧٠٦.

سُورَةُ التَّكْوِيرِ (ترتيبها ٨١) (آياتها ٢٨)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ • فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٧﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾

سُورَةُ الانفِطَارِ (ترتيبها ٨٢) (آياتها ١٩)

ربع

سورة التكوير

ذكر الله في هذه السورة أهوال القيامة وما يعتري الموجودات حينئذ من التغيير.

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ قال ابن عباس[1] ذهب ضوءها وأظلمت وقيل: رمي بها، وقيل: اضمحلت، وأصله من تكوير العمامة لأنها إذا لفت زال انبساطها وصغر جرمها.

﴿وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت من مواضعها، وقيل: تغيرت، والأول أرجح لأنه موافق لقوله: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ وروي: أن الشمس والنجوم تطرح في جهنم ليراها من عبدها، كما قال: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.

﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ أي حملت وبعد ذلك تفتت فتصير هباء ثم تتلاشى.

﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ العشار جمع عشراء وهي الناقة الحامل التي مر لحملها عشرة أشهر، وهي أنفس ما عند العرب وأعزها، فلا تعطل إلا من شدة الهول وتعطيلها هو تركها سائبة، أي ترك حلبها.

﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ أي جمعت وفي صفة حشرها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تحشر أي تبعث يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض[2] ثم تكون ترابا.

---

(١) في تفسير ابن أبي حاتم من طريق علي عن ابن عباس في قوله: ﴿إذا الشمس كورت﴾ قال: أظلمت. ١٠/٣٤٠٢.

(٢) كما وردت بذلك الأحاديث ففي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:=

والآخر: أنها تحشر بموتها دفعة واحدة عند هول القيامة قاله ابن عباس[١] وقال: إنها لا تبعث وأنه لا يحضر القيامة إلا الإنس والجن.

والثالث: أنها تجمع في أول أهوال القيامة وتفر في الأرض فذلك حشرها.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرا واحدا.

والآخر: ملئت نيرانا لتعذيب أهل النار.

والثالث: فرغت من مائها ويبست وأصله من سجرت التنور إذا ملأتها.

فالقول الأول والثاني أليق بالأصل، والأول والثالث موافق لقوله: ﴿فُجِّرَتْ﴾

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن التزويج بمعنى التنويع؛ لأن الأزواج هي الأنواع، فالمعنى: جعل الكافر مع الكافر والمؤمن مع المؤمن.

والثاني: زوجت نفوس المؤمنين بزوجاتهم من الحور العين.

والثالث: زوجت الأرواح والأجساد أي ردت إليها عند البعث، والأول هو الأرجح؛ لأنه روي[٢] عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ....

= «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ». مسلم الحديث رقم: (٦٧٤٥)، وغيره. (والجلحاء: التي لا قرن لها).

(١) لم أجده مسندا وأورده ابن عطية في المحرر الوجيز: ٤١٤/٥ قال الطبري: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ﴿حشرت﴾: جمعت، فأميتت؛ لأن المعروف في كلام العرب من معنى الحشر: الجمع، ومنه قول الله: ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ يعني: مجموعة. وقوله: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾ وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب الظاهر من تأويله، لا على الأنكر المجهول. جامع البيان: ٢٤٢/٢٤.

(٢) عن النعمان ابن بشير أنه قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قال: الضرباء،=

وعن عمر[(١)] بن الخطاب وابن عباس[(٢)].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ الموؤدة هي البنت التي كان بعض العرب يدفنها حية من كراهته لها، ومن غيرته عليها، فتسأل يوم القيامة بأي ذنب قتلت على وجه التوبيخ لقاتلها، وقرأ ابن عباس[(٣)]: وإذا الموؤدة سئلت بأي ذنب قتلت بضم القاف وسكون اللام وضم التاء، واستدل ابن عباس[(٤)] بهذه الآية على أن أولاد المشركين في الجنة؛ لأن الله ينتصر لهم ممن ظلمهم.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ هي صحف الأعمال تنشر ليقرأ كل أحد كتابه، وقيل: هي الصحف التي تتطاير بالأيمان والشمائل بالجزاء.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ الكشط هو التقشير كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ، وكشط السماء هو طيها كطي السجل، قاله ابن عطية، وقيل: معناه كشفت وهذا أليق بالكشط.

﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أي أوقدت وأحميت.

﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي قربت. ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ هذا جواب إذا المكررة في المواضع قبل هذا، ومعناه علمت كل نفس ما أحضرت من عمل فلفظ النفس مفرد يراد به الجنس والعموم، وقال ابن عطية: إنما أفردها ليبين حقارتها وذلتها، وقال الزمخشري: هذا من عكس كلامهم الذي يقصد به الإفراط فيما يعكس عنه كقوله: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ومعناه التكثير وكذلك هنا معناه

= كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله. تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٠٧/١٠.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٠٦/١٠.

(٢) لم أجده مسندا، وهو في المحرر الوجيز: ٤١٦/٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٤١٦/٥، وأبو جعفر ﴿قتلت﴾ بتشديد التاء على التكثير والباقون بتخفيفها. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، ص: ٥٧٣، والنشر: ٤٣٩/٢.

(٤) المحرر الوجيز المصدر السابق.

أعم الجموع. ﴿مَّا أَحْضَرَتْ﴾ عبارة عن الحسنات والسيئات.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ذكرت نظائره. ﴿بِالْخُنَّسِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾ يعني الدراري السبعة وهي: الشمس، والقمر، وزحل، وعطارد، والمريخ، والمشتري، والزهرة، وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها أي تتقهقر فيكون النجم في البرج ثم يكر راجعا وهي جواري في الفلك، وهي تنكنس في أبراجها أي تستتر، وهو مشتق من قولك كنس الوحش إذا دخل كناسه وهو موضعه، وقيل: يعني الدراري الخمسة لأنها تستتر بضوء الشمس، وقيل: يعني النجوم كلها لأنها تخنس في جريها وتنكس بالنهار، أي تستتر وتختفي بضوء الشمس، وقيل: يعني بقر الوحش فالخنس على هذا من خنس الأنف، والكنس من سكناها في كناسها.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ يقال عسعس الليل إذا كان غير مستحكم الظلام، فقيل ذلك في أوله، وقيل: في آخره وهذا أرجح؛ لأن آخر الليل أفضل، ولأنه أعقبه بقوله: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي استطار واتسع ضوؤه.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ الضمير للقرآن، والرسول الكريم جبريل، وقيل: محمد ﷺ، قال السهيلي: لا يجوز أن يقال إنه محمد ﷺ لأن الآية نزلت في الرد على الذين قالوا إن محمدا قال القرآن، فكيف يخبر الله أنه قوله؟ وإنما أراد جبريل، وأضاف القرآن إليه لأنه جاء به وهو في الحقيقة قول الله تعالى، وهذا الذي قال السهيلي لا يلزم، فإنه قد يضاف إلى محمد ﷺ؛ لأنه تلقاه عن جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجاء به إلى الناس ومع ذلك فالأظهر أنه جبريل لأنه وصفه بقوله: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ وقد وصف جبريل بهذا لقوله: ﴿شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ﴾. ﴿عِندَ ذِى الْعَرْشِ﴾ يتعلق بذي قوة، وقيل: بمكين وهذا أظهر، والمكين الذي له مكانة أي جاه وتقريب.

﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ هذا الظرف إشارة إلى الظرف المذكور قبله وهو ﴿عِندَ ذِى

ٱلْعَرْشِ﴾ أي مطاع في ملائكة ذي العرش.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾ هو محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باتفاق.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ ضمير الفاعل لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وضمير المفعول لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذه الرؤية له بغار حراء على كرسي بين السماء والأرض، وقيل: الرؤية التي رآه عند سدرة المنتهى في الإسراء ووصف هذا الأفق بالمبين؛ لأنه روي: أنه كان في المشرق من حيث تطلع الشمس وأيضا فكل أفق فهو مبين.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ الضمير للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن قرأ بالضاد[1] فمعناه بخيل أي لا يبخل بأداء ما ألقي إليه من الغيب وهو الوحي، ومن قرأ بالظاء فمعناه متهم أي لا يتهم على الوحي بل هو أمين عليه ورجح بعضهم هذه القراءة؛ بأن الكفار لم ينسبوا محمدا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى البخل بالوحي بل اتهموه فنفى عنه ذلك.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾ الضمير للقرآن. ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ خطاب لكفار قريش، أي ليس لكم زوال عن هذه الحقائق، وقد تقدم تفسير بقية السورة في نظائره فيما تقدم.

*** *** ***

(١) ﴿بضنين﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس بالظاء. وانفرد ابن مهران بذلك عن روح أيضاً، وقرأ الباقون بالضاد وكذا هي في جميع المصاحف. النشر: ٢/٤٣٩.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ (ترتيبها ٨٣) (آياتها ٣٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾

سورة الانفطار

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ أي انشقت. ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ أي سقطت من مواضعها.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ أي فرغت، وقيل: فجر بعضها إلى بعض فاختلط.

﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ أي نبشت على الموتى الذين فيها، وقال الزمخشري: أصله من البعث والبحث فضمت إليها الراء، والمعنى: بحثت وأخرج موتاها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ هذا هو الجواب ومعناه علمت كل نفس جميع أعمالها، وقيل: ما قدمت في حياتها وما أخرت مما تركته بعد موتها من سنة سنتها أو وصية أوصت بها، وأفردت النفس والمراد به العموم حسبما ذكرنا في التكوير.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ خطاب لجنس بني آدم. ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾ هذا توبيخ وعتاب معناه أي شيء غرك بربك حتى كفرت به أو عصيته أو غفلت عنه؟ فدخل في العتاب الكفار وعصاة المؤمنين ومن يغفل عن الله في بعض الأحيان من الصالحين، وروي: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ ما غرك بربك الكريم، فقال: «غره جهله»(١) وقال عمر: غره جهله وحمقه(٢) وقرأ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ وقيل:

---

(١) لم أجده مسندا وذكره القرطبي في جامعه: ٢٤٥/١٩، والثعلبي: ٣٩٢/٤، والسراج المنير: ٣٦٢/٤.

(٢) لم أجده.

غره الشيطان المسلط عليه، وقيل: غره ستر الله عليه، وقيل: غره طمعه في عفو الله عنه، ولا تعارض بين هذه الأقوال؛ لأن كل واحد منها مما يغر الإنسان، إلا أن بعضها يغر قوما وبعضها يغر قوما آخرين، **فإن قيل**: ما مناسبة وصفه بالكريم هنا للتوبيخ على الغرور؟ **فالجواب**: أن الكريم ينبغي أن يعبد ويطاع شكرا لإحسانه، ومقابلة لكرمه، ومن لم يفعل ذلك فقد كفر النعمة، وأضاع الشكر الواجب.

﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد[1] والتخفيف أي عدل أعضاءك وجعلها متوازنة فلم يجعل إحدى اليدين أطول من الأخرى، ولا إحدى العينين أكبر من الأخرى، ولا إحداهما كحلى والأخرى زرقاء، ولا بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود، وشبه ذلك من الموازنة.

﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ المجرور يتعلق بركبك، وما زائدة، والمعنى: ركبك في أي صورة شاء: من الحسن والقبح، والطول والقصر، والذكورة والأنوثة، وغير ذلك من اختلاف الصور، ويحتمل أن يتعلق المجرور بمحذوف تقديره: ركبك حاصلا في أي صورة، وقيل: يتعلق بعدلك، على أن يكون بمعنى صرفك إلى أي صورة شاء، وهذا بعيد، ولا يمكن إلا مع قراءة عدلك بالتخفيف.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن الغرور المذكور قبل، والتكذيب المذكور بعد. ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ هذا خطاب للكفار، والدين هنا يحتمل أن يكون بمعنى الشريعة، أو الحساب، أو الجزاء.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾ يعنى الملائكة الذين يكتبون أعمال بني آدم.

﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعلمون الأعمال لمشاهدتهم لها، وأما ما لا يرى ولا يسمع من الخواطر والنيات والذكر بالقلب، فقيل: إن الله ينفرد بعلم ذلك، وقيل:

---

(١) ﴿فعدلك﴾ قرأ الكوفيون بتخفيف الدال، وقرأ الباقون بتشديدها. النشر: ٢/٤٣٩.

إن الملك يجد لها ريحا يدركها به.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ في هذه الآية وفيما بعدها من أدوات البيان المطابقة والترصيع.

﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه لا يخرجون منها إذا دخلوها.

والآخر: لا يغيبون عنها في البرزخ قبل دخولها؛ لأنهم يعرضون عليها غدوا وعشيا.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾ تعظيم له وتهويل، وكرره للتأكيد، والمعنى: أنه من شدته بحيث لا يدري أحد مقدار هوله وعظمته.

﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ أي لا يقدر أحد على منفعة أحد، وقرئ[1] يوم بالرفع على البدل من يوم الدين، أو على إضمار مبتدإ، وبالنصب على الظرفية بإضمار فعل تقديره: يجازون يوم الدين أو النصب على المفعولية بإضمار فعل تقديره: اذكر، ويجوز أن يفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو في موضع رفع.

❊❊ ❊❊ ❊❊

---

(١) ﴿يوم لا تملك﴾ قرأ ابن كثير والبصريان برفع الميم وقرأ الباقون بنصبها. النشر: ٢/٤٣٩.

سورة المطففين

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ التطفيف في اللغة هو البخس والنقص، وفسره بذلك الزمخشري، واختاره ابن عطية، وقيل: هو تجاوز الحد في زيادة أو نقصان واختاره ابن الفرس، وهو الأظهر لأن المراد به هنا بخس حقوق الناس في المكيال والميزان بأن يزيد الإنسان على حقه أو ينقص من حق غيره، وسبب نزول السورة[١] أنه كان بالمدينة رجل يقال له أبو جهينة له مكيالان يأخذ بالأوفى ويعطي بالأنقص، فالسورة على هذا مدنية، وقيل: مكية لذكر أساطير الأولين، وقيل: نزل بعضها بمكة، ونزل أمر التطفيف بالمدينة، إذ كانوا أشد الناس فسادا في هذا المعنى فأصلحهم الله بهذه السورة.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ معنى ﴿ٱكْتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ قبضوا منهم بالكيل، فـ(على) بمعنى من وإنما أبدلت منها لما تضمن الكلام من معنى التحامل عليهم، ويجوز أن يتعلق ﴿عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ بـ (يستوفون)، وقدم المفعول لإفادة التخصيص.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ معنى يخسرون ينقصون حقوق الناس وهو من الخسارة يقال: خسر الرجل وأخسره غيره إذا جعله يخسر، وكالوهم معناه كالوا لهم أو وزنوهم معناه وزنوا لهم، ثم حذف حرف الجر فانتصب المفعول لأن هذين الفعلين يتعدى كل واحد منهما تارة بنفسه وتارة بحرف الجر، يقال: كلتك وكلت لك، ووزنتك ووزنت لك بمعنى واحد، وحذف المفعول الثاني وهو المكيل

(١) عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلاً، فأنزل الله تعالى ﴿وَيلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك... وقال السدي: قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له أبو جهينة، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فأنزل الله تعالى هذه الآية. أسباب النزول للواحدي، ص: ١٨٠.

والموزون، والواو التي هي ضمير الفاعل للمطففين والهاء الذي هي ضمير المفعول للناس، فالمعنى: إذا كالوا أو وزنوا لهم طعاما أو غيره مما يكال أو يوزن يخسرونهم حقوقهم، وقيل: إن هم في كالوهم أو وزنوهم تأكيد للضمير الفاعل، وروي: عن حمزة أنه كان يقف على كالوا ووزنوا ثم يبتدئ هم ليبين هذا المعنى[١] وهو ضعيف من وجهين:

أحدهما: أنه لم يثبت في المصحف ألف بعد الواو في كالوا ووزنوا فدل ذلك على أن هم ضمير المفعول.

والآخر: أن المعنى على هذا أن المطففين إذا تولوا الكيل أو الوزن نقصوا وليس ذلك بمقصود؛ لأن الكلام واقع في الفعل لا في المباشر، ألا ترى أن اكتالوا على الناس معناه قبضوا منهم، وكالوهم ووزنوهم معناه دفعوا لهم، فقابل القبض بالدفع، وأما على هذا الوجه الضعيف فهو خروج عن المقصود، قال ابن عطية: ظاهر الآية أن الكيل والوزن على البائعين وليس ذلك بالجلي، قال: وصدر الآية في المشترين فهم الذين يستوفون أو يشاحون ويطلبون الزيادة، وقوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ في البائعين فهم الذين يخسرون المشتري.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يعني يوم القيامة وهذا تهديد للمطففين وإنكار لفعلهم، وكان عبد الله بن عمر[٢] إذا مر بالبائع يقول له: اتق الله وأوف الكيل، فإن المطففين يوقفون يوم القيامة لعظمة الرحمن.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الظرف منصوب بقوله: ﴿مَّبْعُوثُونَ﴾ وقيل: بفعل مضمر أو بدل من يوم عظيم، وقيام الناس يوم القيامة على حسب اختلافهم، فمنهم من يقوم خمسين ألف سنة، وأقل من ذلك حتى أن المؤمن يقوم على قدر

(١) النشر: ٢/١٧٧ قال ابن الجزري: ثم روى عن حمزة بجعلهما حرفين، ثم قال الداني: ولا أعلم أحداً روى ذلك عن حمزة إلا عبد الله بن صالح العجلي، قال: وأهل الأداء عل خلافه.

(٢) لم أجده مسندا.

● كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾

صلاة مكتوبة.

﴿كَلَّا﴾ ردع عن التطفيف أو افتتاح كلام. ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ كتاب الفجار هو ما يكتب من أعمالهم، والفجار هنا يحتمل أن يريد به الكفار أو المطففين وإن كانوا مسلمين، والأول أظهر لقوله بعد هذا: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وسجين اسم علم منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة، وقد عظم أمره بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ ثم فسره بأنه كتاب مرقوم، أي مسطور بين الكتابين وهو كتاب جامع يكتب فيه أعمال الشياطين والكفار والفجار، وهو مشتق من السجن بمعنى الحبس لأنه سبب الحبس والتضييق في جهنم، ولأنه في مكان الهوان والعذاب كالسجن، فقد روي عن النبي ﷺ أنه في الأرض السفلى، وروي: عنه أنه في بئر هناك، وحكى كعب[1] عن التوراة أنه في شجرة سوداء هنالك، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون معنى الآية أن عدد الفجار في سجين أي كتبوا هنالك في الأزل.

﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ قد ذكر. ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي غطى على قلوبهم ما كسبوا من الذنوب فطمس بصائرهم فصاروا لا يعرفون الرشد من الغي، وفي الحديث[2] أن العبد إذا أذنب ذنبا صارت نكتة سوداء في

---

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٢٣.

(٢) في سنن ابن ماجه: «إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء في قلبه، فإن تاب ونزع واستغفر=

قلبه، فإذا زاد ذنب آخر زاد السواد فلا يزال كذلك حتى يتغطى وهو الرين.

﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾ حجب الكفار عن الله على أن المؤمنين لا يحجبون وقد استدل بها مالك والشافعي على صحة رؤية المؤمن لله في الآخرة وتأولها المعتزلة أن معناها محجوبون عن رحمته.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ عليون اسم علم للكتاب الذي تكتب فيه الحسنات، وهذا جمع منقول من صفة على وزن فعيل للمبالغة وقد عظمه بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ وهو مشتق من العلو لأنه سبب في ارتفاع الدرجات في الجنة، أو لأنه مرفوع في مكان علي، فقد روي: عن النبي ﷺ أنه تحت العرش، وقال ابن عباس[1] هو الجنة وارتفع كتاب مرقوم في الموضعين على أنه خبر مبتدإ مضمر تقديره هو كتاب، وقال ابن عطية كتاب مرقوم خبر إن والظرف ملغى وهذا تكلف يفسد به المعنى، وقد روي في الأثر ما روي في الآية وهو أن الملائكة تصعد بصحيفة فيها عمل العبد فإن رضيه الله قال اجعلوه في عليين وإن لم يرضه قال اجعلوه في سجين.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ يعني الملائكة المقربين. ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ قد ذكر. ﴿يَنظُرُونَ﴾ روي عن النبي ﷺ أنه قال: ينظرون إلى أعدائهم في النار، وقيل: ينظرون إلى الجنة وما أعطاهم الله فيها.

﴿نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ أي بهجته ورونقه كما يرى في وجوه أهل الرفاهية والعافية. والخطاب في تعرف للنبي ﷺ، أو لكل مخاطب من غير تعيين.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ الرحيق الخمر الصافية، والمختوم فسره الله بأن

= صقل قلبه، فإن زاد زادت. فذلك الران الذي ذكره الله في كتابه: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾» رقم: (٤٢٤٤)، والمستدرك الحديث رقم: (٦).

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٢٥.

ختامه مسك، وقرئ[١] خاتمه بألف بعد التاء وخاتمه بألف بعد الخاء وبفتح التاء وكسرها وفي معناه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه من الختم على الشيء بمعنى جعل الطابع عليه، فالمعنى: أنه ختم على فم الإناء الذي هو فيه بالمسك، كما يختم على أفواه آنية الدنيا بالطين إذا قصد حفظها وصيانتها.

الثاني: أنه من ختم الشيء أي تمامه، فمعناه خاتم شربه مسك أي يجد الشارب عند آخر شربه رائحة المسك ولذته.

الثالث: أن معناه مزاجه مسك أي يمزج الشراب بالمسك وهذا خارج عن اشتقاق اللفظ.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ التنافس في الشيء هو الرغبة فيه والمغالاة في طلبه والتزاحم عليه.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ تسنيم اسم لعين في الجنة يشرب منها المقربون صرفا ويمزج منه الرحيق الذي يشرب منه الأبرار، فدل ذلك على أن درجة المقربين فوق درجة الأبرار، فالمقربون هم السابقون، والأبرار هم أصحاب اليمين.

﴿عَيْنًا﴾ منصوب على المدح بفعل مضمر أو على الحال من تسنيم. ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ بمعنى يشربها فالباء زائدة ويحتمل أن يكون بمعنى يشرب منها، أو كقولك شربت الماء بالعسل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ﴾ نزلت هذه الآية[٢]

---

(١) ﴿خاتمه﴾ قرأ الكسائي بفتح الخاء وألف بعدها وبعد الألف تاء مفتوحة، فميم مضمومة وغيره بكسر الخاء وتاء مفتوحة بعدها ألف وبعد الألف ميم مضمومة. النشر: ٢/٢٤٠، والبدور الزاهرة، ص: ٣٦٢.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٢٦.

في صناديد قريش كأبي جهل وغيره مر بهم علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعة من المؤمنين فضحكوا منهم واستخفوا بهم.

﴿وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ أي يغمز بعضهم إلى بعض ويشير بعينيه، والضمير في مروا يحتمل أن يكون للمؤمنين أو للكفار، والضمير في يتغامزون للكفار لا غير.

﴿فَاكِهِينَ﴾ من الفكاهة وهي اللهو أي يتفكهون بذكر المؤمنين والاستخفاف بهم قاله الزمخشري، ويحتمل أن يريد يتفكهون بنعيم الدنيا.

﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ أي إذا رأى الكفار المؤمنين نسبوهم إلى الضلال، وقيل: إذا رأى المؤمنون الكفار نسبوهم إلى الضلال، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ أي ما أرسل الكفار حافظين على المؤمنين يحفظون أعمالهم ويشهدون برشدهم أو ضلالهم، وكأنه قال كلامهم بالمؤمنين فضول منهم.

﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ يعني باليوم يوم القيامة إذ قد تقدم ذكره فيضحك المؤمنون فيه من الكفار، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ معنى ثوب جوزي، يقال ثوبه وأثابه إذا جازاه، وهذه الجملة يحتمل أن تكون متصلة بما قبلها في موضع مفعول ينظرون فتوصل مع ما قبلها، أو تكون توقيفا فيوقف قبلها ويكون معمول ينظرون محذوفا حسبما ذكرنا في ينظرون الذي قبل هذا، وهذا أرجح لاتفاق الموضعين.

*** *** ***

عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)

سُورَةُ الانشِقَاقِ — ترتيبها ٨٤ — آياتها ٢٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٥) يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (٦) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا (٩) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ (١٤) بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا (١٥) ۞ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (١٦) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (١٧) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (١٨) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ (١٩) فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠) وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ (٢١) بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ (٢٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ (٢٣) فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢٤) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)

ربع

سورة الانشقاق

﴿إِذَا السَّمَآءُ انشَقَّتْ﴾ اختلف في هذا الانشقاق هل هو تشققها بالغمام، أو انفتاحها أبوابا، وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ في التهويل، إذ يقدر السامع أقصى ما يتصوره، وحذف للعلم به اكتفاء بما في سورة التكوير والانفطار من الجواب، وقيل: الجواب ما دل عليه: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي إذا السماء انشقت لقي الإنسان ربه، وقيل: الجواب أذنت على زيادة الواو، وهذا ضعيف.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ معنى أذنت في اللغة استمعت وهو هنا عبارة عن طاعتها لربها وأنها انقادت لله حين أراد انشقاقها، وكذلك طاعة الأرض لما أراد مدها وإلقاء ما فيها. ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي حق لها أن تسمع وتطيع لربها أو حق لها أن تنشق من أهوال القيامة وهذه الكلمة من قولهم هو حقيق بكذا أو محقوق به، أي يجب عليه أن يفعله، فالمعنى: يحق على السماء أن تسمع وتطيع لربها، أو يحق عليها أن تتشقق، ويحتمل أن يكون أصله حققت بفتح الحاء وضم القاف على معنى التعجب ثم أدغمت القاف التي بعدها ونقلت حركتها إلى الحاء.

﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ أي زال ما عليها من الجبال حتى صارت مستوية.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ أي ألقت ما في جوفها من الموتى للحشر، وقيل: ألقت ما فيها من الكنوز، وهذا ضعيف؛ لأن ذلك يكون وقت خروج الدجال قبل القيامة، والمقصود ذكر يوم القيامة وتخلت أي بقيت خالية مما كان فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ خطاب للجنس. ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الكدح في اللغة هو الجد والاجتهاد والسرعة فالمعنى أنك في غاية الاجتهاد في السير إلى ربك لأن الزمان يطير وأنت في كل لحظة تقطع حظا من عمرك القصير فكأنك سائر مسرع إلى الموت ثم تلاقي ربك وقيل المعنى إنك ذو جد فيما تعمل من خير أو شر ثم تلقى ربك فيجازيك به والأول أظهر؛ لأن كادح تعدى بإلى لما تضمن معنى السير، ولو كان بمعنى العمل لقال: لربك.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ ذكر في الحاقة. ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ يحتمل أن يكون اليسير بمعنى قليل أو بمعنى هين سهل، وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال[1]: «من نوقش الحساب عذب» فقالت عائشة: ألم يقل الله ﴿فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك العرض» وأما من نوقش الحساب فيهلك، وفي الحديث أيضا: عن رسول الله ﷺ[2]: «إن الله يدنى العبد يوم القيامة حتى يضع كنفه عليه، فيقول: فعلت كذا وكذا ويعدد عليه ذنوبه ثم يقول: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» وروي: أن رسول الله ﷺ قال[3]: «من حاسب نفسه في الدنيا هون الله عليه حسابه يوم القيامة».

﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا﴾ أي يرجع إلى أهله في الجنة مسرورا بما أعطاه الله، والأهل زوجاته في الجنة من نساء الدنيا أو من الحور العين، ويحتمل

---

(١) في الصحيح عن عائشة: عن النبي ﷺ قال: «من نوقش الحساب عذب». قالت قلت: أليس يقول الله تعالى ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾؟. قال: «ذلك العرض» البخاري (٦١٧١)، ومسلم الحديث رقم: (٧٤٠٦).

(٢) في البخاري: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ قَالَ: يَدْنُو أَحَدُكُمْ مِنْ رَبِّهِ حَتَّى يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ فَيَقُولُ: أَعَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، وَيَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَرِّرُهُ ثُمَّ يَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ...» الحديث رقم: (٧٥١٤).

(٣) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٤٢٩/٥.

أن يريد قرابته من المؤمنين وبذلك فسره الزمخشري.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ يعني الكافر وروي:[١] أن هاتين الآيتين نزلتا في أبي سلمة ابن عبد الأسد وكان من فضلاء المؤمنين وفي أخيه أسود وكان من عتاة الكافرين ولفظها أعم من ذلك، فإن قيل: كيف قال في الكافر هنا أن يؤتى كتابه وراء ظهره وقال في الحاقة: ﴿بِشِمَالِهِ﴾؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يديه تكونان مغلولتين إلى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيأخذ بها كتابه.

وقيل: تدخل يده اليسرى في صدره وتخرج من ظهره فيأخذ بها كتابه.

﴿يَدْعُواْ ثُبُوراً﴾ أي يصيح بالويل والثبور.

﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ أي كان في الدنيا مسرورا مع أهله متنعما غافلا عن الآخرة، وهذا في مقابلة ما حكى عن المؤمن أنه: ينقلب إلى أهله مسرورا في الجنة، وهو ضد ما حكى عن المؤمنين في الجنة من قولهم: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾.

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي لا يرجع إلى الله، والمعنى: أنه يكذب بالبعث.

﴿بَلَىٰ﴾ أي يحور ويبعث.

﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ ذكر في نظائره. ﴿بِالشَّفَقِ﴾ هي الحمرة التي تبقى بعد غروب الشمس، وقال أبو حنيفة: هو البياض، وقيل: هو النهار كله، وهذا ضعيف، والأول هو المعروف عند الفقهاء وعند أهل اللغة.

﴿وَالَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي جمع وضم، ومنه الوسق؛ وذلك أن الليل يضم الأشياء ويسترها بظلامه.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ أي إذا كمل ليلة أربعة عشر، ووزن اتسق افتعل وهو مشتق من الوسق فكأنه امتلأ نورا، وفي الآية من أدوات البيان لزوم مالا يلزم

---

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز المصدر السابق.

لالتزام السين قبل القاف في وسق واتسق.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ﴾ الطبق في اللغة له معنيان:

أحدهما: ما طابق غيره يقال هذا طبق لهذا إذا طابقه.

والآخر: جمع طبقة فعلى الأول يكون المعنى لتركبن حالا بعد حال كل واحدة منها مطابقة للأخرى، وعلى الثاني يكون المعنى: لتركبن أحوالا بعد أحوال، هي طبقات بعضها فوق بعض، ثم اختلف في تفسير هذه الأحوال وفي قراءة تركبن، فأما من قرأ بضم الباء(١) فهو خطاب لجنس الإنسان، وفي تفسير الأحوال على هذا ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها شدائد الموت ثم البعث ثم الحساب ثم الجزاء.

والآخر: أنها كون الإنسان نطفة ثم علقة إلى أن يخرج إلى الدنيا ثم إلى أن يهرم ثم يموت.

والثالث: لتركبن سنن من كان قبلكم، وأما من قرأ (تركبن) بفتح الباء فهو خطاب للإنسان على المعاني الثلاثة التي ذكرنا، وقيل: هي خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، ثم اختلف القائلون بهذا على ثلاثة أقوال:

أحدها: لتركبن مكابدة الكفار حالا بعد حال.

والآخر: لتركبن فتح البلاد شيئا بعد شيء.

والثالث: لتركبن السموات في الإسراء بعد سماء وقوله: ﴿عَن طَبَقٍ﴾ في موضع الصفة لطبقا، أو في موضع حال من الضمير في تركبن. قاله الزمخشري.

﴿فَمَا لَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ الضمير لكفار قريش، والمعنى: أي شيء يمنعهم من الإيمان.

---

(١) ﴿لتركبن﴾ قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف بفتح الباء، وقرأ الباقون بضمها. النشر: ٢/٤٤٠.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ هذا موضع سجدة عند الشافعي وغيره؛ لأن رسول الله ﷺ سجد فيها[1] وليست عند مالك من عزائم السجدات[2].

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني المذكورين ووضع الظاهر موضع الضمير ليصفهم بالكفر.

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي بما يجمعون في صدورهم من الكفر والتكذيب، أو بما يجمعون في صحائفهم، يقال: أو عيت المال وغيره إذا جمعته.

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وضع البشارة في موضع النذارة تهكما بهم.

﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ يعني من قضى له بالإيمان من هؤلاء الكفار، فالاستثناء على هذا متصل وإلى هذا أشار ابن عطية، وقال الزمخشري: هو منقطع. ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.

*** *** ***

(١) .. مالك عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سفيان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة «أنه قرأ ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ «سجد فيها». التمهيد: ١١٨/١٩، وشرح مشكل الآثار للطحاوي: ٣٤/٩، وهو حديث صحيح.

(٢) المنتقى للباجي شرح الموطإ: ٤٨٦/١، وقال ابن بطال في شرح البخاري: وقال مالك: عزائم السجود إحدى عشرة ليس في المفصل منها شيء، وليس فيها الثانية من الحج. ٥٦/٣.

سُورَةُ البُرُوجِ (ترتيبها ٨٥ - آياتها ٢٢)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الطَّارِقِ (ترتيبها ٨٦ - آياتها ١٧)

سورة البروج

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ البروج هي المنازل المعروفة، وهي اثنا عشر تقطعها الشمس في السنة، وقيل: هي النجوم العظام؛ لأنها تتبرج أي تظهر.

﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ هو يوم القيامة باتفاق، وقد ذكر عن رسول الله ﷺ[(١)].

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ يحتمل الشاهد والمشهود أن يكون من الشهادة على الأمر أو يكون من معنى الحضور وحذف المعمول وتقديره مشهود عليه أو مشهود به أو مشهود فيه وقد اضطرب الناس في تفسير الشاهد والمشهود اضطرابا عظيما، ويتلخص من أقوالهم في الشاهد ستة عشر قولا يقابلها في المشهود اثنان وثلاثون قولا:

الأول: أن الشاهد هو الله تعالى لقوله وكفى بالله شهيدا والمشهود على هذا يحتمل ثلاثة أوجه؛

أحدها: أن يكون الخلق بمعنى أنه يشهد عليهم.

والآخر: أن تكون الأعمال بمعنى أنه يشهد بها.

والثالث: أن يكون يوم القيامة بمعنى أنه يشهد فيه أي يحضر للحساب والجزاء أو تقع فيه الشهادة على الناس.

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٤/٣٣٣، والدر المنثور: ٨/٤٦٣.

القول الثاني: أن الشاهد محمد ﷺ لقوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾ والمشهود على هذا: يحتمل أن يكون أمته لأنه يشهد عليهم أو أعمالهم لأنه يشهد بها أو يوم القيامة لأنه يشهد فيه أي يحضر أو تقع فيه الشهادة على الأمة.

القول الثالث: أن الشاهد أمة محمد ﷺ لقوله: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ والمشهود على هذا: سائر الأمم لأنهم يشهدون عليهم أو أعمالهم أو يوم القيامة.

القول الرابع: أن الشاهد هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمشهود أمته لقوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْۖ﴾ أو أعمالهم أو يوم القيامة.

الخامس: أن الشاهد جميع الأنبياء والمشهود أممهم؛ لأن كل نبي يشهد على أمته أو يشهد القول بأعمالهم أو يوم القيامة؛ لأنه يشهد فيه.

القول السادس: أن الشاهد الملائكة الحفظة والمشهود على هذا الناس؛ لأن الملائكة يشهدون عليهم، أو الأعمال؛ لأن الملائكة يشهدون بها أو يوم القيامة أو صلاة الصبح لقوله: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾.

القول السابع: أن الشاهد جميع الناس لأنهم يشهدون يوم القيامة أي يحضرونها، والمشهود يوم القيامة لقوله: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾.

والقول الثامن: أن الشاهد الجوارح والمشهود عليه أصحابها لقوله: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم﴾ أو الأعمال لأن الجوارح تشهد بها يوم القيامة؛ لأن الشهادة تقع فيه.

القول التاسع: أن الشاهد الله والملائكة وأولوا العلم لقوله: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ والمشهود به الوحدانية.

القول العاشر: الشاهد جميع المخلوقات والمشهود به وجود خالقها وإثبات صفاته من الحياة والقدرة وغير ذلك.

القول الحادي عشر: أن الشاهد النجم لما ورد في الحديث: «**لا صلاة بعد العصر حتى يطلع الشاهد**»[١] وهو النجم، والمشهود على هذا الليل والنهار؛ لأن النجم يشهد بانقضاء النهار ودخول الليل.

القول الثاني عشر: أن الشاهد الحجر الأسود والمشهود الناس الذين يحجون.

القول الثالث عشر: روي: عن النبي ﷺ[٢] «**أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة**» وذلك أن يوم الجمعة يشهد بالأعمال ويوم عرفة يشهده جمع عظيم من الناس.

القول الرابع عشر: أن الشاهد يوم عرفة، والمشهود يوم النحر قاله علي بن أبي طالب[٣].

القول الخامس عشر: أن الشاهد يوم التروية، والمشهود يوم عرفة.

القول السادس عشر: أن الشاهد يوم الاثنين والمشهود يوم الجمعة.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ الكلام هنا في ثلاثة فصول:

الأول: في جواب القسم وفيه أربعة أقوال:

أحدها: أنه قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾.

والثاني: أنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ وهذان القولان ضعيفان لبعد القسم من الجواب.

وثالثها: أنه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ تقديره: لقد قتل.

---

(١) في صحيح مسلم بسنده: «إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ عُرِضَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَضَيَّعُوهَا فَمَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ وَلاَ صَلاَةَ بَعْدَهَا حَتَّى يَطْلُعَ الشَّاهِدُ». وَالشَّاهِدُ النَّجْمُ. الحديث رقم: (١٩٦٤)، والنسائي الحديث رقم: (٥٢١)، وغيرهما..

(٢) لم أجده مسندا.

(٣) لم أجده مسندا عن علي.

ورابعها: أنه محذوف يدل عليه قتل أصحاب الأخدود، تقديره: لقد قتل هؤلاء الكفار كما قتل أصحاب الأخدود؛ وذلك أن الكفار من قريش كانوا يعذبون من أسلم من قومهم ليرجعوا عن الإسلام فذكر الله قصة أصحاب الأخدود وعيدا للكفار، وتأنيسا للمسلمين المعذبين.

الفصل الثاني: في تفسير لفظها فأما ﴿قُتِلَ﴾ فاختلف هل هو دعاء أو خبر؟ واختلف هل هو بمعنى القتل حقيقة أو بمعنى اللعن؟ وأما الأخدود: فهو الشق في الأرض كالخندق وشبهه.

وأما أصحاب الأخدود فيحتمل أن يريد بهم الكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود، أو يريد المؤمنين الذين حرقوا فيه فيكون القتل حقيقة خبر، والأول أظهر.

الفصل الثالث: في قصة أصحاب الأخدود وفيها أربعة أقوال:

الأول: ما ورد[١] عن رسول الله ﷺ في حديث طويل معناه أن ملكا كافرا أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود فخد في أفواه السكك، وأضرم فيها النيران، فقال: من لم يرجع عن دينه فألقوه فيها، ففعلوا، حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق.

الثاني: أن ملكا زنى بأخته ثم أراد أن يحلل للناس نكاح الأخوات فأطاعه قوم، ومنهم أخذ المجوس ذلك، وعصاه قوم، فحفر لهم الأخدود فأحرقهم فيه بالنار.

القول الثالث: أن نبي أصحاب الأخدود كان حبشيا وأن الحبشة بقية أصحاب الأخدود.

القول الرابع: أن أصحاب الأخدود ذو نواس المذكورة في قصة عبد الله بن التامر التي وقعت في السير[٢] ويحتمل أن يكون ذو نواس الملك الذي ذكره النبي

(١) ابن كثير ٣٦٦/٨ وهو في مسلم.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ٢٥/١، والسيرة النبوية لابن هشام: ١٥٢/١، والروض الأنف: ٩٨/١،=

ﷺ فيتفق هذا القول مع الأول، فإن ذا نواس حفر أخدودا فأوقد فيه نيرانا وألقى فيها كل من وحد الله تعالى، واتبع العبد الصالح عبد الله بن التامر.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ النار بدل من الأخدود وهو بدل اشتمال، والوقود ما توقد به النار، والقصد وصف النار بالشدة والعظم.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ الضمير للكفار الذين كانوا يحرقون المؤمنين في الأخدود وهم أصحاب الأخدود على الأظهر، والعامل في إذ قوله: ﴿قُتِلَ﴾ فروي: أن النار أحرقت من المؤمنين عشرين ألفا، وقيل سبعين ألفا، فقتل على هذا بمعنى لعن أي لعنوا حين قعدوا على النار لتحريق المؤمنين، وروي: أن الله بعث على المؤمنين ريحا فقبضت أرواحهم وخرجت النار فأحرقت الكفار الذين كانوا عليها، فقتل على هذا بمعنى القتل الحقيقي أي قتلهم النار، وقيل: الضمير في إذ هم للمؤمنين، والأول أشهر وأظهر، لقوله: ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾.

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الشهادة، أي يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه فعل ما أمره الملك من التحريق، أو يشهدون بذلك على أنفسهم يوم القيامة، أو يكون بمعنى الحضور، أي كانوا حاضرين على ذلك الفعل.

﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلاَّ أَنْ يُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ أي ما أنكر الكفار على المؤمنين إلا أنهم آمنوا بالله، وهذا لا ينبغي أن ينكر. فإن قيل: لم قال أن يؤمنوا بلفظ المضارع ولم يقل آمنوا بلفظ الماضي؛ لأن القصة قد وقعت؟ **فالجواب:** أن التعذيب إنما كان على دوامهم على الإيمان ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوهم، فلذلك ذكره بلفظ المستقبل فكأنه قال إلا أن يدوموا على الإيمان.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ إن كانت هذه الآية في أصحاب

= والاكتفاء للكلاعي الأندلسي: ١/٦٩.

الأخدود فالفتنة هنا بمعنى الإحراق، وإن كانت في كفار قريش فالفتنة بمعنى المحنة والتعذيب، وهذا أظهر لقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾؛ لأن أصحاب الأخدود لم يتوبوا بل ماتوا على كفرهم، وأما قريش فمنهم من أسلم وتاب، وفي الآية دليل على أن الكافر إذا أسلم يغفر له ما فعل في حال كفره، لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «الإسلام يجب ما قبله». ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ يحتمل أن يكون في الآخرة فيكون تأكيدا لعذاب جهنم أونوعا من العذاب زيادة إلى عذاب جهنم ويحتمل أن يريد في الدنيا وذلك على رواية أن الكفار أصحاب الأخدود أحرقتهم النار.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ البطش الأخذ بقوة وسرعة.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ أي يبدئ الخلق بالنشأة الأولى ويعيدهم بالنشأة الآخرة للبعث، وقيل: يبدئ البطش ويعيده أي يبطش بهم في الدنيا والآخرة، والأول أظهر وأرجح لقوله: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ وقد ذكرنا الودود في اللغات.

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾ أضاف العرش إلى الله وخصه بالذكر لأن العرش أعظم المخلوقات والمجيد من المجد وهو الشرف ورفعة القدر، وقرئ[2] المجيد بالرفع صفة لذو العرش وبالخفض صفة للعرش.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه وتعظيم الأمر، والمراد بذكر الجنود تهديد الكفار وتأنيس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ تهديد لهم معناه لا يفوتونه بل يصيبهم عذابه إذا شاء.

﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ يعني اللوح المحفوظ الذي في السماء، وقرئ[3] محفوظ بالخفض صفة للوح وبالرفع صفة للقرآن أي حفظه الله من التبديل والتغيير أو حفظه المؤمنون في صدورهم.

---

(١) معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني: ١٤/١٦٢.

(٢) ﴿المجيد﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف بخفض الدال، وقرأ الباقون برفعها. النشر: ٢/٤٤٠.

(٣) ﴿محفوظ﴾ قرأ نافع برفع الظاء وقرأ الباقون بخفضها. النشر ٢/٤٤٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

والسماء والطارق (١) وما أدراك ما الطارق (٢) النجم الثاقب (٣) إن كل نفس لما عليها حافظ (٤) فلينظر الإنسان مم خلق (٥) خلق من ماء دافق (٦) يخرج من بين الصلب والترائب (٧) إنه على رجعه لقادر (٨) يوم تبلى السرائر (٩) فما له من قوة ولا ناصر (١٠) والسماء ذات الرجع (١١) والأرض ذات الصدع (١٢) إنه لقول فصل (١٣) وما هو بالهزل (١٤) إنهم يكيدون كيدا (١٥) وأكيد كيدا (١٦) فمهل الكافرين أمهلهم رويدا (١٧)

سورة الأعلى — ترتيبها ٨٧ — آياتها ١٩

بسم الله الرحمن الرحيم

حزب

• سبح اسم ربك الأعلى (١) الذي خلق فسوى (٢) والذي قدر فهدى (٣) والذي أخرج المرعى (٤) فجعله غثاء أحوى (٥) سنقرئك فلا تنسى (٦) إلا ما شاء الله إنه يعلم الجهر وما يخفى (٧) ونيسرك لليسرى (٨) فذكر إن نفعت الذكرى (٩) سيذكر من يخشى (١٠) ويتجنبها الأشقى (١١) الذي يصلى النار الكبرى (١٢) ثم لا يموت فيها ولا يحيى (١٣) قد أفلح من تزكى (١٤) وذكر اسم ربه فصلى (١٥)

سورة الطارق

﴿وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ﴾ هذه السماء التي أقسم الله بها هي المعروفة، وقيل: أراد المطر؛ لأن العرب قد تسميه سماء، وهذا بعيد، والطارق في اللغة ما يطرق أي يجيء ليلا، وقد فسره الله هنا بأنه النجم الثاقب، وهو يطلع ليلا، ومعنى الثاقب المضيء أو المرتفع، فقيل: أراد جنس النجوم، وقيل: الثريا؛ لأنه الذي تطلق عليه العرب النجم، وقيل: زحل؛ لأنه أرفع النجوم إذ هو في السماء السابعة.

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ هذا جواب القسم ومعناه عند الجمهور أن كل نفس من بني آدم عليها حافظ يكتب أعمالها يعني الملائكة الحفظة، وروي عن النبي ﷺ في تفسير هذه الآية: «**أن لكل نفس حفظة**[١] **من الله يذبون عنها كما يذب عن العسل، ولو وكل المرء إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الآفات والشياطين**» وإن صح هذا الحديث فهو المعمول عليه، وقرئ[٢] لما عليها بتخفيف الميم وعلى هذا تكون إن مخففة من الثقيلة واللام للتأكيد وما زائدة، وقرئ لما بالتشديد وعلى هذا تكون إن نافية ولما بمعنى الإيجاب بعد النفي.

﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ حذف ألف ما لأنها استفهامية وجوابها خلق من

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٣٧.

(٢) قرأ عاصم وابن عامر وحمزة ﴿لما عليها﴾ بتشديد الميم والباقون بتخفيفها. التيسير، ص: ١٣٩.

ماء دافق، وسمى المني ماء دافقا من الدفق بمعنى الدفع، فقيل: معناه مدفوق وصاحبه هو الدافق في الحقيقة، قال سيبويه هو على النسب أي ذو دفق، وقال ابن عطية: يصح أن يكون الماء دافقا لأن بعضه يدفع بعضا، ومقصود الآية إثبات الحشر، فأمر الإنسان أن ينظر أصل خلقته ليعلم أن الذي خلقه من ماء دافق قادر على أن يعيده، ووجه اتصال هذا الكلام بما قبله أنه لما أخبر أن كل نفس عليها حافظ يحفظ أعمالها أعقبه بالتنبيه على الحشر حيث تجازى كل نفس بأعمالها.

﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَآئِبِ﴾ الضمير في يخرج للماء، وقال ابن عطية: يحتمل أن يكون للإنسان وهذا بعيد جدا، والترائب عظام الصدر واحدها تريبة، وقيل: هي الأطراف كاليدين والرجلين، وقيل: هي عصارة القلب ومنها يكون الولد، وقيل: هي الأضلاع التي أسفل الصلب والأول هو الصحيح المعروف في اللغة، ولذلك قال ابن عباس[1] هي موضع القلادة ما بين ثديي المرأة، ويعني صلب الرجل وترائبه وصلب المرأة وترائبها، وقيل: أراد صلب الرجل وترائب المرأة.

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ﴾ الضمير في إنه لله تعالى، وفي ﴿رَجْعِهِۦ﴾ للإنسان، والمعنى: أن الله قادر على رجع الإنسان حيا بعد موته، والمراد إثبات البعث وقيل: إن المعنى رده ماء كما كان أول مرة، وقيل: رده من الكبر إلى الشباب، وقيل: الضمير في رجعه للماء الدافق، والمعنى: رده في الإحليل، أو في الصلب، وهذا كله ضعيف بعيد، والقول الأول هو الصحيح المشهور.

﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ يعني يوم القيامة، والسرائر جمع سريرة وهي ما أسر العبد في قلبه من العقائد والنيات، وما أخفى من الأعمال، وبلاؤها هو تعرفها والاطلاع عليها، وروي: عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أن السرائر: الإيمان، والصلاة، والزكاة، والغسل من الجنابة، وهذه معظمها، فلذلك خصها بالذكر. والعامل في يوم قوله: ﴿رَجْعِهِۦ﴾ أي يرجعه يوم تبلى السرائر، واعترض بالفصل بينهما، وأجيب

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤١٥/١٠، والطبري في جامع البيان: ٣٥٤/٢٤.

بقوة المصدر في العمل، وقيل: العامل قادر واعترض بتخصيص القدرة بذلك اليوم، وهذا لا يلزم؛ لأن القدرة وإن كانت مطلقة فقد أخبر الله أن البعث إنما يقع في ذلك اليوم، وقال من احترز من الاعتراضين في القولين المتقدمين: العامل فعل مضمر من المعنى، تقديره: يرجعه يوم تبلى السرائر، وهذا كله على المعنى الصحيح في رجعه، وأما على الأقوال الأخر فالعامل في يوم مضمر تقديره: اذكر.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ الضمير للإنسان ولما كان دفع المكاره في الدنيا إما بقوة الإنسان أو بنصرة غيره له أخبره الله أنه يعدمها يوم القيامة.

﴿وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ المراد بالرجع عند الجمهور المطر وسماه رجعا بالمصدر لأنه يرجع كل عام، أو لأنه يرجع إلى الأرض، وقيل: الرجع السحاب الذي فيه المطر، وقيل: هو مصدر رجوع الشمس والكواكب من منزلة إلى منزلة.

﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ يعني ما تصدع عنه الأرض من النبات، وقيل: يعني ما في الأرض من الشقاق والخنادق وشبهها.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ الضمير للقرآن؛ لأن سياق الكلام يقتضيه والفصل معناه الذي فصل بين الحق والباطل، كما قيل له: فرقان، والهزل: اللهو، يعني أنه جد كله.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ الضمير لكفار قريش، وكيدهم هو ما دبروه في شأن رسول الله ﷺ من الإضرار به وإبطال أمره. ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ هذا تسمية للعقوبة باسم الذنب للمشاكلة بين الفعلين.

﴿فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ﴾ أي لا تستعجل عليهم بالعقوبة لهم، أو بالدعاء عليهم وهذا منسوخ بالسيف ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أي إمهالا يسيرا قليلا، يعني إلى قتلهم يوم بدر، أو إلى الدار الآخرة، وجعله يسيرا؛ لأن كل آت قريب ولفظ رويدا هذا صفة لمصدر محذوف، وقد تقع بمعنى الأمر بالتساهل، كقولك: رويدا يا فلان، وكرر الأمر في قوله: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ وخالف بينه وبين لفظ مهل لزيادة التسكين والتصبير، قاله الزمخشري.

سورة الأعلى جل جلاله

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ التسبيح في اللغة التنزيه وذكر الاسم هنا يحتمل وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد المسمى ويكون الاسم صلة كالزائد، ومعنى الكلام سبح ربك أي نزهه عما لا يليق به، وقد يتخرج ذلك على قول من قال إن الاسم هو المسمى.

والآخر: أن يكون الاسم مقصودا بالذكر، ويحتمل المعنى على هذا أربعة أوجه:

الأول: تنزيه أسماء الله تعالى عن المعاني الباطلة، كالتشبيه والتعطيل.

الثاني: تنزيه أسماء الله عن أن يسمى بها صنم أو وثن.

الثالث: تنزيه أسماء الله عن أن تذكر في حال الغفلة دون خشوع.

الرابع: أن المراد قول سبحان الله، ولما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم، أوقع التسبيح على الاسم وهذا القول هو الصحيح ويؤيده ما ورد عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ هذه الآية، قال: «سبحان ربي الأعلى» وأنها لما نزلت قال[1]: «اجعلوها في سجودكم» فدل ذلك على أن المراد هو التسبيح باللسان مع موافقة القلب ولا بد في التسبيح باللسان من ذكر اسم الله تعالى فلذلك قال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ مع أن التسبيح في الحقيقة إنما هو لله تعالى، لا لاسمه، وإنما ذكر الاسم لأنه هو الذي يوصل به إلى التسبيح باللسان، وعلى هذا يكون موافقا في المعنى لقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ لأن معناه نزه الله بذكر اسمه، ويؤيد هذا: ما روي: عن ابن عباس[2] أن معنى سبح صل باسم ربك، أي صل واذكر في

(١) صحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٦٧٠).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٤٠.

الصلاة اسم ربك، والأعلى يحتمل أن يكون صفة للرب، أو للاسم، والأول أظهر.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ حذف مفعول خلق وسوى لقصد الإجمال الذي يفيد العموم، والمراد خلق كل شيء فسواه، أي أتقن خلقته، وانظر ما ذكرنا في قوله: ﴿فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ قدر بالتشديد يحتمل أن يكون من القدر والقضاء أو من التقدير والموازنة بين الأشياء، وقرئ[1] بالتخفيف، فيحتمل أن يكون من القدرة أو التقدير، وحذف المفعول ليفيد العموم، فإن كان من التقدير، فالمعنى: قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه إليه وعرفه وجه الانتفاع به، وقيل: هدى ذكور الحيوان إلى وطء الإناث لبقاء النسل، وقيل: هدى المولود عند وضعه إلى مص الثدي، وقيل: هدى الناس للخير والشر، والبهائم للمراتع، وهذه الأقوال أمثلة، والأول أعم وأرجح فإن هداية الإنسان وسائر الحيوانات إلى مصالحها باب واسع فيه عجائب وغرائب، وقال الفراء: المعنى هدى وأضل واكتفى بالواحدة لدلالتها على الأخرى، وهذا بعيد.

﴿وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ المرعى هو النبات الذي ترعاه البهائم، والغثاء هو النبات اليابس المحتطم، وأحوى معناه أسود وهو صفة لغثاء، والمعنى: أن الله أخرج المرعى أخضر فجعله بعد خضرته غثاء أسود؛ لأن الغثاء إذا قدم تعفن واسود، وقيل: إن أحوى حال من المرعى، ومعناه الأخضر الذي يضرب إلى السواد، وتقديره: الذي أخرج المرعى أحوى فجعله غثاء، وفي هذا القول تكلف.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ هذا خطاب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعده الله أن يقرئه القرآن فلا ينساه، وفي ذلك معجزة له عليه الصلاة والسلام لأنه كان أميا لا يكتب، وكان مع ذلك لا ينسى ما أقرأه جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من القرآن، وقيل: معنى الآية كقوله:

(١) ﴿قدر فهدى﴾ قرأ الكسائيُّ بتخفيف الدال، والباقون بالتشديد. السبعة في القراآت، ص: ٦٨٠.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ الآية فإنه عليه الصلاة والسلام كان يحرك به لسانه إذا أقرأه جبريل خوفا أن ينساه، فضمن الله له أن لا ينساه، وقيل: فلا تنسى نهي عن النسيان، وقد علم الله أن ترك النسيان ليس في قدرة البشر، فالمراد الأمر بتعاهده حتى لا ينساه، وهذا بعيد لإثبات الألف في تنسى.

﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه لا تنسى إلا ما شاء الله أن تنساه، كقوله: ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾.

والآخر: أنه لا ينسى شيئا، ولكن قال: إلا ما شاء الله تعظيما لله بإسناد الأمر إليه، كقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَآءَ﴾ على بعض الأقوال، وعبر الزمخشري عن هذا بأنه من استعمال التقليل في معنى النفي، والأول أظهر فإن النسيان جائز على النبي ﷺ فيما أراد الله أن يرفعه من القرآن، أو فيما قضى الله أن ينساه ثم يذكره، ومن هذا قول النبي ﷺ حين سمع قراءة عباد بن بشير: «رحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت قد نسيتها»[1].

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ عطف على سنقرؤك ومعناه نوفقك للأمور المرضية التي توجب لك السعادة، وقيل: معناه للشريعة اليسرى من قوله عليه الصلاة والسلام «دين الله يسر»[2] أي سهل لا حرج فيه.

﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ المراد بهذا الشرط توبيخ الكفار الذين لا تنفعهم الذكرى، واستبعاد تأثير الذكرى في قلوبهم كقولك: قد أوصيتك لو سمعت، وقيل: المعنى ذكر إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع، واقتصر على أحد القسمين لدلالة الآخر عليه، وهذا بعيد، وليس عليه الرونق الذي على الأول.

---

(١) في الصحيحين وغيرهما... سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال: «يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا» البخاري رقم: (٤٧٥٠)، ومسلم الحديث رقم: (١٨٧٤) وزاد عباد بن عبد الله عن عائشة: تهجد النبي ﷺ في بيتي فسمع صوت عباد يصلي في المسجد فقال: يا عائشة أصوت عباد هذا؟. قلت: نعم، قال: اللهم ارحم عبادا. البخاري ٢٥١٢.

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنْ الدُّلْجَةِ». البخاري، باب الدين يسر، رقم: (٣٩).

﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ أي من يخاف الله. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ يعني الكافر، وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة، والضمير المفعول للذكرى.

﴿ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ هي نار جهنم وسماها كبرى بالنظر إلى نار الدنيا، وقيل: سماها كبرى بالنظر إلى غيرها من نار جهنم، فإنها تتفاضل وبعضها أكبر من بعض، وكلا القولين صحيح إلا أن الأول أظهر ويؤيده قول رسول الله ﷺ: «ناركم هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»[1].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ أي لا يموت فيستريح ولا يحيا حياة هنيئة، وعطف هذه الجملة بثم لأن هذه الحالة أشد من صلي النار، فكأنها بعده في الشدة.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ يحتمل أن يكون بمعنى الطهارة من الشرك والمعاصي، أو بمعنى الطهارة للصلاة، أو بمعنى أداء الزكاة، وعلى هذا قال جماعة إنها يوم الفطر، والمعنى أدى زكاة الفطر.

﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ﴾ في طريق المصلى إلى أن يخرج الإمام، وصلى صلاة العيد، وقد روي[2]: هذا عن النبي ﷺ، وقيل: المراد أدى زكاة ماله وصلى الصلوات الخمس.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ الإشارة إلى ما ذكر من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، أو إلى ما تضمنته السورة، أو إلى القرآن بجملته، والمعنى: أنه ثابت في كتب الأنبياء المتقدمين كما ثبت في هذا الكتاب.

---

(١) في صحيح مسلم: «نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ، قَالُوا وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا» مسلم الحديث رقم: (٧٣٤٤)، وأخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين الحديث رقم: (٨٧٥٣)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٨٩).

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٤٢.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ الْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ۞ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

ثمن

سورة الغاشية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ توقيف يراد به التنبيه والتفخيم للأمر، وقيل: هل بمعنى قد وهذا ضعيف. ﴿الْغَٰشِيَةِ﴾ هي القيامة لأنها تغشى جميع الخلق، وقيل: هي النار من قوله: ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ وهذا ضعيف لأنه ذكر بعد ذلك قسمين: أهل الشقاوة وأهل السعادة.

﴿خَٰشِعَةٌ﴾ أي ذليلة.

﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، وفي المراد بهم ثلاثة أقوال:

أحدها: أنهم الكفار، ويحتمل على هذا أن يكون عملهم ونصبهم في الدنيا لأنهم كانوا يعملون أعمال السوء ويتعبون فيها، أو يكون في الآخرة فيعملون فيها عملا يتعبون فيه من جر السلاسل والأغلال وشبه ذلك، ويكون زيادة في عذابهم.

الثاني: أنها في الرهبان الذين يجتهدون في العبادة ولا تقبل منهم لأنهم على غير الإسلام، وبهذا تأولها عمر بن الخطاب رضي الله عنه[(١)] وبكى رحمة لراهب نصراني رآه مجتهدا، فعاملة ناصبة على هذا في الدنيا، وناصبة إشارة إلى اجتهادهم في العمل، أو إلى أنه لا ينفعهم فليس لهم منه إلا النصب.

الثالث: أنها في القدرية، وقد روي[(٢)]: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر القدرية فبكى، وقال: إن فيهم المجتهد.

---

(١) لم أجده مسندا وهو في المحرر الوجيز: ٥/٤٤٣.

(٢) المحرر الوجيز المصدر السابق.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ أي شديدة الحر ومنه حميم آن ووزن آنية هنا فاعلة بخلاف آنية من فضة فإن وزنه أفعله.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ﴾ في الضريع أربعة أقوال:

أحدها: أنه شوك يقال له الشبرق وهو سم قاتل، وهذا أرجح الأقوال؛ لأن أرباب اللغة ذكروه، ولأن النبي ﷺ قال: الضريع: شوك في النار[1].

الثاني: أنه الزقوم لقوله: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾.

الثالث: أنه نبات أخضر منتن ينبت في البحر وهذا ضعيف.

الرابع: أنه واد في جهنم وهذا ضعيف؛ لأن ما يجرى في الوادي ليس بطعام إنما هو شراب، ولله در من قال: الضريع طعام أهل النار، فإنه أعم وأسلم من عهدة التعيين، واشتقاقه عند بعضهم من المضارعة بمعنى المشابهة لأنه يشبه الطعام الطيب وليس به، وقيل: هو بمعنى مضرع للبدن أي مضعف، وقيل: إن العرب لا تعرف هذا اللفظ.

فإن قيل: كيف قال هنا ليس لهم طعام إلا من ضريع، وقال في الحاقة: ولا طعام إلا من غسلين؟ فالجواب: أن الضريع لقوم والغسلين لقوم أو يكون أحدهما في حال والآخر في حال.

﴿لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ هذه الجملة صفة لضريع، أو لطعام نفي عنه منفعة الطعام وهي التسمين وإزالة الجوع.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ أي متنعمة في الجنة أو يظهر عليها نضرة النعيم.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ أي راضية في الآخرة لأجل سعيها وهو عملها في الدنيا.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ يحتمل أن يكون من علو المكان أو من علو المقدار أو الوجهين.

---

(١) لم أجده مسندا، وأورده الثعالبي في تفسيره: ٤/٤٠٨، وقال: وهذا إن صح فلا يعدل عنه..

﴿لاَّ تُسْمَعُ فِيهَا لاَغِيَةٌ﴾ هو من لغو الكلام ومعناه الفحش وما يكره فيحتمل أن يريد كلمة لاغية، أو جماعة لاغية.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ يحتمل أن يريد جنس العيون أو واحدة شرفها بالتعيين.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ قد ذكرنا أكوابا ومعنى موضوعة: حاضرة معدة بشرابها، وفي قوله: ﴿مَّرْفُوعَةٌ﴾ وموضوعة مطابقة.

﴿وَنَمَارِقُ﴾ جمع نمرقة وهي الوسادة.

﴿وَزَرَابِيُّ﴾ هي بسط فاخرة، وقيل: هي الطنافس واحدها زربية. ﴿مَبْثُوثَةٌ﴾ أي متفرقة، وذلك عبارة عن كثرتها، وقيل: مبسوطة.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ﴾ حض على النظر في خلقتها لما فيها من العجائب في قوتها، وانقيادها مع ذلك لكل ضعيف، وصبرها على العطش، وكثرة المنافع التي فيها من الركوب والحمل عليها وأكل لحومها وشرب ألبانها وأبوالها، وغير ذلك، وقيل: أراد بالإبل السحاب وهذا بعيد، وإنما حمل قائله عليه مناسبتها للسماء والأرض والجبال، والصحيح أن المراد الحيوان المعروف، وإنما ذكره لما فيه من العجائب، ولاعتناء العرب به إذ كانت معايشهم في الغالب منه، وهو أكثر المواشي في بلادهم.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي قاهر متسلط وهذا من المنسوخ بالسيف.

﴿إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ﴾ استثناء منقطع معناه: لكن من تولى. ﴿وَكَفَرَ ۝ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ﴾ وقيل: هو استثناء من مفعول فذكر، والمعنى: ذكر كل أحد إلا من تولى حتى يئست منه، فهو على هذا متصل، وقيل: هو استثناء من قوله: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ أي لا تسلط إلا على من تولى وكفر، وهو على هذا متصل ولا نسخ فيه إذ لا موادعة فيه، وهذا بعيد؛ لأن السورة مكية والموادعة بمكة ثابتة.

﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ﴾ أي رجوعهم، والآية تهديد.

سُورَةُ الفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ ﴿١٥﴾ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ﴿١٧﴾ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٨﴾ كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٢٠﴾ وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿٢١﴾ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٢﴾ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢٣﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٤﴾ وَجِاْيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ﴿٢٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٦﴾

سورة الفجر

﴿وَالْفَجْرِ﴾ أقسم الله تعالى بالفجر وهو الطالع كل يوم، كما أقسم بالصبح، وقيل: أراد صلاة الفجر، وقيل: أراد النهار كله، وقيل: فجر يوم الجمعة، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: فجر ذي الحجة، ولا دليل على هذه التخصيصات، وقيل: أراد انفجار العيون من الحجارة، وهذا بعيد، والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ هي عشر ذي الحجة عند الجمهور، وقيل: العشر الأول من المحرم وفيها عاشوراء، وقيل: العشر الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول منه.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾ روي[1] عن النبي ﷺ: أن الشفع يوم النحر والوتر يوم عرفة، وروي عنه عليه الصلاة والسلام: أنها الصلوات منها شفع ووتر، وقيل: الشفع التنفل بالصلاة مثنى مثنى والوتر الركعة الواحدة المعروفة، وقيل: الشفع العالم والوتر الله لأنه واحد، وقيل: الشفع آدم وحواء والوتر الله تعالى، وقيل: الشفع الصفا والمروة والوتر البيت الحرام، وقيل: الشفع أبواب الجنة لأنها ثمانية، والوتر أبواب النار لأنها سبعة، وقيل: الشفع قران الحج والوتر إفراده، وقيل: المراد الأعداد منها شفع ووتر فهذه عشرة أقوال وقرئ[2] الوتر بفتح الواو وكسرها وهما لغتان.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أي إذا يذهب فهو كقوله: ﴿وَالَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾، وقيل: أراد

---

(١) انظر المحرر الوجيز ٥/٤٤٧.

(٢) قال الداني: قرأ حمزة والكسائي ﴿والوتر﴾ بكسر الواو، والباقون بفتحها. التيسير، ص: ١٤٠.

يسرى فيه، فهو على هذا كقولهم: ليله قائم، والمراد على هذا ليلة جمع؛ لأنها التي يسرى فيها، والأول أشهر وأظهر.

﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ هذا توقيف يراد به تعظيم الأشياء التي أقسم بها، والحجر هنا: هو العقل كأنه يقول: إن هذا لقسم عظيم عند ذوى العقول، وجواب القسم محذوف، وهو ليأخذن الله الكفار، ويدل على ذلك ما ذكره بعده من أخذ عاد وثمود وفرعون.

﴿إِرَمَ﴾ هي قبيلة عاد سميت باسم أحد أجدادها، كما يقال: هاشم لبني هاشم، وإعرابه بدل من عاد، أو عطف بيان، وفائدته أن المراد عاد الأولى فإن عادا الثانية لا يسمون بهذا الاسم، وقيل: إرم اسم مدينتهم فهو على حذف مضاف تقديره: بعاد عاد إرم، ويدل على هذا قراءة ابن الزبير[(١)] بعاد أرم على الإضافة من غير تنوين عاد، وامتنع ﴿إِرَمَ﴾ من الصرف على القولين للتعريف والتأنيث. ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ من قال إرم قبيلة قال: العماد أعمدة بنيانهم أو أعمدة بيوتهم من الشعر لأنهم كانوا أهل عمود، وقال ابن عباس[(٢)] ذلك كناية عن طول أبدانهم، ومن قال: إرم مدينة فالعماد الحجارة التي بنيت بها، وقيل: القصور والأبراج.

﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ صفة للقبيلة لأنهم كانوا أعظم الناس أجساما يقال كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع، أو صفة للمدينة وهذا أظهر لقوله في البلاد ولأنها كانت أحسن مدائن الدنيا وروي: أنها بناها شداد بن عاد في ثلاثمائة عام، وكان عمره تسعمائة عام، وجعل قصورها من الذهب والفضة، وأساطينها من الزبرجد والياقوت، وفيها أنواع الشجر والأنهار الجارية، وروي: أنه سمع ذكر الجنة فأراد أن يعمل مثلها، فلما أتمها وسار إليها بأهل مملكته أهلكهم

(١) قال ابن عطية: وقرأ ابن الزبير: «أرم ذات العماد» بفتح الهمزة وكسر الراء، وهي لغة في المدينة. المحرر الوجيز: ٤٤٩/٥.

(٢) تفسير البحر المحيط: ٤٦٤/٨، والمحرر الوجيز الموضع السابق.

الله بصيحة، وكانت هذه المدينة باليمن وروي: أن بعض المسلمين مر بها في خلافة معاوية، وقيل: هي دمشق، وقيل: الإسكندرية، وهذا ضعيف.

﴿جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ أي نقبوه ونحتوا فيه بيوتا والوادي ما بين الجبلين وإن لم يكن فيه ماء، وقيل: أراد وادي القرى ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ ذكر في سورة داود.

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَادِ﴾ صفة لعاد وثمود وفرعون، ويجوز أن يكون منصوبا على الذم أو خبر ابتداء مضمر.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ استعارة السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار مالا يقتضيه السيف وغيره قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: ذكر السوط إشارة إلى عذاب الدنيا إذ هو أهون من عذاب الآخرة، كما أن السوط أهون من القتل.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ عبارة عن أنه تعالى حاضر بعلمه في كل مكان وكل زمان، ورقيب على كل إنسان، وأنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش وغيرهم، والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الرصد.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ الابتلاء هو الاختبار واختبار الله لعبده لتقوم الحجة على العبد بما يبدو منه وقد كان الله عالما بذلك قبل كونه، والإنسان هنا جنس، وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وهي مع ذلك على العموم فيمن كان على هذه الصفة، وذكر الله في هذه الآية ابتلاءه للإنسان بالخير ثم ذكر بعده ابتلاءه بالشر كما قال في: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ وأنكر عليه قوله حين الخير: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ وقوله حين الشر: ﴿رَبِّىٓ أَهَانَنِ﴾ ويتعلق بالآية سؤالان: السؤال الأول: لم أنكر الله على الإنسان قوله: ﴿رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ و﴿رَبِّىٓ أَهَانَنِ﴾؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن الإنسان يقول: ربي أكرمني على وجه الفخر بذلك والكبر، لا على وجه الشكر، ويقول: ربي أهانن على وجه التشكي من الله وقلة الصبر والتسليم لقضاء الله، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك، فإن الواجب عليه أن يشكر على الخير ويصبر على الشر.

والآخر: أن الإنسان اعتبر الدنيا فجعل بسط الرزق فيها كرامة، وتضييقه إهانة، وليس الأمر كذلك، فإن الله قد يبسط الرزق لأعدائه ويضيقه على أوليائه، فأنكر الله عليه اعتبار الدنيا والغفلة عن الآخرة، وهذا الإنكار من هذا الوجه على المؤمن، وأما الكافر فإنما اعتبر الدنيا لأنه لا يصدق بالآخرة ويرى أن الدنيا هي الغاية، فأنكر عليه ما يقتضيه كلامه من ذلك.

السؤال الثاني: إن قيل: قد قال الله ﴿فَأَكۡرَمَهُۥ﴾ فأثبت إكرامه فكيف أنكر عليه قوله ربي أكرمن؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: أنه لم ينكر عليه ذكره للإكرام، وإنما أنكر عليه ما يدل عليه كلامه من الفخر وقلة الشكر، أو من اعتبار الدنيا دون الآخرة حسبما ذكرنا في معنى الإنكار.

الثاني: أنه أنكر عليه قوله: ﴿رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ إذا اعتقد أن إكرام الله له باستحقاقه للإكرام على وجه التفضل والإنعام كقول قارون: إنما أوتيته على علم عندي.

الثالث: أن الإنكار إنما هو لقوله: ﴿رَبِّيٓ أَهَانَنِ﴾ لا لقوله ﴿رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾ فإن قوله ربي أكرمني اعتراف بنعمة الله، وقوله: ﴿رَبِّيٓ أَهَانَنِ﴾ شكاية من فعل الله.

﴿فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ﴾ أي ضيقه وقرئ[1] بتشديد الدال وتخفيفها بمعنى واحد وفي التشديد مبالغة، وقيل: معنى التشديد جعله على قدر معلوم.

---

(١) ﴿فقدر﴾ قرأ أبو جعفر وابن عامر بتشديد الدال، وقرأ الباقون بتخفيفها. النشر: ٢/٤٤١.

﴿كَلَّا﴾ زجر عما أنكر من قول الإنسان. ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ هذا ذم لما ذكر من الأعمال القبيحة، ومعنى هذا الإضراب ببل كأنه أنكر على الإنسان ما تقدم، ثم قال بل تفعلون ما هو شر من ذلك، وهو: أن لا تكرموا اليتيم وما ذكر بعده، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1]: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم».

﴿وَلَا تَحُضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ الحض على الأمر هو الترغيب فيه ومن لا يحض غيره على أمر فلا يفعله هو كأنه ذم لترك طعام المسكين والطعام هنا بمعنى الإطعام وقيل: هو على حذف مضاف تقديره: لا تحضون على بذل طعام المسكين، وقرئ[2] تحاضون بفتح الحاء وألف بعدها بمعنى لا يحض بعضكم بعضا.

﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ التراث هو ما يورث عن الميت من المال، والتاء فيه بدل من الواو، واللم: الجمع واللف، والتقدير: أكلا ذا لم وهو أن يأخذ في الميراث نصيبه ونصيب غيره؛ لأن العرب كانوا لا يعطون من الميراث أنثى ولا صغيرا بل ينفرد به الرجال.

﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ أي شديدا كثيرا، وهذا ذم للحرص على المال وشدة الرغبة فيه.

﴿دُكَّتِ الْأَرْضُ﴾ أي سويت جبالها. ﴿دَكًّا دَكًّا﴾ أي دكا بعد دك كما تقول: تعلمت العلم بابا بابا.

﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ تأويله عند المتأولين جاء أمره وسلطانه، وقال المنذر بن

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (١١٠٣٧)، والمعجم الكبير للطبراني بلفظ: «إن أحب» الحديث رقم: (١٣٤٣٤).

(٢) قال ابن الجزري: وأثبت الألف بعد الحاء في ﴿تحاضون﴾ أبو جعفر والكوفيون ويمدون للساكن. النشر: ٢/٤٤١.

سعيد: معناه ظهوره للخلق هنالك، وهذه الآية وأمثالها من المشكلات التي يجب الإيمان بها من غير تكييف ولا تمثيل. ﴿وَالْمَلَكُ﴾ هو اسم جنس، فإنه روي: أن الملائكة كلهم يكونون صفوفا حول الأرض. ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ أي صفا بعد صف قد أحدقوا بالجن والإنس.

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى يومئذ بجهنم معها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**[(١)].

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَانُ﴾ يومئذ بدل من إذا دكت ويتذكر هو العامل وهو جواب إذا دكت، والمعنى: أن الإنسان يتذكر يوم القيامة لأعماله في الدنيا ويندم على تفريطه وعصيانه، والإنسان هنا جنس، وقيل: يعني عتبة بن ربيعة، وقيل: أمية بن خلف. ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ هذا على حذف تقديره: أنى له الانتفاع بالذكرى كما تقول ندم حين لم تنفعه الندامة.

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أنه يريد الحياة في الآخرة فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا للآخرة.

والآخر: أنه يريد الحياة الدنيا، فالمعنى: يا ليتني قدمت عملا صالحا وقت حياتي فاللام على هذا كقوله كتبت لعشر من الشهر.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ من قرأ بكسر الذال من يعذب[(٢)] والثاء من يوثق فالضمير في عذابه ووثاقه لله تعالى والمعنى أن الله يتولى عذاب الكفار ولا

---

(١) مسلم الحديث رقم: (٧٣٤٣)، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٧٣)، والمستدرك الحديث رقم: (٨٧٥٨).

(٢) ﴿لاَّ يُعَذِّبُ﴾، ﴿وَلَا يُوثِقُ﴾ قرأ يعقوب والكسائي بفتح الذال والثاء، وقرأ الباقون بكسرهما. النشر: ٢/٤٤١.

يكله إلى أحد، ومن قرأ بالفتح فالضمير للإنسان أي لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق أحد مثل وثاقه وهذه قراءة الكسائي، وروي أن أبا عمرو رجع إليها وهي قراءة حسنة وقد رويت عن رسول الله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ أي الموقنة يقينا قد اطمأنت به بحيث لا يتطرق إليها شك في الإيمان وقيل: المطمئنة التي لا تخاف حينئذ ويؤيد هذا قراءة أبي بن كعب[١]: (يا أيتها النفس الآمنة المطمئنة).

﴿ارْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ هذا الخطاب والنداء يكون عند الموت، وقيل: عند البعث، وقيل: عند انصراف الناس إلى الجنة أو النار، والأول أرجح؛ لما روي: أن أبا بكر سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: له يا أبا بكر إن الملك سيقولها لك عند موتك[٢]. ﴿رَاضِيَةً﴾ معناه راضية بما أعطاها الله أو راضية عن الله، ومعنى المرضية: مرضية عند الله، أو أرضاها الله بما أعطاها.

﴿فَادْخُلِى فِى عِبَٰدِى﴾ أي ادخلي في جملة عبادي الصالحين، وقرئ[٣] «فادخلي في عبدي» بالتوحيد معناه ادخلي في جسده، وهو خطاب للنفس ونزلت هذه الآية في حمزة، وقيل: في خبيب بن عدي، الذي صلبه الكفار بمكة، ولفظها يعم كل نفس مطمئنة.

*** *** ***

(١) قال الطبري في جامع البيان: وُذكر أن ذلك في قراءة أُبيّ ﴿يا أيَّتُها النَّفْسُ الآمِنَةُ﴾ ٢٤/٤٢٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٥٣.

(٣) قرأ أبي «في عبدي» المحرر الوجيز: ٥/٤٥٤.

يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

سُورَةُ البَلَدِ — آياتها ٢٠ — ترتيبها ٩٠

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الشَّمْسِ — آياتها ١٥ — ترتيبها ٩١

ربع

سورة البلد

﴿لاَ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أراد مكة باتفاق، وأقسم بها تشريفا لها ولا زائدة.

﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ هذه جملة اعتراض بين القسم وما بعده، وفي معناها ثلاثة أقوال:

أحدها: أن المعنى أنت حال بهذا البلد أي ساكن لأن السورة نزلت والنبي ﷺ بمكة.

والآخر: أن معنى حل تستحل حرمتك ويؤذيك الكفار مع أن مكة لا يحل فيها قتل صيد ولا بشر ولا قطع شجر، وعلى هذا قيل: لا أقسم يعني: لا أقسم بهذا البلد وأنت تلحقك فيه إذاية.

الثالث: أن معنى حل حلال يجوز لك في هذا البلد ما شئت من قتلك الكفار وغير ذلك مما لا يجوز لغيرك، وهذا هو الأظهر لقوله ﷺ[1]: **«إن هذا البلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض لم يحل لأحد قبلي ولا يحل لأحد بعدي، وإنما أحل لي ساعة من نهار»** يعني يوم فتح مكة، وفي ذلك اليوم أمر عليه الصلاة والسلام بقتل ابن خطل[2] وهو متعلق بأستار الكعبة.

فإن قيل: إن السورة مكية وفتح مكة كان عام ثمانية من الهجرة؟ **فالجواب:**

---

(١) معناه في صحيح ابن حبان الحديث رقم: (٣٧٢٠)، وسنن النسائي الحديث رقم: (٢٨٧٥)، ومسند الإمام أحمد الحديث رقم: (٢٨٩٨)، وسنن البيهقي الحديث رقم: (١١٨٩٨).

(٢) البخاري الحديث رقم (٤٠٣٥) ومسلم الحديث رقم (٣٣٧٤) وغيرهما.

أن هذا وعد بفتح مكة كما تقول لمن تعده بالكرامة أنت مكرم يعني فيما يستقبل، وقيل: إن السورة على هذا مدنية نزلت يوم الفتح وهذا ضعيف.

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ فيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه أراد آدم وجميع ولده. الثاني: نوح وولده. الثالث: إبراهيم وولده. الرابع: سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وولده. الخامس: جنس كل والد ومولود، وإنما قال ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ ولم يقل ومن ولد إشارة إلى تعظيم المولود كقوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قاله الزمخشري.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي يكابد المشقات من هموم الدنيا والآخرة، قال بعضهم: لا يكابد أحد من المخلوقات ما يكابد ابن آدم، وأصل الكبد من قولك: كبد الرجل فهو أكبد إذا وجعت كبده، وقيل: معنى في كبد واقفا منتصب القامة وهذا ضعيف، والإنسان على هذين القولين جنس، وقيل: الإنسان آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعنى ﴿فِي كَبَدٍ﴾ على هذا في السماء وهذا ضعيف والأول هو الصحيح.

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أن معناه أيظن أن لن يقدر أحد على بعثه وجزائه.

والآخر: أيظن أن لن يقدر أحد أن يغلبه، فعلى الأول نزلت في جنس الإنسان الكافر، وعلى الثاني نزلت في رجل معين وهو أبو الأشد، رجل من قريش كان شديد القوة، وقيل: عمرو بن عبد ود، وهو الذي اقتحم الخندق بالمدينة وقتله علي بن أبي طالب.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾ أي كثيرا وقرئ[1] لبدا بضم اللام وكسرها،

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ مجاهد ﴿لبدا﴾ بضمهما وذلك جمع لبدة أو جمع لبود بفتح اللام وقرأ أبو جعفر يزيد ﴿لبدا﴾ بضم اللام وفتح الباء وشدها فيكون مفردا نحو زمل، ويكون جمع لابد، وقد روي عن أبي جعفر ﴿لبدا﴾ بسكون الباء والمعنى في هذه القراءات كلها: مالا كثيرا متلبدا=

وهو جمع لبدة بالضم والكسر بمعنى الكثرة، ونزلت الآية عند قوم في الوليد بن المغيرة فإنه أنفق مالا في إفساد أمر رسول الله ﷺ، وقيل: في الحرث بن عامر بن نوفل، وكان قد أسلم وأنفق في الصدقات والكفارات فقال: لقد أهلكت مالي منذ تبعت محمدا.

﴿أَيَحْسِبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ يحتمل أن يكون هذا تكذيبا له في قوله أهلكت مالا لبدا، أو إشارة إلى أنه أنفقه رياء.

﴿وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ أي طريقي الخير والشر فهو كقوله: ﴿إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ وليس الهدى هنا بمعنى الإرشاد، وقيل: يعني ثديي الأم.

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ الاقتحام الدخول بشدة ومشقة، والعقبة عبارة عن الأعمال الصالحة المذكورة بعد، وجعلها عقبة استعارة من عقبة الجبل؛ لأنها تصعب ويشق صعودها على النفوس، وقيل: هو جبل في جهنم له عقبة لا يجاوزها إلا من عمل هذه الأعمال، ولا هنا تخصيص بمعنى هلا، وقيل: هي دعاء، وقيل: هي نافية واعترض هذا القول بأن لا النافية إذا دخلت على الفعل الماضي لزم تكرارها، وأجاب الزمخشري بأنها مكررة في المعنى، والتقدير: فلا اقتحم العقبة ولا فك رقبة ولا أطعم مسكينا، وقال الزجاج: قوله: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يدل على التكرار لأن التقدير فلا اقتحم العقبة ولا آمن.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ تعظيم للعقبة، ثم فسرها بفك الرقبة وهو إعتاقها وبالإطعام، وقرئ[1] فك رقبة بضم الكاف وخفض الرقبة وهو على هذا تفسير

= بعضه فوق بعض، من التكاثف والكثرة. المحرر الوجيز: ٥/٤٥٥، وقال ابن الجزري في النشر٢/٤٠١: واختلفوا في (مالا لبدا) فقرأ أبو جعفر بتشديد الباء، وقرأ الباقون بتخفيفها.

(١) ﴿فك رقبة أو إطعام﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فك﴾ بفتح الكاف ﴿رقبة﴾ بالنصب ﴿أو أطعم﴾ بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها. وقرأ الباقون: برفع ﴿فك﴾ وخفض ﴿رقبة﴾، ﴿إطعام﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها. النشر: ٢/٤٤١.

للعقبة وبفتح الكاف ونصب الرقبة وهو تفسير لاقتحم وفك الرقبة هو عتقها قال رسول الله ﷺ[1]: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار»، وقال أعرابي لرسول الله ﷺ: «دلني على عمل أنجو به فقال: فك الرقبة وأعتق النسمة، فقال الأعرابي أليس هذا واحدا؟ فقال رسول الله ﷺ: لا إعتاق النسمة أن تنفرد بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في ثمنها»[2] وأما فك أساري المسلمين من أيدي الكافرين فإنه أعظم أجرا من العتق؛ لأنه واجب ولو استغرقت فيه أموال المسلمين، ولكنه لا يجزئ في الكفارات عن عتق رقبة.

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ﴾ من قرأ فك بالرفع قرأ إطعام فعطف مصدرا على مصدر ومن قرأ[3] فك بالفتح قرأ أطعم بفتح الهمزة والميم، فعطف فعلا على فعل. ﴿فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾ أي مجاعة، يقال: سغب الرجل إذا جاع.

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾ أي ذا قرابة ففيه أجر إطعام اليتيم وصلة الرحم.

﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾ أي ذا حاجة، يقال: ترب الرجل إذا افتقر وهو مأخوذ من الصدقة بالتراب، وروي: عن النبي ﷺ أنه الذي مأواه المزابل.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم هنا للتراخي في الرتبة لا في الزمان، وفيها إشارة إلى أن الإيمان أعلى من العتق والإطعام، ولا يصح أن يكون للترتيب في الزمان؛ لأنه لا يلزم أن يكون الإيمان بعد العتق والإطعام، ولا يقبل عمل إلا من

---

(١) مسلم الحديث رقم: (٣٨٧٠)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٤٣٠٨)، وشرح السنة للبغوي: ١٣٨/٥، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (٤٨٧٤)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (١٥٤١).

(٢) شرح السنة للبغوي: ١٤١/٥، وشعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (٤٣٣٥)، وشرح مشكل الآثار للطحاوي الحديث رقم: (٢٣٠٢).

(٣) ﴿فك رقبة أو إطعام﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ﴿فك﴾ بفتح الكاف ﴿رقبة﴾ بالنصب ﴿أو أطعم﴾ بفتح الهمزة والميم من غير تنوين ولا ألف قبلها، وقرأ الباقون برفع ﴿فك﴾ وخفض ﴿رقبة﴾، ﴿إطعام﴾ بكسر الهمزة ورفع الميم مع التنوين وألف قبلها. النشر ٤٤١/٢.

مؤمن ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ﴾ أي وصى بعضهم بعضا بالصبر على قضاء الله، وكأن هذا إشارة إلى صبر المسلمين بمكة على إذاية الكفار. ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ﴾ أي وصى بعضهم بعضا برحمة المساكين وغيرهم، وقيل: الرحمة كل ما يؤدي إلى رحمة الله.

﴿الْمَيْمَنَةِ﴾ جهة اليمين و﴿الْمَشْئَمَةِ﴾ جهة الشمال، وروي: أن الميمنة عن يمين العرش، ويحتمل أن يكونا من اليمن والشؤم.

﴿نَارٌ مُّوصَدَةٌ﴾ أي مطبقة مغلقة يقال أوصدت الباب إذا أغلقته وفيه لغتان الهمزة وترك الهمزة.

❊❊ ❊❊ ❊❊

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥)

سُورَةُ اللَّيْلِ — آياتها ٢١ — ترتيبها ٩٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤)

سورة الشمس

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ الضحى ارتفاع الضوء وكماله والضحاء بالفتح والمد بعد ذلك إلى الزوال، وقيل: الضحى النهار كله والأول هو المعروف في اللغة.

﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي تبعها وفي اتباعه لها ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتبعها في كثرة الضوء لأنه أضوء الكواكب بعد الشمس ولا سيما ليلة البدر.

والآخر: أنه يتبعها في طلوعه لأنه يطلع بعد غروبها وذلك في النصف الأول من الشهر.

والثالث: أن تبعه لها: أخذه من نورها، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي كشفها وأظهرها، وضمير المفعول للشهر، وضمير الفاعل للنهار؛ لأن الشمس تنجلي بالنهار، فكأنه هو الذي جلاها، وقيل: الضمير الفاعل لله، وقيل: الضمير المفعول للظلمة أو الأرض أو الدنيا، وهذا كله بعيد؛ لأنه لم يتقدم ما يعود الضمير عليه.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يغطيها وضمير المفعول للشمس وضمير الفاعل لليل على الأصح.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ قيل: إن ما في قوله: وما بناها، وما طحاها، وما سواها، موصولة بمعنى من والمراد الله تعالى، وقيل: إنها مصدرية كأنه قال:

والسماء وبنيانها وضعف الزمخشري ذلك بقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ فإن المراد الله باتفاق وهذا القول يؤدي إلى فساد النظم، وضعف بعضهم كونها موصولة بتقديم ذكر المخلوقات على الخالق. فإن قيل: لم عدل عن من إلى قوله ما في قول من جعلها موصولة؟ فالجواب: أنه فعل ذلك لإرادة الوصفية كأنه قال: والقادر الذي بناها.

﴿طَحَـٰهَا﴾ أي مدها. ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ تسوية النفس إكمال عقلها وفهمها، فإن قيل: لم نكر النفس؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه أراد الجنس كقوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾.

والآخر: أنه أراد نفس آدم والأول هو المختار.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ أي عرفها طريق الفجور والتقوى وجعل لها قوة يصح معها اكتساب أحد الأمرين، ويحتمل أن تكون الواو بمعنى أو كقوله: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ هذا جواب القسم عند الجمهور، وقال الزمخشري: الجواب محذوف تقديره: ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم النبي ﷺ، كما دمدم على قوم ثمود لتكذيبهم صالحا عليه الصلاة والسلام، قال: وأما قد أفلح فكلام تابع لقوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ على سبيل الاستطراد وهذا بعيد، والفاعل بزكاها ضمير يعود على من والمعنى قد أفلح من زكى نفسه أي طهرها من الذنوب والعيوب، وقيل: الفاعل ضمير الله تعالى، والأول أظهر.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ أي حقرها بالكفر والمعاصي وأصله دسس بمعنى أخفى فكأنه أخفى نفسه لما حقرها وأبدل من السين الأخيرة حرف علة كقولهم: قصيت أظفاري وأصله قصصت.

﴿بِطَغْوَىٰهَا﴾ هو مصدر بمعنى الطغيان قلبت فيه الياء واوا على لغة من

يقول: طغيت، والباء الخافضة كقولك: كتبت بالقلم، أو سببية، والمعنى بسبب طغيانها، وقال ابن عباس[١] معناه كذبت ثمود بعذابها، ويؤيده قوله: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾.

﴿إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ العامل في إذ كذبت أو طغواها ومعنى انبعث خرج لعقر الناقة بسرعة ونشاط وأشقاها هو الذي عقر الناقة وهو أحيمر ثمود واسمه قدار بن سالف ويحتمل أن يكون أشقاها واقعا على جماعة لأن أفعل التي للتفضيل إذا أضفته يستوي فيه الواحد والجمع والأول أظهر وأشهر.

﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ يعني صالحا عَلَيْهِ السَّلَامُ. ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ منصوب بفعل مضمر تقديره احفظوا ناقة الله أو احذروا ناقة الله وسقياها شربها من الماء.

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ نسب العقر إلى جماعة لأنهم اتفقوا عليه وباشره واحد منهم.

﴿فَدَمْدَمَ﴾ عبارة عن إنزال العذاب بهم وفيه تهويل. ﴿بِذَنبِهِمْ﴾ أي بسبب ذنبهم وهو التكذيب أو عقر الناقة. ﴿فَسَوَّاهَا﴾ قال ابن عطية معناه فسوى القبيلة في الهلاك لم يفلت أحد منهم وقال الزمخشري الضمير للدمدمة أي سواها بينهم.

﴿فَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ ضمير الفاعل لله تعالى والضمير في عقباها للدمدمة والتسوية وهو الهلاك أي لا يخاف عاقبة إهلاكهم ولا درك عليه في ذلك كما يخاف الملوك من عاقبة أعمالهم وفي ذلك احتقار لهم، وقيل: إن ضمير الفاعل لصالح وهذا بعيد، وقرئ[٢] فلا يخاف بالفاء وبالواو، وقيل في القراءة بالواو أن الفاعل أشقاها والجملة في موضع الحال أي انبعث ولم يخف عقبى فعلته وهذا بعيد.

*** *** ***

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٦٠.

(٢) قرأ نافع وابن عامر ﴿فلا يخاف﴾ بالفاء والباقون بالواو. التيسير، ص: ١٤٠.

سورة الليل

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ أي يغطي وحذف المفعول وهو الشمس لقوله (والليل إذا يغشاها) أو النهار لقوله يغشى الليل النهار أو كل شيء يستره الليل.

﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي ظهر وتبين والنهار من طلوع الشمس، واليوم من طلوع الفجر.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ﴾ ما بمعنى من والمراد بها الله تعالى وعدل عن من لقصد الوصف كأنه قال: والقادر الذي خلق الذكر والأنثى، وقيل: هي مصدرية، وروى ابن مسعود أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قرأ والذكر والأنثى(١).

﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ هذا جواب القسم ومعناه إن عملكم مختلف فمنه حسنات ومنه سيئات وشتى جمع شتيت.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ﴾ أي أعطى ماله في الزكاة والصدقة وشبه ذلك، أو أعطى حقوق الله من طاعته في جميع الأشياء واتقى الله.

﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ أي بالخصلة الحسنة وهي الإسلام ولذلك عبر عنها بعضهم بأنها لا إله إلا الله أو بالمثوبة الحسنى وهي الجنة، وقيل: يعني الأجر والثواب على الإطلاق، وقيل: يعني الخلف على المنفق.

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ أي نهيئه للطريقة اليسرى وهي فعل الخيرات وترك السيئات، وضد ذلك تيسيره للعسرى ومنه قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»(٢) أي يهيئه الله لما قدر له ويسهل عليه فعل الخير أو الشر.

---

(١) قال ابن عطية: وقرأ علي بن أبي طالب، وابن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبو الدرداء، وسمعها من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلقمة وأصحاب عبد الله «والذكر والأنثى» وسقط عندهم «وما خلق» المحرر الوجيز: ٥/٤٦٢.

(٢) رواه البخاري الحديث رقم: (٤٩٤٩) ومسلم الحديث رقم: (٦٩٠٣) وغيرهما.

﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ﴾ أي بخل بماله أو بطاعة الله على الإطلاق فيحتمل الوجهين؛ لأنه في مقابلة أعطى كما أن استغنى في مقابلة اتقى، وكذلك كذب بالحسنى في مقابلة صدق بالحسنى ونيسره للعسرى في مقابلة نيسره لليسرى، ومعنى استغنى استغنى عن الله فلم يطعه واستغنى بالدنيا عن الآخرة، ونزلت آية المدح في أبي بكر الصديق لأنه أنفق ماله في مرضات الله، وكان يشتري من أسلم من العبيد فيعتقهم، وقيل: نزلت في أبي الدحداح، وهذا ضعيف؛ لأنها مكية وإنما أسلم أبو الدحداح بالمدينة، وقيل: إن آية الذم نزلت في أبي سفيان بن حرب، وهذا ضعيف لقوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ وقد أسلم أبو سفيان بعد ذلك.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ هذا نفي أو استفهام بمعنى الإنكار واختلف في معنى تردى على أربعة أقوال: **الأول** تردى أي هلك فهو مشتق من الردى وهو الموت، **أو** تردى أي سقط في القبر، **أو** سقط في جهنم، **أو** تردى بأكفانه من الرداء.

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ أي بيان الخير والشر وليس المراد الإرشاد عند الأشعرية خلافا للمعتزلة.

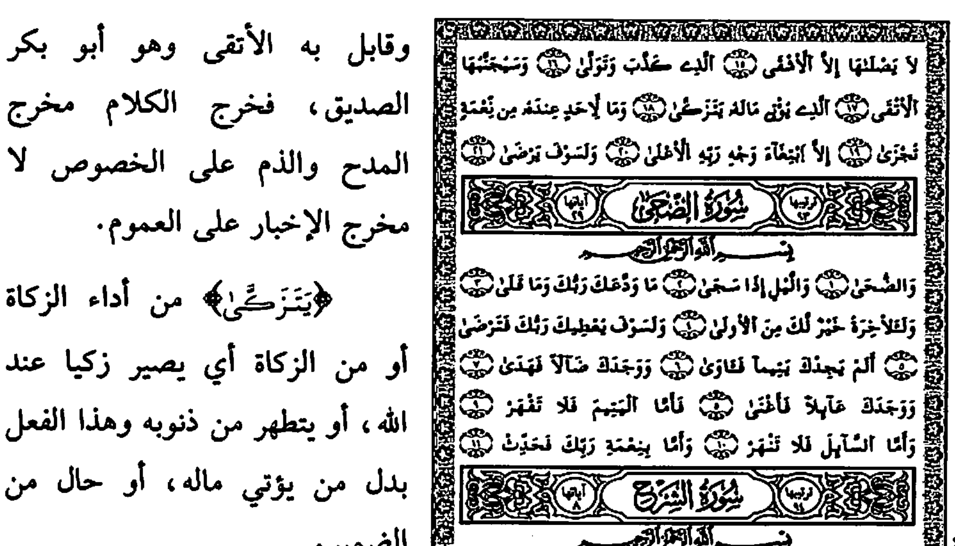
﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَاراً تَلَظَّىٰ﴾ خطاب من الله أو من النبي ﷺ على تقدير قل.

﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ استدل المرجئة بهذه الآية على أن النار لا يدخلها إلا الكفار لقوله: ﴿ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وتأولها الناس بثلاثة أوجه:

أحدها: أن المعنى لا يصلاها صلي خلود إلا الأشقى.

والآخر: أنه أراد نارا مخصوصة.

الثالث: أنه أراد بالأشقى كافرا معينا وهو: أبو جهل، وأمية ابن خلف،



وقابل به الأتقى وهو أبو بكر الصديق، فخرج الكلام مخرج المدح والذم على الخصوص لا مخرج الإخبار على العموم.

﴿يَتَزَكَّىٰ﴾ من أداء الزكاة أو من الزكاة أي يصير زكيا عند الله، أو يتطهر من ذنوبه وهذا الفعل بدل من يؤتي ماله، أو حال من الضمير.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ أي لا يفعل الخير جزاء على نعمة أنعم بها عليه أحد فيما تقدم، بل يفعله ابتداء خالصا لوجه الله، وقيل: المعنى لا يقصد جزاء من أحد في المستقبل على ما يفعل، والأول أظهر ويؤيده ما روي[1]: أن سبب الآية أن أبا بكر الصديق لما أعتق بلالا قالت قريش: كان لبلال عنده يد متقدمة فنفى الله قولهم.

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ﴾ استثناء منقطع. ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ وعد بأن يرضيه الله في الآخرة.

*** *** ***

(١) الطبري في جامع البيان ٢٤/٤٨٠.

سورة والضحى

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ذكر في الشمس وضحاها.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ فيه أربعة أقوال: إذا أقبل، وإذا أدبر، وإذا أظلم، وإذا سكن، أي استقر واستوى أو سكن فيه الناس والأصوات، ومنه ليلة ساجية إذا كانت ساكنة الريح، وطرف ساج أي ساكن غير مضطرب النظر، وهذا أقرب في الاشتقاق وهو اختيار ابن عطية.

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ بتشديد الدال من الوداع، وقرئ[1] بتخفيفها بمعنى ما تركك والوداع مبالغة في الترك. ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ أي ما أبغضبك وحذف ضمير المفعول من قلى وآوى وهدى وأغنى اختصارا لظهور المعنى ولموافقة رؤوس الآي، وسبب الآية[2] أن رسول الله ﷺ أبطأ عليه الوحي فقالت قريش: إن محمدا ودعه ربه وقلاه فنزلت الآية تكذيبا لهم، وقيل: رمى عليه الصلاة والسلام بحجر في أصبعه فدميت فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت امرأة: ما أرى شيطان محمد إلا قد تركه فنزلت الآية.

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ أي الدار الآخرة خير لك من الدنيا قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد بالآخرة حاله بعد نزول هذه السورة ويريد بالأولى حاله قبل نزولها، وهذا بعيد والأول أظهر وأشهر.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ روي: أن النبي ﷺ قال لما نزلت: إذا لا أرضى أن يبقى واحد من أمتي في النار، قال بعضهم: هذه أرجى آية في القرآن،

---

(١) قال ابن عطية : (دعك) بشد الدال من التوديع وقرا عروة بن الزبير وابنه هشام ﴿ودعك﴾ بتخفيف الدال من التوديع، وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام ﴿ودعك﴾ بتخفيف الدال بمعنى ترك المحرر الوجيز ٥/٤٦٤.

(٢) البخاري الحديث رقم: (١٠٧٣)، ومسلم الحديث رقم: (٤٧٥٧).

وقال ابن عباس[1]: رضاه أن الله وعده بألف قصر في الجنة بما يحتاج إليه من النعم والخدم، وقيل: رضاه في الدنيا بفتح مكة وغيره، والصحيح أنه وعد يعم كل ما أعطاه الله في الآخرة وكل ما أعطاه في الدنيا من النصر والفتوح وكثرة المسلمين وغير ذلك.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَئَاوَىٰ﴾ عدد الله نعمه عليه فيما مضى من عمره ليقيس عليه ما يستقبل فتطيب نفسه ويقوى رجاؤه، ووجد في هذه المواضع تتعدى إلى مفعولين وهي بمعنى علم، فالمعنى: ألم تكن يتيما فآواك وذلك أن والده ﷺ توفي وتركه في بطن أمه، ثم ماتت أمه وهو ابن خمسة أعوام، وقيل: ثمانية، فكفله جده عبد المطلب ثم مات وتركه ابن اثني عشر عاما، فكفله عمه أبو طالب، وقيل: لجعفر الصادق لم نشأ النبي ﷺ يتيما؟ فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ﴾ فيه ستة أقوال:

أحدها: وجدك ضالا عن معرفة الشريعة فهداك إليها، فالضلال عبارة عن التوقيف في أمر الدين حتى جاءه الحق من عند الله، فهو كقوله: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ وهذا هو الأظهر وهو الذي اختاره ابن عطية وغيره، ومعناه أنه لم يكن يعرف تفصيل الشريعة وفروعها حتى بعثه الله، ولكنه ما كفر بالله ولا أشرك به لأنه كان معصوما من ذلك قبل النبوءة وبعدها.

والثاني: وجدك في قوم ضلال فكأنك واحد منهم، وإن لم تكن تعبد ما يعبدون وهذا قريب من الأول.

والثالث: وجدك ضالا عن الهجرة فهداك إليها وهذا ضعيف لأن السورة نزلت قبل الهجرة.

الرابع: وجدك خامل الذكر لا تعرف فهدى الناس إليك وهداهم بك، وهذا بعيد عن المعنى المقصود.

الخامس: أنه من الضلال عن الطريق وذلك أنه ﷺ ضل في بعض

(١) تفسير البحر المحيط: ٨/٤٨١.

شعب مكة وهو صغير فرده الله إلى جده، وقيل: بل ضل من مرضعته حليمة فرده الله إليها، وقيل: بل ضل في طريق الشام حين خرج إليها مع أبي طالب.

السادس: أنه بمعنى الضلال من المحبة أي وجدك محبا لله فهداك إليه ومنه قول إخوة يوسف لأبيهم ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ أي محبتك ليوسف وبهذا كان يقول شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ العائل الفقير، يقال: عال الرجل فهو عائل إذا كان محتاجا، وأعال فهو معيل إذا كثر عياله، وهذا الفقر والغنى هو في المال وغناؤه ﷺ هو أن أعطاه الله الكفاف، وقيل: هو رضاه بما أعطاه الله وقيل: المعنى وجدك فقيرا إليه فأغناك به.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ أي لا تغلبه على ماله وحقه لأجل ضعفه، أو لا تقهره بالمنع من مصالحه ووجوه القهر كثيرة والنهي يعم جميعها.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ النهر هو الانتهار والزجر، والنهي عنه أمر بالقول الحسن والدعاء للسائل كما قال تعالى. ﴿فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾، ويحتمل السائل أن يريد به سائل الطعام والمال وهذا هو الأظهر، والسائل عن العلم والدين وفي قوله تقهر وتنهر لزوم ما لا يلزم من التزام الهاء قبل الراء.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ قيل معناه بث القرآن وبلغ الرسالة، والصحيح أنه عموم في جميع النعم، قال رسول الله ﷺ[1]: «التحدث بالنعم شكر» ولذلك كان بعض السلف يقول: لقد أعطاني الله كذا ولقد صليت البارحة كذا، وهذا إنما يجوز إذا كان على وجه الشكر، أو ليقتدى به، فأما على وجه الفخر والرياء فلا يجوز، وانظر كيف ذكر الله في هذه السورة ثلاث نعم، ثم ذكر في مقابلتها ثلاث وصايا، فقابل قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ بقوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا

(١) لم أجده بهذا اللفظ.

تَقْهَرْ﴾ وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ على قول من قال إنه السائل عن العلم، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر، وقابل قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ بقوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ على القول الأظهر، وقابله بقوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ على القول الآخر.

سورة ألم نشرح

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ هذا توقيف معناه إثبات شرح صدره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتعديد ما ذكر بعده من النعم وشرح صدره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو اتساعه لتحصيل العلم وتنويره بالحكمة والمعرفة، وقيل: هو شق جبريل لصدره في صغره أو في وقت الإسراء حين أخرج قلبه وغسله.

﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: قول الجمهور أن الوزر الذنوب، ووضعها هو غفرانها فهو كقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ وهذا على قول من جوز صغائر الذنوب على الأنبياء، أو على أن ذنوبه كانت قبل النبوءة.

الثاني: أن الوزر هو أثقال النبوة وتكاليفها ووضعها على هذا هو إعانته عليها وتمهيد عذره بعد ما بلغ الرسالة.

الثالث: أن الوزر هو تحيره قبل النبوءة إذ كان يرى أن قومه على ضلال ولم يأته من الله أمر واضح فوضعه على هذا هو بالنبوة والهدى للشريعة.

﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ عبارة عن ثقل الوزر المذكور وشدته عليه، قال الحارث المحاسبي: إنما وصفت ذنوب الأنبياء بالثقل وهي صغائر مغفورة لهم لهمهم بها وتحسرهم عليها فهي ثقيلة عندهم لشدة خوفهم من الله وهي خفيفة عند

الله وهذا كما جاء في الأثر[١]: «إن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه والمنافق يرى ذنوبه كالذبابة تطير فوق أنفه» واشتقاق أنقض ظهرك من نقض البنيان وغيره أو من النقيض وهو الصوت فكأنه يسمع لظهره نقيض كنقيض ما يحمل عليه شيء ثقيل.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أي نوهنا باسمك وجعلناه شهيرا في المشارق والمغارب، وقيل: معناه اقتران ذكره بذكر الله في الأذان والخطب والتشهد وفي مواضع من القرآن، وقد روي في هذا حديث أن الله قال له: «إذا ذكرتُ ذكرتَ معي»[٢] فإن قيل: لم قال ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾ و﴿لَكَ صَدْرَكَ﴾ مع أن المعنى مستقل دون ذلك؟ فالجواب: أن قوله لك يدل على الاعتناء به والاهتمام بأمره.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ هذا وعد لما يسر بعد العسر، وإنما ذكره بلفظ مع التي تقتضي المقاربة ليدل على قرب اليسر من العسر، فإن قيل: ما وجه ارتباط هذا مع ما قبله؟ فالجواب: أنه ﷺ كان بمكة هو وأصحابه في عسر من إذاية الكفار ومن ضيق الحال، ووعده الله باليسر وقد تقدم تعديد النعم تسلية وتأنيسا لتطيب نفسه، ويقوى رجاؤه كأنه يقول: إن الذي أنعم عليك بهذه النعم سينصرك ويظهرك ويبدل لك هذا العسر بيسر قريب، ولذلك كرر إن مع العسر يسرا مبالغة، وقال ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين»[٣]، وقد روي ذلك عن عمر[٤] وابن مسعود[٥]، وتأويله أن العسر المذكور في هذه السورة واحد لأن الألف واللام

---

(١) رواه البخاري بلفظ قريب من هذا، الحديث رقم: (٥٩٤٩) ورواه غيره.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٤٤٥/١٠، والطبري في جامع البيان: ٤٩٥/٢٤ ابن كثير: ٤٣٠/٨، وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد رفعه «أتاني جبريل فقال: يقول ربك: أتدري كيف رفعتُ ذكرك؟ قال: الله أعلم، قال: «إذا ذكرتُ ذكرتَ معي» فتح الباري: ٧١٢/٨.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في جامع العلوم والحكم، ص: ١٩٧، والطبري في جامع البيان: ٤٩٥/٢٤.

(٤) رواه مالك في الموطإ الحديث رقم: (١٦٢١)، وشعب الإيمان للبيهقي الحديث رقم: (١٠٠١٠).

(٥) قال ابن رجب الحنبلي في جامع العلوم والحكم أخرجه ابن أبي الدنيا ص: ١٩٧.



للعهد، كقولك: جاءني رجل فأكرمت الرجل واليسر اثنان لتنكيره وقيل: إن اليسر الأول في الدنيا، والثاني في ا لآخرة.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ هو من النصب بمعنى التعب، والمعنى: إذا فرغت من أمر فاجتهد في آخر، ثم اختلف في تعيين الأمرين فقيل: إذا فرغت من الفرائض فانصب في النوافل، وقيل: إذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء، وقيل: إذا فرغت من شغل دنياك فانصب في عبادة ربك.

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ قدم الجار والمجرور ليدل على الحصر أي لا ترغب إلا إلى ربك وحده.

سورة التين

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾: فيها قولان:

الأول: أنه التين الذي يؤكل والزيتون الذي يعصر أقسم الله بهما لفضيلتهما على سائر الثمار روي[(١)]: أن رسول الله ﷺ أكل مع أصحابه تينا فقال: لو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوه فإنه يقطع البواسير وينفع من النقرس، وقال ﷺ[(٢)]: نعم السواك الزيتون فإنه من

(١) تفسير الثعالبي رقم: (٢٥٢١)، والمحرر الوجيز: ٥/٤٧٠، واللباب: ٢٠/٤٠٥.

(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١١٠، والمحرر الوجيز: ٥/٤٧٠.

الشجرة المباركة هي سواكي وسواك الأنبياء من قبلي.

القول الثاني: أنهما موضعان ثم اختلف فيهما فقيل هما جبلان بالشام أحدهما بدمشق ينبت فيه التين والآخر بإيلياء ينبت فيه الزيتون فكأنه قال ومنابت التين والزيتون وقيل التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس، وقيل: التين مسجد نوح، والزيتون مسجد إبراهيم، والأظهر أنهما الموضعان من الشام، وهما: اللذان كان فيهما مولد عيسى ومسكنه، وذلك أن الله ذكر بعد هذا الطور الذي كلم عليه موسى، والبلد الذي بعث منه محمد ﷺ، فتكون الآية نظير ما في التوراة: أن الله تعالى جاء من طور سيناء وطلع من ساعد وهو موضع عيسى، وظهر من جبال باران وهي مكة، وأقسم الله بهذه المواضع التي ذكر في التوراة لشرفها بالأنبياء المذكورين.

﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى وهو بالشام، وأضافه الله إلى سينين ومعنى سينين مبارك فهو من إضافة الموصوف إلى الصفة، وقيل: معناه ذو الشجر واحدها سينينة قاله الأخفش، وقال الزمخشري: ويجوز أن يعرب إعراب الجمع المذكر بالواو والياء، وأن يلزم الياء وتحريك النون بحركات الإعراب.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ هو مكة باتفاق والأمين من الأمانة أو من الأمن لقوله: ﴿ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَانَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ فيه قولان: أحدهما: أن أحسن التقويم هو حسن الصورة وكمال العقل والشباب والقوة، وأسفل سافلين الضعف والهرم والخرف فهو كقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ وقوله: ﴿جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بعد هذا غير متصل بما قبله والاستثناء على هذا القول منقطع، بمعنى لكن؛ لأنه خارج عن معنى الكلام الأول.

والآخر: أن حسن التقويم الفطرة على الإيمان، وأسفل سافلين الكفر أو تشويه الصورة في النار، والاستثناء على هذا متصل لأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لم يردوا أسفل سافلين. ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ قد ذكر.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ فيه قولان:

أحدهما: أنه خطاب للنبي ﷺ، والدين شريعته، والمعنى: أي شيء يكذبك بالدين بعد هذه الدلائل التي تشهد بصحة نبوءتك.

والآخر: أنه خطاب للإنسان الكافر والدين على هذا الشريعة أو الجزاء الأخروى، ومعنى يكذبك على هذا يجعلك كاذبا لأن من أنكر الحق فهو كاذب، والمعنى: أي شيء يجعلك كاذبا بسبب كفرك بالدين بعد أن علمت أن الله خلقك في أحسن تقويم ثم ردك أسفل سافلين، ولا شك أنه يقدر على بعثك كما قدر على هذا فلأى شيء تكذب بالبعث والجزاء؟.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ تقرير ووعيد للكفار بأن يحكم عليهم بما يستحقون، وكان رسول الله ﷺ إذا قرأها قال: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين(١).

*** *** ***

(١) وأخرج أحمد وأبو داود والترمذي وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» الدر المنثور: ٨/٣٦٤.

سورة العلق

نزل صدرها بغار حراء وهو أول ما نزل من القرآن حسبما ورد عن عائشة في الحديث[1] الذي ذكرناه في أول الكتاب.

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ فيه وجهان:

أحدهما: أن معناه اقرأ القرآن مفتتحا باسم ربك أو متبركا باسم ربك، وموضع باسم ربك نصب على الحال ولذا كان تقديره مفتتحا فيحتمل أن يريد: ابتدئ القراءة بقول: بسم الله الرحمن الرحيم، أو يريد الابتداء باسم الله مطلقا.

والوجه الثاني: أن معناه اقرأ هذا اللفظ وهو باسم ربك الذي خلق فيكون باسم ربك مفعولا وهو المقروء.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ حذف المفعول لقصد العموم كأنه قال: الذي خلق كل شيء ثم خصص خلقة الإنسان لما فيه من العجائب والعبر، ويحتمل أنه أراد الذي خلق الإنسان كما قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ ثم فسره بقوله: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ والعلق جمع علقة وهي النطفة من الدم والمراد بالإنسان هنا جنس بني آدم، ولذلك جمع العلق لما أراد الجماعة بخلاف قوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٍ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٍ﴾؛ لأنه أراد كل واحد على حدته، ولم يدخل آدم في الإنسان هنا لأنه لم يخلق من علقة وإنما خلق من طين.

﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ كرر الأمر بالقراءة تأكيدا والواو للحال، والمقصود تأنيس النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنه يقول: افعل ما أمرت به فإن ربك كريم، وصيغة أفعل للمبالغة.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ هذا تفسير للأكرم فدل على أن نعمة التعليم أكبر نعمة،

(١) تقدم تخريجه.

وخص من التعليمات الكتابة بالقلم لما فيها من تخليد العلوم ومصالح الدين والدنيا، وقرأ ابن الزبير[١]: علم الخط بالقلم.

﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ يحتمل أن يريد بهذا التعليم الكتابة لأن الإنسان لم يكن يعلمها في أول أمره أو يريد التعليم لكل شيء على الإطلاق، وقيل: إن الإنسان هنا سيدنا محمد ﷺ، والأظهر أنه جنس الإنسان على العموم.

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ﴾ نزل هذا وما بعده إلى آخر السورة في أبي جهل بعد نزول صدرها بمدة وذلك أنه كان يطغى بكثرة ماله ويبالغ في عداوة النبي ﷺ، وكلا هنا يحتمل أن تكون زجرا لأبي جهل أو بمعنى حقا أو استفتاحا.

﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾ في موضع المفعول من أجله أي يطغى من أجل غناه والرؤية هنا بمعنى العلم بدليل إعمال الفعل في الضمير ولا يكون ذلك إلا في أفعال القلوب، والمعنى: رأى نفسه استغنى واستغنى هو المفعول الثاني.

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ﴾ هذا تهديد لأبي جهل وأمثاله.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ﴾ اتفق المفسرون أن العبد الذي صلى هو سيدنا محمد ﷺ، وأن الذي نهاه أبو جهل لعنه الله، وسبب الآية[٢] أن أبا جهل جاء إلى النبي ﷺ وهو يصلي في المسجد الحرام، فهم بأن يصل إليه ويمنعه من الصلاة، وروي: أنه قال: لئن رأيته يصلي لأطأن عنقه، فجاءه وهو يصلي ثم انصرف عنه مرعوبا. فقيل له: ما هذا؟ فقال: لقد اعترض بيني وبينه خندق من نار وهول وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا.

﴿أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۝ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ﴾ أرأيت في الموضع الذي قبله والذي بعده بمعنى أخبرني فكأنه سؤال يفتقر إلى جواب، وفيها معنى التعجيب

(١) لم أجدها مسندة وهي في بعض كتب التفسير. انظر الكشاف: ٤/٧٨٢.

(٢) ابن أبي حاتم ١٢/٤٣٢ والطبري ٢٤/٥٢٣ وابن كثير ٤/٦٤٦.

والتوقيف، والخطاب فيها يحتمل أن يكون للنبي ﷺ أو لكل مخاطب من غير تعيين، وهي تتعدى إلى مفعولين، وجاءت بعدها إن الشرطية في موضعين، وهما: قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ وقوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فيحتاج إلى الكلام في مفعول أرأيت في المواضع الثلاثة وفي جواب الشرطين وفي الضمائر المتصلة بهذه الأفعال، وهي (إن كان على الهدى) و(أمر بالتقوى) و(كذب وتولى) على من تعود هذه الضمائر، فقال الزمخشري: إن قوله الذي ينهى هو المفعول الأول لقوله: أرأيت الأولى، وأن الجملة الشرطية بعد ذلك في موضع المفعول الثاني، وكررت أرأيت بعد ذلك للتأكيد فهي زائدة لا تحتاج إلى مفعول، وإن قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ هو جواب قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فهو في المعنى جواب للشرطين معا، وأن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ الذي نهى عن الصلاة وهو أبو جهل، وكذلك الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ وتقدير الكلام على هذا: أخبرني عن الذي ينهى عبدا إذا صلى إن كان هذا الناهي على الهدى أو كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى جميع أحواله، من هداه وضلاله، وتكذيبه ونهيه عن الصلاة، وغير ذلك فمقصود الآية تهديد له وزجر وإعلام بأن الله يراه، وخالفه ابن عطية في الضمائر، فقال: إن الضمير في قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ للعبد الذي صلى، وأن الضمير في قوله: ﴿إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ للذي نهى عن الصلاة، وخالفه أيضا، في جعله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثانية مكررة للتأكيد، وقال: إنها في المواضع الثلاثة توقيف، وأن جوابه في المواضع الثلاثة قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ فإنه يصلح مع كل واحد منها ولكنه جاء في آخر الكلام اختصارا، وخالفهما أيضا الغزنوي في الجواب، فقال: إن جواب قوله: ﴿إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ محذوف فقال إن تقديره: إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى أليس هو على الحق واتباعه واجب، والضمير على هذا يعود على العبد الذي صلى وفاقا لابن عطية.

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ۝ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ أوعد أبا جهل إن لم ينته عن كفره

وطغيانه أن يؤخذ بناصيته فيلقى في النار، والناصية مقدم الرأس فهو كقوله: ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ والسفع هنا الجذب والقبض على الشيء، وقيل: هو الإحراق من قولك: سفعته النار، وأكد لنسفعا باللام والنون الخفيفة وكتبت في المصحف بالألف مراعاة للوقف، ويظهر لي أن هذا الوعيد نفذ عليه يوم بدر حين قتل وأخذ بناصيته فجر إلى القليب.

﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ أبدل ناصية من الناصية ووصفها بالكذب والخطيئة تجوزا والكاذب الخاطئ في الحقيقة صاحبها والخاطئ الذي يفعل الذنب متعمدا والمخطئ الذي يفعله بغير قصد.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ النادي والندي المجلس الذي يجتمع فيه الناس وكان أبو جهل قد قال: أيتوعدني محمد فوالله ما بالوادي أعظم ناديا مني فنزلت الآية تهديدا وتعجيزا له والمعنى: فليدع أهل ناديه لنصرته إن قدروا على ذلك، ثم أوعده بأن يدعو له زبانية جهنم وهم الملائكة الموكلون بالعذاب والزبانية في اللغة الشرط واحدهم زبنية، وقيل: زبنى وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال[1]: «**لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا**».

﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب﴾ أي تقرب إلى الله بالسجود كما قال رسول الله ﷺ[2]: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فاجتهدوا في الدعاء**» وهذا موضع سجدة عند الشافعي[3] وليست عند مالك من عزائم السجود[4].

---

(١) أخرجه الترمذي الحديث رقم: (٣٣٤٩)، وسنن النسائي الحديث رقم: (١١٦٨٤)، والمسند الحديث رقم: (٣٠٤٥).

(٢) رواه مسلم في صحيحه الحديث ر قم: (١١١١)، وابن حبان الحديث رقم: (١٩٢٨)، وسنن النسائي الحديث رقم: (١١٣٦).

(٣) عن ابن بن مسعود أنه قال: عزائم السجود أربع: ألم تنزيل، وحم السجدة، واقرأ باسم ربك الذي خلق، والنجم. هكذا رواه الجماعة عن شعبة. سنن البيهقي الحديث رقم: (٣٥٣٢).

(٤) الموطأ من رواية محمد بن الحسن: ٢/٢٥.

سُورَةُ القَدْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ البَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

سورة القدر

اختلف الناس في ليلة القدر على ستة عشر قولا، وهي أنها: ليلة إحدى وعشرين من رمضان، وليلة ثلاث وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، فهذه خمسة أقوال في ليالي الأوتار من العشر الأواخر من رمضان، على قول من ابتدأ عدتها من أول العشر، وقد ابتدأ بعضهم عدتها من آخر الشهر، فجعل ليالي الأوتار ليلة ثلاثين؛ لأنها الأولى، وليلة ثمان وعشرين؛ لأنها الثانية، وليلة ستة وعشرين؛ لأنها الخامسة، وليلة أربع وعشرين؛ لأنها السابعة، وليلة اثنين وعشرين؛ لأنها التاسعة، فهذه خمسة أقوال أخر، فتلك عشرة أقوال.

والقول الحادي عشر: أنها تدور في العشر الأواخر ولا تثبت في ليلة واحدة منه.

الثاني عشر: أنها مخفية في رمضان كله، وهذا ضعيف لقوله ﷺ[1]: «التمسوها في العشر الأواخر».

الثالث عشر: أنها مخفية في العام كله.

الرابع عشر: أنها ليلة النصف من شعبان وهذان القولان باطلان لأن الله تعالى

(١) البخاري الحديث رقم: (١٩١٧)، ومسلم الحديث رقم: (٢٨٢٢)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (٢١٨٣).

قال: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ فدل ذلك على أن ليلة القدر في رمضان.

القول الخامس عشر: أنها رفعت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذا ضعيف.

القول السادس عشر: أنها ليلة سبعة عشر من رمضان لأن وقعة بدر كانت صبيحة هذه الليلة، وأرجح الأقوال أنها ليلة إحدى وعشرين من رمضان، أو ليلة ثلاث وعشرين، أو ليلة سبع وعشرين، فقد جاءت في هذه الليالي الثلاث أحاديث صحيحة، خرجها مسلم(١) وغيره والأشهر أنها ليلة سبع وعشرين.

﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ الضمير في أنزلناه للقرآن دل على ذلك سياق الكلام وفي ذلك تعظيم للقرآن من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه ذكر ضميره دون اسمه الظاهر دلالة على شهرته والاستغناء عن تسميته.

والثاني: أنه اختار لإنزاله أفضل الأوقات.

والثالث: أن الله أسند إنزاله إلى نفسه وفي كيفية إنزاله في ليلة القدر قولان:

أحدهما: أنه ابتدأ إنزاله فيها.

والآخر: أنه أنزل القرآن فيها جملة واحدة إلى السماء ثم نزل به جبريل إلى الأرض بطول عشرين سنة، وقيل: المعنى أنزلناه في شأن ليلة القدر وذكرها وهذا ضعيف، وسميت ليلة القدر من تقدير الأمور فيها، أو من القدر بمعنى الشرف، ويترجح الأول بقوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ هذا تعظيم لها. قال بعضهم كل ما قال فيه ما أدراك فقد علمه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما قال فيه ما يدريك فإنه لا يعلمه.

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٩١٤)، ومسلم الحديث رقم: (٢٨٢٦).

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ معناه أن من قامها كتب الله له أجر العبادة في ألف شهر قال بعضهم يعني في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال[1]: «من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه» وسبب الآية أن رسول الله ﷺ ذكر رجلا ممن تقدم عبد الله ألف شهر، فعجب المسلمون من ذلك ورأوا أن أعمارهم تنقص عن ذلك فأعطاهم الله ليلة القدر وجعلها خيرا من العبادة في تلك المدة الطويلة، وروي[2]: أن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما عوتب حين بايع معاوية فقال: إن رسول الله ﷺ رأى في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس ألف شهر فاهتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير من ملك بني أمية ألف شهر، ثم كشف الغيب أنه كان من بيعة الحسن لمعاوية إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوك بني أمية بالمشرق ألف شهر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ الروح هنا جبريل عليه السلام، وقيل: صنف من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا تلك الليلة، وتنزلهم هو إلى الأرض، وقيل: إلى السماء الدنيا وهو تعظيم لليلة القدر ورحمة للمؤمنين القائمين فيها. ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ هذا متعلق بما قبله، والمعنى أن الملائكة ينزلون ليلة القدر من أجل

---

(١) البخاري الحديث رقم: (١٨٠٢)، والمسند الحديث رقم: (٨٥٧٦)، وصحيح ابن خزيمة الحديث رقم: (١٨٩٤)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٢٥٤٣)، وسنن النسائي الحديث رقم: (٢١٩٣).

(٢) أخرج الترمذي وضعفه وابن جرير والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن يوسف بن مازن الرؤاسي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي بعد ما بايع معاوية فقال: سودت وجوه المؤمنين فقال: لا تؤنبني رحمك الله فإن النبي ﷺ رأى بني أمية يخطبون على منبره فساءه ذلك فنزلت إنا أعطيناك الكوثر سورة الكوثر الآية: ١ يا محمد يعني نهرا في الجنة ونزلت: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [سورة القدر آية ١ ـ ٣] يملكها بعدك بنو أمية يا محمد: قال القاسم: فعددنا فإذا هي ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما. الدر المنثور: ٨/٥٧٠، والمحرر الوجيز: ٥/٤٧٧.

كل أمر يقضي الله في ذلك العام فإنه روى: أن الله يعلم الملائكة بكل ما يكون في ذلك العام من الآجال والأرزاق وغير ذلك ليمتثلوا ذلك في العام كله، وقيل: على هذا المعنى أن من بمعنى الباء أي ينزلون بكل أمر، وهذا ضعيف، وقيل: إن المجرور يتعلق بما بعده، والمعنى أنها سلام من كل أمر أي سلامة من الآفات، قال مجاهد[١]: لا يصيب أحد فيها داء، والأظهر أن الكلام تم عند قوله من كل أمر ثم ابتدأ قوله: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ واختلف في معنى سلام فقيل: إنه من السلامة، وقيل: إنه من التحية لأن الملائكة يسلمون على المؤمنين القائمين فيها، وكذلك اختلف في إعرابه، فقيل: سلام هي مبتدأ وخبر، وهذا يصح سواء جعلناه متصلا مع ما قبله أو منقطعا عنه، وقيل: سلام خبر مبتدأ مضمر، تقديره: أمرها سلام، أو القول فيها سلام، وهي مبتدأ خبرها ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ أي هي دائمة إلى طلوع الفجر، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب، وقال ابن عباس[٢] إن قوله هي إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين لأن هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة.

سورة لم يكن

ذكر الله الكفار ثم قسمهم إلى صنفين أهل الكتاب والمشركين، وذكر أن جميعهم لم يكونوا منفكين حتى تأتيهم البينة، وتقوم عليهم الحجة ببعث رسول الله ﷺ، ومعنى منفكين منفصلين، ثم اختلف في هذا الانفصال على أربعة أقوال:

أحدها: أن المعنى لم يكونوا منفصلين عن كفرهم حتى تأتيهم البينة لتقوم

---

(١) وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن مجاهد في قوله: سلام هي قال: سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى. الدر المنثور: ٨/٥٧٠.

(٢) قال ابن عطية: وذهب من يقول بانتهاء الكلام في قوله «سلام» إلى أن قوله «هي» إنما هذا إشارة إلى أنها ليلة سبع وعشرين من الشهر؛ إذ هذه الكلمة هي السابعة والعشرون من كلمات السورة وذكر هذا الغرض ابن بكير وأبو بكر الوراق والنقاش عن ابن عباس. المحرر الوجيز: ٥/٤٧٨.

عليهم الحجة.

الثاني: لم يكونوا منفصلين عن معرفة نبوءة سيدنا محمد ﷺ حتى بعثه الله.

الثالث: اختاره ابن عطية وهو لم يكونوا منفصلين عن نظر الله وقدرته حتى يبعث الله إليهم رسولا يقيم عليهم الحجة.

الرابع: وهو الأظهر عندي أن المعنى لم يكونوا لينفصلوا من الدنيا حتى بعث الله لهم سيدنا محمد ﷺ فقامت عليهم الحجة لأنهم لو انفصلت الدنيا دون بعثه لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا، فلما بعثه الله لم يبق لهم عذر ولا حجة فمنفكين على هذا كقولك: لا تبرح أو لا تزول حتى يكون كذا وكذا.

﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني سيدنا محمدا ﷺ، وإعرابه بدل من البينة، أو خبر ابتداء مضمر. ﴿يَتْلُواْ صُحُفاً مُّطَهَّرَةً﴾ يعني القرآن في صحفه.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ أي قيمة بالحق مستقيمة المعاني، ووزن قيمة فيعلة وفيه مبالغة، قال ابن عطية: هذا على حذف مضاف تقديره: فيها أحكام كتب، ولا يحتاج إلى هذا الحذف لأن الكتب بمعنى المكتوبات.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ أي ما اختلفوا في نبوءة سيدنا محمد ﷺ إلا من بعد ما علموا أنه حق، ويحتمل أن يريد تفرقهم في دينهم، كقوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ﴾، وإنما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة؛ لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوءة سيدنا محمد ﷺ بما يجدون في كتبهم من ذكره.

﴿وَمَا أُمِرُواْ﴾ الآية معناها ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الله ولكنهم حرفوا وبدلوا، ويحتمل أن يكون المعنى ما أمروا في القرآن إلا بعبادة الله فلأي شيء ينكرونه ويكفرون به؟ ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ استدل المالكية بهذا على وجوب النية في الوضوء وهو بعيد؛ لأن الإخلاص هنا يراد به التوحيد وترك الشرك، أو ترك الرياء وذلك أن الإخلاص مطلوب في التوحيد وفي الأعمال، وضد

الإخلاص في التوحيد هو الشرك الجلي وضد الإخلاص في الأعمال هو الشرك الخفي وهو الرياء[1]، قال رسول الله ﷺ: «الرياء الشرك الأصغر»، وقال ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه تعالى يقول[2]: **«أنا أغنى الأغنياء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه»**.

واعلم أن الأعمال ثلاثة أنواع: مأمورات، ومنهيات، ومباحات، فأما المأمورات: فالإخلاص فيها عبارة عن خلوص النية لوجه الله بحيث لا يشوبها بنية أخرى، فإن كانت كذلك فالعمل خالص مقبول، وإن كانت النية لغير وجه الله من طلب منفعة دنيوية أو مدح أو غير ذلك، فالعمل رياء محض مردود، وإن كانت النية مشتركة ففي ذلك تفصيل فيه نظر واحتمال وأما المنهيات فإن تركها دون نية خرج عن عهدتها ولم يكن له أجر في تركها، وإن تركها بنية وجه الله حصل له الخروج عن عهدتها مع الأجر، وأما المباحات كالأكل والنوم والجماع وشبه ذلك، فإن فعلها بغير نية لم يكن له فيها أجر، وإن فعلها بنية وجه الله فله فيها أجر، فإن كل مباح يمكن أن يصير قربة إذا قصد به وجه الله، مثل أن يقصد بالأكل القوة على العبادة، ويقصد بالجماع التعفف عن الحرام. ﴿حُنَفَآءَ﴾ جمع حنيف وقد ذكر. ﴿وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ تقديره: الملة القيمة، أو الجماعة القيمة، وقد فسرنا القيمة، ومعناه أن الذي أمروا به من عبادة الله والإخلاص له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة هو دين الإسلام فلأي شيء لا يدخلون فيه؟.

﴿ٱلْبَرِيَّةِ﴾ الخلق لأن الله برأهم وأوجدهم بعد العدم، وقرئ[3] بالهمز وهو الأصل وبالياء وهو تخفيف من المهموز وهو أكثر استعمالا عند العرب.

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وفي المستدرك: عن شداد بن أوس رضي‌الله عنه، قال:كنا نعد على عهد رسول الله ﷺ أن الرياء الشرك الأصغر، الحديث رقم ٧٩٣٧: قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(٢) مسلم الحديث رقم: (٧٦٦٦)، وصحيح ابن حبان رقم: (٩٦٢) النسائي الحديث رقم: (١٠٦٣١).

(٣) ﴿شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾، و﴿خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ قرأهما نافع وابن ذكوان بهمزة مفتوحة بعد الياء. وقرأ الباقون بغير همز مشددة الياء في الحرفين. النشر: ٤٦١/١.



﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ اختلف هل هذا في الدنيا أو في الآخرة فرضاهم عن الله في الدنيا هو الرضا بقضائه والرضا بدينه، قال رسول الله ﷺ[1]: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا» ورضاهم عنه في الآخرة وهو رضاهم بما أعطاهم الله فيها أو رضا الله عنهم لما ورد في الحديث أن الله يقول: «يا أهل الجنة هل تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: يا ربنا وأي شيء نريد وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين؟ فيقول: عندي أفضل من ذلك وهو رضواني فلا أسخط عليكم أبدا»[2]. ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ أي لمن خافه وهذا دليل على فضل الخوف قال رسول الله ﷺ:[3] خوف الله رأس كل حكمة.

سورة الزلزلة

﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ﴾ أي حركت واهتزت. ﴿زِلۡزَالَهَا﴾ مصدر وإنما أضيف إليها تهويلا كأنه يقول الزلزلة التي تليق بها على عظم جرمها.

---

(١) مسلم الحديث رقم: (١٦٠)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (٢٦٢٣)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٦٩٤).

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦١٨٣)، ومسلم الحديث رقم: (٢٨٢٩)، والترمذي الحديث رقم: (٢٥٥٥).

(٣) لم أجده.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ يعني الموتى الذين في جوفها وذلك عند النفخة الثانية في الصور، وقيل: هي الكنوز وهذا ضعيف؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَانُ مَا لَهَا﴾ أي يتعجب من شأنها فيحتمل أن يريد جنس الإنسان أو الكافر خاصة؛ لأنه الذي يرى حينئذ ما لا يظن.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ هذه عبارة عما يحدث الله فيها من الأهوال فهو مجاز وحديثها بلسان الحال، وقيل: هو شهادتها على الناس بما عملوا على ظهرها فهو حقيقة، وتحدث يتعدى إلى مفعولين حذف الأول منهما، والتقدير: تحدث الخلق أخبارها، وانتزع بعض المحدثين من قوله ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ أن قول المحدث حدثنا وأخبرنا سواء، وهذه الجملة هي جواب ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ و﴿تُحَدِّثُ﴾ هو العامل في إذا ويومئذ بدل من إذا، ويجوز أن يكون العامل في إذا مضمر وتحدث عامل في يومئذ.

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ الباء سببية متعلقة بتحدث أي تحدث بسبب أن الله أوحى لها، ويحتمل أن يكون بأن الله أوحى لها بدلا من إخبارها وهذا كما تقول: حدثت كذا وحدثت بكذا، والمعنى على هذا: تحدث بحديث الوحي لها، وهذا الوحي يحتمل أن يكون إلهاما أو كلاما بواسطة الملائكة ولها بمعنى إليها، وقيل معناه: أوحى إلى الملائكة من أجلها وهذا بعيد.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا﴾ معنى أشتاتا مختلفين في أحوالهم وواحد الأشتات شت، وصدر الناس هو انصرافهم من موضع وردهم، فقيل: الورد هو الدفن في القبور، والصدر هو القيام للبعث، وقيل: الورد القيام للحشر، والصدر الانصراف إلى الجنة والنار، وهذا أظهر، وفيه يعظم التفاوت بين أحوال الناس فيظهر كونهم أشتاتا.

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ المثقال هو الوزن والذرة هي النملة الصغيرة والرؤية هنا ليست برؤية بصر وإنما هي عبارة عن الجزاء، وذكر الله مثقال الذرة تنبيها على ما هو أكثر منه من طريق الأولى كأنه قال: من يعمل قليلا أو كثيرا، وهذه الآية هي في المؤمنين لأن الكافر لا يجازى في الآخرة على حسناته إذ لم تقبل منه، واستدل أهل السنة بهذه الآية أنه لا يخلد مؤمن في النار؛ لأنه إذا خلد لم ير ثوابا على إيمانه وعلى ما عمل من الحسنات وروي عن عائشة[١] أنها تصدقت بحبة عنب فقيل لها في ذلك فقالت كم فيها من مثقال ذرة، وسمع رجلا هذه الآية عند رسول الله ﷺ فقال[٢]: «حسبي الله لا أبالي أن أسمع غيرها».

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ هذا على عمومه في حق الكافر وأما المؤمنون فلا يجازون بذنوبهم إلا بستة شروط وهي أن تكون ذنوبهم كبائر وأن يموتوا قبل التوبة منها وأن لا تكون لهم حسنات أرجح في الميزان منها، وأن لا يشفع فيهم وأن لا يكون ممن استحق المغفرة بعمل كأهل بدر وأن لا يعفو الله عنهم فإن المؤمن العاصي في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

سورة العاديات

اختلف في العاديات والموريات والمغيرات هل يراد بها الخيل أو الإبل؟ وعلى القول بأنها الخيل اختلف: هل يعني خيل المجاهدين، أو الخيل على الإطلاق؟ وعلى القول بأنها الإبل اختلف: هل يعني إبل غزوة بدر، أو إبل المجاهدين مطلقا، أو إبل الحجاج، أو الإبل على الإطلاق؟ ومعنى العاديات التي تعدو في مشيها، والضبح هو تصويت جهير عند العدو الشديد ليس بصهال وهو مصدر منصوب على تقدير يضبحن ضبحا، أو هو مصدر في موضع الحال تقديره

(١) تفسير النيسابوري: ٢/٣٤٦.

(٢) لم أجده.

العاديات في حال ضبحها والموريات من قولك: أوريت النار إذا أوقدتها، والقدح هو صك الحجارة فيخرج منها شعلة نار وذلك عند ضرب الأرض لأرجل الخيل أو الإبل، وإعراب قدحا كإعراب صبحا، والمغيرات من قولك: أغارت الخيل إذا خرجت للإغارة على الأعداء، وصبحا ظرف زمان لأن عادة أهل الغارة في الأكثر أن يخرجوا في الصباح.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعاً﴾ هذه الجملة معطوفة على العاديات وما بعده لأنه في تقدير التي تعدو والنقع الغبار، والضمير المجرور للوقت المذكور وهو الصبح فالباء ظرفية أو لكان الذي يقتضيه المعنى فالباء أيضا ظرفية أو للعدو وهو المصدر الذي يقتضيه العاديات فالباء سببية ومعنى أثرن حركن والضمير الفاعل للإبل أو للخيل أي حركن الغبار عند مشيهن.

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعاً﴾ معنى وسطن توسطن وجمعا اختلف: هل المراد به جمع من الناس أو المزدلفة لأن اسمها جمع والضمير المجرور للوقت أو للمكان أو للعدو أو للنقع.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ هذا جواب القسم، والكنود: الكفور للنعمة، فالتقدير: إن الإنسان لنعمة ربه لكفور، والإنسان جنس، وقيل: الكنود العاصي، وقال بعض الصوفية: الكنود هو الذي يعبد الله على عوض.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ الضمير للإنسان أي هو شاهد على نفسه بكنوده، وقيل: هو لله تعالى على معنى التهديد، والأول أرجح؛ لأن الضمير الذي بعده للإنسان باتفاق، فيجري الكلام على نسق واحد.

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ الخير هنا المال كقوله: ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً﴾ والمعنى: أن الإنسان شديد الحب للمال فهو ذم لحبه والحرص عليه، وقيل: الشديد البخيل، والمعنى على هذا: أنه بخيل من أجل حب المال، والأول أظهر.

﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ أي بحث عند ذلك عبارة عن البعث.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾ أي جمع ما في الصحف وأظهر محصلا، أو ميز خيره من شره.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ الضمير في ربهم وبهم يعود على الإنسان لأنه يراد به الجنس، وفي هذه الجملة وجهان:

أحدهما: أن هذه الجملة معمول ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ﴾ فكان الأصل أن تفتح إن ولكنها كسرت من أجل اللام التي في خبرها.

والثاني: أن تكون هذه الجملة مستأنفة ويكون معمول أفلا يعلم محذوفا ويكون الفاعل ضميرا يعود على الإنسان، والتقدير: أفلا يعلم الإنسان حاله وما يكون منه إذا بعثر ما في القبور، وهذا هو الذي قاله ابن عطية، ويحتمل عندي أن يكون فاعل أفلا يعلم ضميرا يعود على الله، والمفعول محذوف والتقدير: أفلا يعلم الله أعمال الإنسان إذا بعثر ما في القبور، ثم استأنف قوله: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ على وجه التأكيد أو البيان للمعنى المتقدم، والعامل في إذا بعثر على هذا الوجه هو أفلا يعلم، والعامل فيه على مقتضى قول ابن عطية هو المفعول المحذوف، وإذا هنا ظرفية بمعنى حين ووقت، وليست بشرطية والعامل في يومئذ خبير، وإنما خص ذلك بيوم القيامة لأنه يوم الجزاء بقصد التهديد مع أن الله خبير على الإطلاق.

سورة القارعة

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ من أسماء القيامة لأنها تقرع القلوب بهولها، وقيل: هي النفخة في الصور لأنها تقرع الأسماع. ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر القارعة والمراد به تعظيم شأنها وكذلك ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾.

وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ القَارِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴿١١﴾

سُورَةُ التَّكَاثُرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ العامل في الظرف محذوف دل عليه القارعة تقديره: تقرع في يوم والفراش هو الطير الصغير الذي يشبه البعوض ويدور حول المصباح والمبثوث هو المنتشر المتفرق شبه الله الخلق يوم القيامة به في كثرتهم وانتشارهم وذلتهم ويحتمل أنه شبههم به لتساقطهم في جهنم كما يتساقط الفراش في المصباح، قال بعض العلماء: الناس في أول قيامهم من القبور كالفراش المبثوث؛ لأنهم يجيئون ويذهبون على غير نظام، ثم يدعوهم الداعي فيتوجهون إلى ناحية المحشر، فيكونون حينئذ كالجراد المنتشر؛ لأن الجراد يقصد إلى جهة واحدة، وقيل: الفراش هنا الجراد الصغير وهو ضعيف.

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ العهن هو الصوف، وقيل: الصوف الأحمر، وقيل: الصوف الملون ألوانا شبه الله الجبال يوم القيامة به لأنها تنسف فتصير لينة، وعلى القول بأنه الملون يكون التشبيه أيضا من طريق اختلاف ألوان الجبال، لأن منها بيضاء وحمراء وسوداء.

﴿مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ هو جمع ميزان أو جمع موزون وميزان الأعمال يوم القيامة له لسان وكفتان عند الجمهور، وقال قوم هو عبارة عن العدل.

﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ معناه ذات رضا عند سيبويه، وثقل الموازين بكثرة الحسنات، وخفتها بقلتها ولا يخف ميزان مؤمن خفة موبقة؛ لأن الإيمان يوزن فيه.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الهاوية جهنم سميت بذلك لأن الناس يهوون فيها، أي يسقطون وأمه معناه مأواه كقولك: المدينة أم فلان، أي مسكنه على التشبيه بالأم الوالدة لأنها مأوى الولد ومرجعه.

الثاني: أن الأم هي الوالدة وهاوية ساقطة وذلك عبارة عن هلاكه كقولك: أمه ثكلى إذا هلك.

الثالث: أن المعنى أم رأسه هاوية في جهنم، أي ساقطة فيها لأنه يطرح فيها منكوسا، وروي[1]: أن رسول الله ﷺ قال لرجل: لا أم لك، فقال يا رسول الله: تدعوني إلى الهدى وتقول لي لا أم لك، فقال رسول الله ﷺ إنما أردت: لا نار لك قال الله تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ وهذا يؤيد القول الأول.

﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ الهاء للسكت، والضمير لجهنم على القول بأنها الهاوية وهو للفعلة والخصلة التي يراد بها العذاب على القول الثاني والثالث، والمقصود تعظيمها ثم فسرها بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾.

سورة التكاثر

﴿أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ هذا خبر يراد به الوعظ والتوبيخ ومعنى ألهاكم شغلكم والتكاثر المباهاة بكثرة المال والأولاد وأن يقول هؤلاء نحن أكثر ويقول هؤلاء نحن أكثر ولما قرأها النبي ﷺ قال[2]: **«يقول ابن آدم مالي مالي وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت»**.

---

(١) تفسير الثعالبي: ٤/٤٣٨، والمحرر الوجيز: ٥/٤٨٨.

(٢) مسلم الحديث رقم: (٧٦٠٩)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٣٣٢٧)، وسنن النسائي الحديث رقم: (٣٦١٥).

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أن معناه حتى متم فأراد بزيارة المقابر الدفن فيها.

الثاني: أن معناه حتى ذكرتم الموتى الذين في المقابر فعبر بزيارتها عن التفاخر بمن فيها لأن بعض العرب تفاخر بآبائها الموتى فالمعنى ألهاكم التكاثر حتى بلغتم فيه إلى ذكر الموتى.

الثالث: أن معناه زيارة المقابر حقيقة لتعظيم أهلها والتفاخر بهم فيقال هذا قبر فلان ليشهر ذكره ويعظم قدره.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ زجر وتهديد ثم كرره للتأكيد وعطفه بثم إشارة إلى أن الثاني أعظم من الأول، وقيل: كلا سوف تعلمون في القبور ثم كلا سوف تعلمون يوم القيامة، وقيل: الأول تهديد للكفار والثاني تهديد للمؤمنين، وحذف معمول تعلمون، وتقديره: تعلمون ما يحل بكم، أو تعلمون أن القرآن حق، أو تعلمون أنكم كنتم على خطإ في اشتغالكم بالدنيا، وإنما حذفه لقصد التهويل فيقدر السامع أعظم ما يخطر بباله.

﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ جواب لو محذوف تقديره: لو تعلمون لازدجرتم واستعددتم للآخرة، فينبغي الوقف على اليقين، ومعمول لو تعلمون محذوف أيضا، وعلم اليقين مصدر ومعنى علم اليقين: العلم الذي لا يشك فيه، قال بعضهم: هو من إضافة الشيء إلى نفسه كقولك: دار الآخرة، وقال الزمخشري معناه: علم الأمور التي تتيقنونها بالمشاهدة.

﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ هذا جواب قسم محذوف وهو تفسير لمفعول لو تعلمون تقديره: لو تعلمون عاقبة أمركم ثم فسرها بأنها رؤية الجحيم، والتفسير بعد الإبهام يدل على التهويل والتعظيم، والخطاب لجميع الناس فهو كقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ وقيل: للكفار خاصة، فالرؤية على هذا يراد بها الدخول فيها.

سُورَةُ العَصْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الهُمَزَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾

ثمن

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ هذا تأكيد للرؤية المتقدمة، وعطفه بثم للتهويل والتفخيم، والعين هنا من قولك: عين الشيء نفسه وذاته، أي لترونها الرؤية التي هي نفس اليقين.

﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ هذا إخبار بالسؤال في الآخرة عن نعيم الدنيا، فقيل: النعيم الأمن والصحة، وقيل: الطعام والشراب، وهذه أمثلة، والصواب العموم في كل ما يتلذذ به، قال رسول الله ﷺ[1]: «بيت يكنك، وخرقة تواريك، وكسرة تشد قلبك، وما سوى ذلك فهو نعيم» وقال ﷺ[2]: «كل نعيم فمسؤول عنه إلا نعيم في سبيل الله» وأكل ﷺ يوما مع أصحابه رطبا وشربوا عليه ماء فقال لهم: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه»[3].

سورة العصر

﴿وَالْعَصْرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

الأول: أنه صلاة العصر أقسم الله بها لفضلها قال رسول الله ﷺ: «الذي تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله»[4].

---

(١) لم أجده مسندا.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٩٠.

(٣) أخرجه الطبري في جامع البيان: ٢٤/٥٨٦.

(٤) البخاري الحديث رقم: (٥٢٧)، ومسلم الحديث رقم: (٦٢٦)، وأبو داود الحديث رقم: (٤١٤)، والترمذي الحديث رقم: (١٧٥)، والنسائي الحديث رقم: (٥١٢).

الثاني: أنه العشي أقسم به كما أقسم بالضحى ويؤيد هذا قول أبي بن كعب سألت رسول الله ﷺ عن العصر فقال[1]: أقسم ربكم بآخر النهار.

والثالث: أنه الزمان.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ الإنسان جنس، ولذلك استثنى منه ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فهو استثناء متصل.

﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾ أي وصى بعضهم بعضا بالحق وبالصبر، فالحق هو الإسلام وما يتضمنه، وفيه إشارة إلى كذب الكفار، وفي الصبر إشارة إلى صبر المؤمنين على إذاية الكفار لهم بمكة.

سورة الهمزة

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ هو على الجملة الذي يعيب الناس ويأكل أعراضهم، واشتقاقه من الهمز واللمز، وصيغة فعلة للمبالغة، واختلف في الفرق بين الكلمتين، فقيل: الهمز في الحضور، واللمز في الغيبة، وقيل: بالعكس، وقيل: الهمز باليد والعين واللمز باللسان، وقيل: هما سواء، ونزلت السورة في الأخنس بن شريق؛ لأنه كان كثير الوقيعة في الناس، وقيل: في أمية بن خلف، وقيل: في الوليد بن المغيرة، ولفظها مع ذلك على العموم في كل من اتصف بهذه الصفات.

﴿وَعَدَّدَهُۥ﴾ أي أحصاه وحافظ على عدده ألا ينقص، فمنعه من الخيرات، وقيل: معناه استعده وادخره عدة لحوادث الدهر.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ أي يظن بفرط جهله واغتراره أن ماله يخلده في الدنيا، وقيل: يظن أن ماله يوصله إلى دار الخلد.

---

(١) اللباب: ٢٠/٤٨٦، والمحرر الوجيز: ٥/٤٩٠، والجامع لأحكام القرآن: ٢٠/١٨٠.

﴿كَلَّا﴾ رد عليه فيما ظنه. ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلْحُطَمَةِ﴾ هذا جواب قسم محذوف، والحطمة هي جهنم وإنما سميت حطمة لأنها تحطم ما يلقى فيها وتلتهبه، وقد عظمها بقوله: ﴿وَمَا أَدْرَىٰكَ﴾ ثم فسرها بأنها: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ أي تبلغ القلوب بإحراقها، قال ابن عطية: يحتمل أن يكون المعنى: أنها تطلع على ما في القلوب من العقائد والنيات بإطلاع الله إياها.

﴿مُّوصَدَةٌ﴾ مغلقة. ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ العمد جمع عمود، وهو عند سيبويه اسم جمع وقرئ[1] عمد بضمتين، والعمود هو المستطيل من حديد أو خشب، والممددة الطويلة وفي المعنى قولان:

أحدهما: أن أبواب جهنم أغلقت عليهم ثم مدت على أبوابها عمد تشديدا في الإغلاق والثقاف، كما تثقف أبواب البيوت بالعمد، وهو على هذا متعلق بمؤصدة.

والآخر: أنهم موثوقون مغلولون في العمد، فالمجرور على هذا في موضع خبر مبتدإ مضمر تقديره: هم موثوقون في عمد.

سورة الفيل

نزلت هذه السورة منبهة على العبرة في قصة الفيل التي وقعت في عام مولد رسول الله ﷺ، فإنها تدل على كرامة الله للكعبة وإنعامه على قريش بدفع العدو عنهم، فكان يجب عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به، وفيها مع ذلك عجائب من قدرة الله وشدة عقابه، وقد ذكرت القصة في كتب السير وغيرها.

---

(١) ﴿عمد﴾ قرأ حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر: بضم العين والميم، وقرأ الباقون بفتحهما، واتفقوا على قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ﴾ [سورة لقمان آية ٩] أنه بفتح العين والميم؛ لأنه جمع عماد وهو البناء، كإهاب وأهب وإدام، ولهذا قيل في تفسيره: هو بناء محكم مستطيل يمنع المرتفع أن يميل. النشر: ٢/٤٤٤.

واختصارها: أن أبرهة ملك الحبشة بنى بيتا باليمن، وأراد أن يحج الناس إليه كما يحجون إلى الكعبة، فذهب أعرابي وأحدث في البيت فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة، فاحتفل في جموعه وركب الفيل وقصد مكة، فلما وصل قريبا منها فر أهلها إلى الجبال وأسلموا له الكعبة، وأخذ لعبد المطلب مائتي بعير فكلمه فيها فقال له: كيف تكلمني في الإبل ولا تكلمني في الكعبة؟ وقد جئت لهدمها وهي شرفك وشرف قومك، فقال له: أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه فبرك الفيل بذي الغميس[١] ولم يتوجه إلى مكة فكانوا إذا وجهوه إلى غيرها هرول وإذا وجهوه إليها توقف ولو بضعوه بالحديد، فبينما هم كذلك أرسل الله عليهم طيورا سودا، وقيل: خضرا عند كل طائر ثلاثة أحجار في منقاره ورجليه، فرمتهم الطيور بالحجارة، فكان الحجر يقتل من وقع عليه، وروي: أنه كان يدخل في رأسه ويخرج من دبره، ووقع في سائرهم الجدري والأسقام وانصرفوا فماتوا في الطريق متفرقين في المراحل، وتقطع أبرهة أنملة أنملة.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ﴾ معناه ألم تعلم وكيف في موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر والجملة معمول ألم تر ﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾ أي إبطال وتخسير.

﴿أَبَابِيلَ﴾ معناه جماعات شيئا بعد شيء، قال الزمخشري: واحدها أبلة وقال جمهور الناس: هو جمع لا واحد له من لفظه.

﴿بِحِجَارَةٍ﴾ روي: أن كل حجر منها كان فوق العدسة ودون الحمصة قال ابن عباس[٢]: إنه أدرك عند أم هانئ نحو قفتين من هذه الحجارة، وأنها كانت

---

(١) قال الشيخ محمد الطاهر بن عاشور: وسار حتى نزل خارج مكة ليلاً بمكان يقال له المُغَمَّس (كمعظم) موضع قرب مكة في طريق الطائف، أو ذو الغميس (لم أر ضبطه). التحرير والتنوير: ٥٤٦/٣٠.

(٢) اللباب: ٤٩٨/٢٠، وأخرج ابن مردويه وأبو نعيم عن أبي صالح أنه رأى عند أم هانئ بنت أبي طالب من تلك الحجارة نحوا من قفيز مخططة بحمرة كأنها جزع ظفار مكتوب في الحجر اسمه واسم أبيه. الدر المنثور: ٦٣٣/٨.

مخططة بحمرة، وروي: أنه كان على كل حجر اسم من يقع عليه مكتوبا ﴿سِجِّيلٍ﴾ قد ذكر.

﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ العصف ورق الزرع وتبنه والمراد أنهم صاروا رميما وفي تشبيههم به ثلاثة أوجه:

الأول: أنه شبههم بالتين إذا أكلته الدواب ثم راثته، فجمع التلف والخسة، ولكن الله كنى عن هذا على حسب أدب القرآن.



سُورَةُ قُرَيْشٍ - آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْمَاعُونِ - آياتها ٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ الْكَوْثَرِ - آياتها ٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

الثاني: أنه أراد ورق الزرع إذا أكلته الدود.

الثالث: أنه أراد كعصف مأكول زرعه وبقي هو لا شيء.

سورة قريش

﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ قريش هم حي من عرب الحجاز، الذين هم من ذرية معد بن عدنان، إلا أنه لا يقال قرشي إلا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت، نحو: بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم، وإنما سميت القبيلة قريشا لتقرشهم، والتقرش التكسب، وكانوا تجارا، وعن معاوية: أنه سأل ابن عباس: لم سميت قريش قريشا؟ قال[1]: بدابة في البحر تأكل ولا تؤكل، وتعلو ولا تعلى. وكانوا ساكنين بمكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة، رحلة في الشتاء إلى اليمن ورحلة في

(١) الكشاف: ٩٢/١، والمحرر الوجيز: ٤٧٧/٥.

الصيف إلى الشام، وقيل: كانت الرحلتان جميعا إلى الشام، وقيل: كانوا يرحلون في الصيف إلى الطائف حيث الماء والظل فيقيمون بها، ويرحلون في الشتاء إلى مكة لسكناهم بها، والإيلاف مصدر، من قولك: آلفت المكان إذا ألفته، وقيل: هو منقول منه بالهمزة، يقال: ألف الرجل الشيء وآلفه إياه غيره، فالمعنى على القول الأول: أن قريشا ألفوا رحلة الشتاء والصيف، وعلى الثاني: أن الله ألفهم الرحلتين واختلف في تعلق قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه يتعلق بقوله: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ﴾ والمعنى فليعبدوا الله من أجل إيلافهم الرحلتين فإن ذلك نعمة من الله عليهم.

الثاني: أنه يتعلق بمحذوف تقديره: أعجبوا لإيلاف قريش.

الثالث: أنه يتعلق بسورة الفيل، والمعنى: أن الله أهلك أصحاب الفيل لإيلاف قريش، فهو يتعلق بقوله: ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ أو بما قبله من الأفعال ويؤيد هذا أن السورتين في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة لا فصل بينهما، وقد قرأهما عمر في ركعة واحدة من المغرب وذكر الله الإيلاف أو لا مطلقا ثم أبدل منه الإيلاف المقيد بالرحلتين تعظيما للأمر ونصب رحلة لأنه مفعول بإيلافهم، وقال: رحلة وأراد رحلتين فهو كقول الشاعر[1]:

❊ كلوا في بعض بطنكم تعفوا ❊

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ هذا إقامة حجة عليهم بملاطفة واستدعاء لهم وتذكير بالنعم والبيت هو المسجد الحرام.

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ يحتمل أن يريد إطعامهم بسبب الرحلتين فقد روي: أنهم كانوا قبل ذلك في شدة وضيق حال حتى أكلوا الجيف، ويحتمل أن

(١) وهو بتمامه:

(كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص)

يريد إطعامهم على الإطلاق فقد كان أهل مكة ساكنين بواد غير ذي زرع ولكن الله أطعمهم مما يجلب إليهم من البلاد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو قوله: ﴿وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ﴾.

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ يحتمل أن يريد آمنهم من خوف أصحاب الفيل، ويحتمل أن يريد آمنهم في بلدهم بدعوة إبراهيم في قوله: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَداً ءَامِناً﴾ وقد فسرناه في موضعه، أو يعني آمنهم في أسفارهم لأنهم كانوا في رحلتهم آمنين لا يتعرض لهم أحد بسوء وكان غيرهم من الناس تؤخذ أموالهم وأنفسهم وقيل: آمنهم من الجذام فلا يرى بمكة مجذوم، قال الزمخشري: التنكير في جوع وخوف لشدتهما.

سورة الماعون

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِے يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ قيل: إن هذا نزل في أبي جهل وأبي سفيان بن حرب، وقيل: هو مطلق، والدين هنا الملة أو الجزاء.

﴿فَذَٰلِكَ الَّذِے يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي يدفعه بعنف وهذا الدفع يحتمل أن يكون عن إطعامه والإحسان إليه، أو عن ماله وحقوقه وهذا أشد والذي لا يحض على طعام المسكين لا يطعمه من باب أولى، وهذه الجملة هي جواب أرأيت؛ لأن معناها أخبرني، فكأنه سؤال وجواب، والمعنى: انظر الذي كذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة والأعمال السيئة، وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على فعل الحسنات وترك السيئات، فمقصود الكلام ذم الكفار وأحوالهم.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قيل: إن هذا نزل في عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق، والسورة على هذا نصفها مكي ونصفها مدني قاله أبو زيد السهيلي: وذلك أن ذكر أبي جهل وغيره من الكفار أكثر ما جاء في السور المكية، وذكر السهو عن الصلاة والرياء فيها إنما هو من صفة الذين كانوا

بالمدينة لاسيما على قول من قال: إنها في عبد الله بن أبي، وقيل: إنها مكية كلها وهو الأشهر، ونزل آخرها على هذا في رجل أسلم بمكة ولم يكن صحيح الإيمان، وقيل: مدنية والسهو عن الصلاة هو تركها أو تأخيرها تهاونا بها، وقد سئل رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون، قال: الذين يؤخرونها عن وقتها، وقال عطاء بن يسار[1]: الحمد لله الذي قال: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل في صلاتهم.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ هو من الرياء أي صلاتهم رياء للناس لا لله.

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وصف لهم بالبخل وقلة المنفعة للناس، وفي الماعون أربعة أقوال:

الأول: أنه الزكاة. الثاني: أنه المال بلغة قريش. الثالث: أنه الماء.

الرابع: أنه ما يتعاطاه الناس بينهم كالآنية والفأس والدلو والمقص وسئل رسول الله ﷺ ما الشيء الذي لا يحل منعه؟ فقال: الماء، والنار، والملح، وزاد في بعض الطرق: الإبرة، والخميرة.

سورة الكوثر

﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ والكوثر بناء مبالغة من الكثرة وفي تفسيره سبعة أقوال:

الأول: حوض النبي ﷺ.

الثاني: أنه الخير الكثير الذي أعطاه الله في الدنيا والآخرة، قاله ابن عباس[2] وتبعه سعيد بن جبير فإن قيل: إن النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله،

(١) المحرر الوجيز: ٥/٤٩٦، والثعالبي: ٤/٤٤٤، وفي ابن كثير: عطاء بن دينار: ٨/٤٩٣.
(٢) المحرر الوجيز: ٥/٤٩٦.

فالمعنى: أنه على العموم.

الثالث: أن الكوثر القرآن.

الرابع: أنه كثرة الأصحاب والأتباع.

الخامس: أنه التوحيد.

السادس: أنه الشفاعة.

السابع: أنه نور وضعه الله في قلبه ولا شك أن الله أعطاه هذه الأشياء كلها ولكن الصحيح أن المراد بالكوثر الحوض لما ورد في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الكوثر؟ هو نهر أعطانيه الله»[1] وهو الحوض آنيته عدد نجوم السماء.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ فيه خمسة أقوال:

الأول: أنه أمره بالصلاة على الإطلاق، وبنحر الهدي والضحايا.

الثاني: أنه ﷺ كان يضحي قبل صلاة العيد فأمره أن يصلي ثم ينحر، فالمقصود على هذا تأخير نحر الأضاحي عن الصلاة.

الثالث: أن الكفار يصلون مكاء وتصدية وينحرون للأصنام، فقال الله لنبيه ﷺ: صل لربك وحده وانحر له، أي لوجهه لا لغيره فهو على هذا أمر بالتوحيد والإخلاص.

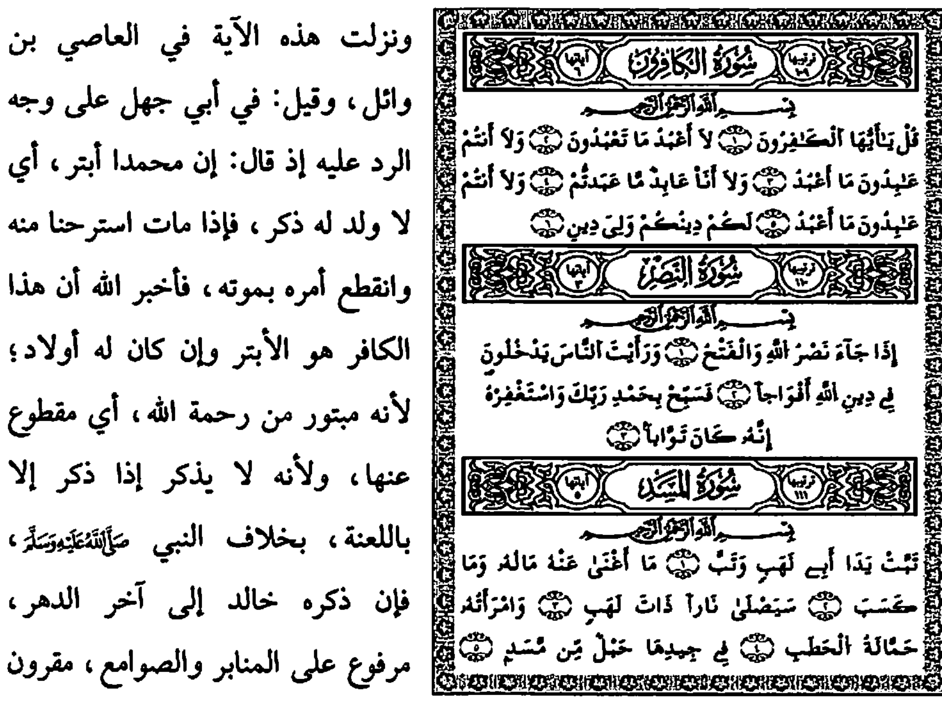
الرابع: أن معنى انحر ضع يدك اليمنى على اليسرى عند صدرك في الصلاة فهو على هذا من النحر وهو الصدر.

الخامس: أن معناه ارفع يديك عند نحرك في افتتاح الصلاة.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ الشانئ: هو المبغض وهو من الشنآن بمعنى العداوة

---

(١) أخرجه مسلم بلفظ (فإنه نهر وعدنيه ربي) الحديث رقم: (٤٠٠).



ونزلت هذه الآية في العاصي بن وائل، وقيل: في أبي جهل على وجه الرد عليه إذ قال: إن محمدا أبتر، أي لا ولد له ذكر، فإذا مات استرحنا منه وانقطع أمره بموته، فأخبر الله أن هذا الكافر هو الأبتر وإن كان له أولاد؛ لأنه مبتور من رحمة الله، أي مقطوع عنها، ولأنه لا يذكر إذا ذكر إلا باللعنة، بخلاف النبي ﷺ، فإن ذكره خالد إلى آخر الدهر، مرفوع على المنابر والصوامع، مقرون بذكر الله، والمؤمنون من زمانه إلى يوم القيامة أتباعه فهو كوالدهم.

سورة الكافرون

سبب هذه السورة أن قوما من قريش منهم الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاصي بن وائل وأبو جهل ونظراؤهم، قالوا: يا محمد اتبع ديننا ونتبع دينك، اعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فقال: معاذ الله أن نشرك بالله شيئا ونزلت السورة في معنى البراءة من آلهتهم(١)، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**من قرأها فقد برئ من الشرك**»(٢).

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ هذا إخبار أنه لا يعبد أصنامهم، فإن قيل: لم كرر هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾؟ فالجواب من وجهين:

---

(١) المحرر الوجيز ٥/٤٩٧.

(٢) رواه الإمام أحمد كما في تفسير ابن كثير: ٨/٥٠٧.

أحدهما: قاله الزمخشري وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يريد في الزمان المستقبل وقوله: ﴿وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ يريد به فيما مضى أي ما كنت قط عابدا ما عبدتم فيما سلف، فكيف تطلبون ذلك مني الآن؟

الثاني: قاله ابن عطية، وهو أن قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لما كان يحتمل أن يراد به زمان الحال خاصة، قال: ولا أنا عابد ما عبدتم، أي أبدا ما عشت؛ لأن لا النافية إذا دخلت على الفعل المضارع خلصته للاستقبال، فقوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ﴾ لا يحتمل أن يريد به الحال، ويحتمل عندي أن يكون قوله: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ يراد به في المستقبل على حسب ما تقتضيه لا من الاستقبال، ويكون قوله: ﴿وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ يريد به في الحال، فيحصل من المجموع نفي عبادته للأصنام في الحال والاستقبال، ومعنى الحال في قوله: ﴿وَلَآ أَنَاْ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ثم أظهر من معنى المضي الذي قاله الزمخشري، ومن معنى الاستقبال، فإن قولك: ما زيد بقائم بنفي الجملة الاسمية يقتضي الحال.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ هذا إخبار أن هؤلاء الكفار لا يعبدون الله كما قيل لنوح: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ إلا أن هذا في حق قوم مخصوصين ماتوا على الكفر، وقد روي: أن هؤلاء الجماعة المذكورين هم أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف وأبي بن خلف وابن الحجاج وكلهم ماتوا كفارا، فإن قيل: لم قال ما أعبد بما دون من التي هي موضوعة لمن يعقل؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن ذلك لمناسبة قوله لا أعبد ما تعبدون فإن هذا واقع على الأصنام التي لا تعقل ثم جعل ما أعبد على طريقته لتناسب اللفظ.

الثاني: أنه أراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق، قاله الزمخشري.

الثالث: أن ما مصدرية والتقدير: لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتي، وهذا ضعيف، **فإن قيل**: لم كرر هذا المعنى واللفظ، فقال بعد ذلك: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ مرة أخرى؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: قول الزمخشري وهو أن الأول في المستقبل والثاني فيما مضى.

والآخر: قاله ابن عطية، وهو أن الأول في الحال والثاني في الاستقبال فهو حتم عليهم أن لا يؤمنوا أبدا.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ أي لكم شرككم ولي توحيدي وهذه براءة منهم وفيها مسالمة منسوخة بالسيف.

سورة النصر

سأل عمر بن الخطاب جماعة من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن معنى هذا السورة **فقالوا: «إن الله أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتسبيح والاستغفار عند النصر والفتح وذلك على ظاهر لفظها فقال لابن عباس بمحضرهم: يا عبد الله، ما تقول أنت؟ قال: هو أجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعلمه الله بقربه إذا رأى النصر والفتح، فقال عمر[(١)]: ما أعلم منها إلا ما علمت»**، وقد قال بهذا المعنى ابن مسعود وغيره، ويؤيده قول عائشة إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما فتح مكة وأسلم العرب جعل يكثر أن يقول[(٢)]: **«سبحانك اللهم وبحمدك اللهم إني أستغفرك يتأول القرآن»** أي هذه السورة وقال لها مرة ما أراه إلا حضور أجلي، وقال ابن عمر: نزلت هذه السورة بمعنى أيام التشريق في حجة الوداع وعاش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدها ثمانين يوما أو نحوها وقال ابن مسعود هذه السورة تسمى سورة التوديع[(٣)].

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ يعني بالفتح فتح مكة والطائف وغيرهما من

---

(١) صحيح البخاري الحديث رقم: (٣٤٢٨)، وسنن الترمذي الحديث رقم: (٣٣٦٢).
(٢) البخاري الحديث رقم: (٤٦٨٤)، ومسلم الحديث رقم: (١١١٣).
(٣) لم أجده مسندا وهو في كتب التفسير انظر تفسير السراج المنير ٤/٤٤٢ وروح المعاني ٣٠/٢٥٥.

البلاد التي فتحها رسول الله ﷺ وقال ابن عباس: إن النصر صلح الحديبية والفتح فتح مكة، وقيل: النصر إسلام أهل اليمن والإخبار بذلك كله قبل وقوعه إخبار بغيب فهو من أعلام النبوءة.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجاً﴾ أي جماعات وذلك أنه أسلم بعد فتح مكة بشر كثير فقد روي: أن رسول ﷺ كان معه في فتح مكة عشرة آلاف، وكان معه في غزوة تبوك سبعون ألفا، وقال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله ﷺ وفي العرب رجل كافر[١]، وقد قيل: إن عدد المسلمين عند موته مائة ألف وأربعة عشر ألفا.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ قد ذكر التسبيح والاستغفار ومعنى بحمد ربك فيما تقدم، فإن قيل: لم أمره الله بالتسبيح والحمد والاستغفار عند رؤية النصر والفتح وعند اقتراب أجله؟ فالجواب: أنه أمر بالتسبيح والحمد ليكون شكرا على النصر والفتح وظهور الإسلام، وأمره بذلك وبالاستغفار عند اقتراب أجله ليكون ذلك زادا للآخرة وعدة للقاء الله.

سورة أبي لهب

سببها[٢]: أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ صعد رسول الله ﷺ على الصفا فنادى بأعلى صوته يا صباحاه فاجتمعت إليه قريش فقال لهم: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ ثم أنذرهم عموما وخصوصا، فقال له أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟ فنزلت السورة.

(١) والمراد والله أعلم عرب عبدة الأوثان، وأما نصارى بني تغلب فما أراهم أسلموا قط في حياة رسول الله ﷺ، لكن أعطوا الجزية. المحرر الوجيز ٥/٤٩٩.

(٢) أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: صعد رسول الله ذات يوم على الصفا فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تبت يدا أبي لهب وتب﴾ إلى آخرها. البخاري الحديث رقم: (٤٨٠١).

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾ معنى تبت خسرت والتباب هو الخسران، وأبو لهب هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم، وهو عم رسول الله ﷺ، وكان من أشد الناس عداوة له، فإن قيل: لم ذكره الله بكنيته دون اسمه؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن كنيته كانت أغلب عليه من اسمه كأبي بكر وغيره، ويقال إنه كنى بأبي لهب لتلهب وجهه جمالا.

الثاني: أنه لما كان اسمه عبد العزى عدل عنه إلى الكنية.

الثالث: أنه لما كان من أهل النار واللهب كناه أبا لهب وليناسب ذلك قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾.

﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية يراد بها النفي، وماله هو رأس ماله وما كسب أولاده الربح أو ماله ما ورث وما كسب هو ما اكتسبه لنفسه، وقيل: ماله جميع ماله، وما كسب أولاده.

﴿سَيَصْلَىٰ نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾ هذا حتم عليه بدخول النار ومات بعد ذلك كافرا.

﴿وَامْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ اسم امرأته أم جميل بنت حرب بن أمية وهي أخت أبي سفيان وعمة معاوية وفي وصفها بحمالة الحطب أربعة أقوال:

أحدها: أنها كانت تحمل حطبا وشوكا فتلقيه في طريق النبي ﷺ لتؤذيه.

الثاني: أن ذلك عبارة عن مشيها بالنميمة، يقال فلان يحمل الحطب بين الناس أي يوقد بينهم نار العداوة بالنمائم.

الثالث: أنه عبارة عن سعيها بالمضرة على المسلمين يقال فلان يحطب على فلان إذا قصد الإضرار به.

الرابع: أنه عبارة عن ذنوبها وسوء أعمالها.

﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ الجيد العنق، والمسد الليف، وقيل: الحبل


سُورَةُ الإِخْلَاصِ — ترتيبها ١١٢ — آياتها ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾

سُورَةُ الفَلَقِ — ترتيبها ١١٣ — آياتها ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

سُورَةُ النَّاسِ — ترتيبها ١١٤ — آياتها ٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾

المفتول وفي المراد به ثلاثة أقوال:

الأول: أنه إخبار عن حملها الحطب في الدنيا على القول الأول وفي ذلك تحقير لها وإظهار لخساسة حالها.

والآخر: أن حالها في جهنم يكون كذلك أي يكون في عنقها حبل.

الثالث: أنها كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها على عداوة محمد فأخبر عن قلادتها بحبل المسد على جهة التفاؤل والذم لها بتبرجها، ويحتمل قوله: وامرأته وما بعده وجوها من الإعراب يختلف الوقف باختلافها وهي أن يكون امرأته مبتدءا وحمالة الحطب خبره، أو يكون حمالة الحطب نعت والخبر في جيدها حبل من مسد، أو يكون امرأته معطوفا على الضمير في يصلى وحمالة الحطب نعت أو خبر ابتداء مضمر.

سورة الإخلاص

سبب نزول هذه السورة أن اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا محمد صف لنا ربك وانسبه، فإنه وصف نفسه في التوراة ونسبها فارتعد رسول الله ﷺ حتى خر مغشيا عليه ونزل عليه جبريل عليه السلام بهذه السورة، وقيل: إن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: أنسب لنا ربك فنزلت، وعلى الرواية الأولى تكون السورة مدنية. وعلى الرواية الثانية تكون مكية، واختلف في معنى قوله ﷺ[1]: «قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن»، فقيل: إن ذلك في الثواب أي

---

(١) مسلم الحديث رقم: (١٩٢٤)، والترمذي في سننه الحديث رقم: (٢٩٠٠)، والسنن الكبرى للنسائي الحديث رقم: (١٠٥٢٠).

لمن قرأها من الأجر مثل أجر من قرأ ثلث القرآن، وقيل: إن ذلك فيما تضمنته من المعاني والعلوم وذلك أن علوم القرآن ثلاثة توحيد وأحكام وقصص وقد اشتملت هذه السورة على التوحيد فهي ثلث القرآن بهذا الاعتبار وهذا أظهر وعليه حمل ابن عطية الحديث، ويؤيده أن في بعض روايات الحديث إن الله جزأ القرآن ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزءا من أجزاء القرآن، وخرج النسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقرؤها فقال: **«أما هذا فقد غفر له»**[1]، وفي رواية أنه قال: **«وجبت له الجنة»**، وخرج مسلم **«أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه في الصلاة قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال: لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأها، فقال رسول الله ﷺ: أخبروه أن الله يحبه»**[2] وفي رواية خرجها الترمذي أنه ﷺ قال للرجل: **«حبك إياها أدخلك الجنة»**[3] وخرج الترمذي أن رسول الله ﷺ قال[4]: **«من قرأ قل هو الله أحد مائة مرة كل يوم غفرت له ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين»**.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ الضمير هنا عند البصريين ضمير الأمر والشأن والذي يراد به التعظيم والتفخيم وإعرابه مبتدأ وخبره الجملة التي بعده وهي المفسرة له والله مبتدأ وأحد خبره وقيل الله هو الخبر وأحد بدل منه وقيل الله بدل وأحد هو الخبر وأحد له معنيان:

أحدهما: أن يكون من أسماء النفي التي لا تقع إلا في غير الواجب كقولك ما

(١) سنن النسائي، الحديث رقم (٨٠٢٨).

(٢) البخاري الحديث رقم: (٦٩٤٠)، ومسلم الحديث رقم: (٨١٣)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (٧٩٣).

(٣) وانظر المسند الحديث رقم: (١٢٤٥٥)، وسنن الدارمي الحديث رقم: (٣٤٣٥)، وصحيح ابن حبان الحديث رقم: (١٩٢).

(٤) في المعجم الكبير للطبراني مرفوعا «مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ، ثُمَّ قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ مِائَةَ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَكُلَّمَا قَرَأَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ غُفِرَ لَهُ ذَنْبُ سَنَةٍ». الحديث رقم: (١٧٦٩٢).

جاءني أحد، وليس هذا موضع هذا المعنى وإنما موضعه قوله ولم يكن له كفوا أحد.

والآخر: أن يكون بمعنى واحد وأصله وحد بواو ثم أبدل من الواو همزة وهذا هو المراد هنا.

واعلم أن وصف الله تعالى بالواحد له ثلاثة معان كلها صحيحة في حق الله تعالى:

الأول: أنه واحد لا ثاني معه فهو نفي للعدد.

والثاني: أنه واحد لا نظير ولا شريك له، كما تقول فلان واحد عصره أي لا نظير له.

والثالث: أنه واحد لا ينقسم ولا يتبعض، والأظهر أن المراد في السورة نفي الشريك لقصد الرد على المشركين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ قال الزمخشري: أحد وصف بالوحدانية ونفي الشركاء.

قلت: وقد أقام الله في القرآن براهين قاطعة على وحدانيته وذلك في القرآن كثير جدا، وأوضحها أربعة براهين:

الأول: قوله ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ لأنه إذا ثبت أن الله تعالى خالق جميع الموجودات لم يمكن أن يكون واحد منها شريكا له.

والثاني: قوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾.

والثالث: قوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾.

والرابع: قوله: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وقد فسرنا هذه الآيات في مواضعها وتكلمنا على حقيقة التوحيد في قوله: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ في معنى الصمد ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السيد الذي يصمد إليه في الأمور، أي يلجأ إليه

والآخر: أنه الذي لا يأكل ولا يشرب، فهو كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾.

والثالث: أنه الذي لا جوف له، والأول هو المراد هنا على الأظهر ورجحه ابن عطية بأن الله موجد الموجودات وبه قوامها، فهي مفتقرة إليه أي تصمد إليه إذ لا تقوم بأنفسها، ورجحه شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير بورود معناه في القرآن حيثما ورد نفي الولد عن الله تعالى، كقوله في مريم: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾ ثم أعقبه بقوله: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ وقوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ وقوله: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وكذلك هنا ذكره مع قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ فيكون برهانا على نفي الولد، قال الزمخشري: صمد فعل بمعنى مفعول لأنه مصمود إليه في الحوائج.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾ هذا رد على كل من جعل لله ولدا، فمنهم النصارى في قولهم: عيسى ابن الله، واليهود في قولهم: عزيز ابن الله، والعرب في قولهم: الملائكة بنات الله، وقد أقام الله البراهين في القرآن على نفي الولد وأوضحها أربعة أقوال:

الأول: أن الولد لا بد أن يكون من جنس والده والله تعالى ليس له جنس فلا يمكن أن يكون له ولد، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ فوصفهما بصفة الحدوث لينفي عنهما صفة القدم، فتبطل مقالة الكفار.

والثاني: أن الوالد إنما يتخذ ولدا للحاجة إليه، والله لا يفتقر إلى شيء فلا يتخذ ولدا، وإلى هذا أشار بقوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾.

الثالث: أن جميع الخلق عباد الله والعبودية تنافي البنوة وإلى هذا أشار بقوله: تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾.

الرابع: أنه لا يكون ولد إلا لمن له زوجة، والله تعالى لم يتخذ زوجة فلا يكون له ولد، وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَاحِبَةٌ﴾.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هذا رد على الذين قالوا: انسب لنا ربك، وذلك أن كل مولود محدث والله تعالى هو الأول الذي لا افتتاح لوجوده، القديم الذي كان ولم يكن معه شيء غيره، فلا يمكن أن يكون مولودا تعالى عن ذلك.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ الكفؤ هو النظير والمماثل، قال الزمخشري: يجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح فيكون نفيا للصاحبة وهذا بعيد، والأول هو الصحيح، ومعناه: أن الله ليس له نظير ولا شبيه ولا مثيل، ويجوز في كفؤا ضم الفاء وإسكانها مع ضم الكاف وقد قرئ[1] بالوجهين، ويجوز أيضا كسر الكاف وإسكان الفاء، ويجوز كسر الكاف وفتح الفاء والمد، ويجوز فيه الهمزة والتسهيل وانتصب كفؤا على أنه خبر كان وأحد اسمها، قال ابن عطية: ويجوز أن يكون كفؤا حالا لكونه كان صفة للنكرة فقدم عليها، فإن قيل: لم قدم المجرور وهو له، على اسم كان وخبرها، وشأن الظرف إذا وقع غير خبر أن يؤخر؟ فالجواب من وجهين:

أحدهما: أنه قدم للاعتناء به والتعظيم لأنه ضمير الله تعالى، وشأن العرب تقديم ما هو أهم وأولى.

والآخر: أن هذا المجرور به يتم معنى الخبر وتكمل فائدته، فإنه ليس المقصود نفي الكفؤ مطلقا، إنما المقصود نفي الكفؤ عن الله تعالى، فلذلك اعتنى بهذا المجرور الذي يحرز هذا المعنى فقدم. فإن قيل: إن قوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ يقتضي نفي الولد والكفؤ، فلم نص على ذلك بعده؟ فالجواب: أن هذا من التجريد وهو تخصيص الشيء بالذكر بعد دخوله في عموم ما تقدم، كقوله تعالى:

(١) أسكن الفاء من ﴿كفوا﴾ حمزة وخلف يعقوب. النشر: ٢/ ٢٤٦.

﴿وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ ويفعل ذلك لوجهين يصح كل واحد منهما هنا:

أحدهما: الاعتناء ولا شك أن نفي الولد والكفؤ عن الله ينبغي الاعتناء به للرد على من قال: خلاف ذلك من الكفار.

والآخر: الإيضاح والبيان، فإن دخول الشيء في ضمن العموم ليس كالنص عليه، فنص على هذا بيانا وإيضاحا للمعنى، ومبالغة في الرد على الكفار، وتأكيدا لإقامة الحجة عليهم.

سورة الفلق

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ تقدم معنى أعوذ في التعوذ، ومعنى رب في اللغات والفاتحة، وفي الفلق ثلاثة أقوال:

الأول: أنه الصبح، ومنه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ قال الزمخشري: هو فعل بمعنى مفعول.

الثاني: أنه كل ما يفلقه الله، كفلق الأرض عن النبات، والجبال عن العيون، والسحاب عن المطر، والأرحام عن الأولاد، والحب والنوى، وغير ذلك.

الثالث: أنه جب في جهنم، وقد روي[1] هذا عن رسول الله ﷺ.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ هذا عموم في جميع المخلوقات، وشرهم على أنواع كثيرة أعاذنا الله منها، وما هنا موصولة، أو موصوفة، أو مصدرية.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ فيه ثمانية أقوال:

الأول: أنه الليل إذا أظلم ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ﴾ وهذا قول

(١) لم أجده وهو منسوب لبعض المفسرين.

الأكثرين وذلك لأن ظلمة الليل ينتشر عندها أهل الشر من الإنس والجن، ولذلك قيل في المثل: «الليل أخفى للويل».

الثاني: أنه القمر خرج النسائي أن رسول الله ﷺ: رأى القمر، فقال[1]: «يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا، فإنه الغاسق إذا وقب» ووقوبه على هذا: كسوفه؛ لأن وقب في كلام العرب يكون بمعنى الظلمة والسواد، وبمعنى الدخول، فالمعنى: إذا دخل في الكسوف أو إذا أظلم به.

الثالث: أنه الشمس إذا غربت، والوقوب على هذا المعنى: الظلمة أو الدخول.

الرابع: أن الغاسق النهار إذا دخل في الليل وهذا قريب من الذي قبله.

الخامس: أن الغاسق سقوط الثريا، وكانت الأسقام والطاعون تهيج عنده وروي: أن رسول الله ﷺ قال النجم هو الغاسق فيحتمل أن يريد الثريا.

السادس: أنه الذكر إذا قام حكى النقاش هذا القول عن ابن عباس.

السابع: قال الزمخشري يجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات، ووقبه ضربه.

الثامن: أنه إبليس حكى ذلك السهيلي.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ النفث شبه النفخ دون تفل وريق قاله ابن عطية، وقال الزمخشري: هو النفخ مع ريق وهذا النفث ضرب من السحر، وهو أن ينفث على عقد تعقد في خيط أو نحوه على اسم مسحور فيضره ذلك، وحكى ابن عطية[2] أنه

---

(١) في الدر المنثور: وأخرج أحمد والترمذي وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وصححه وابن مردويه عن عائشة قالت: «نظر رسول الله ﷺ يوما إلى القمر لما طلع فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فإن هذا الغاسق إذا وقب» ٨/٦٨٩، وفي مجموع الفتاوى لابن تيمية: وقد روى الترمذي والنسائي عن عائشة، أن النبي ﷺ نظر إلى القمر فقال: (يا عائشة، تعوذي بالله من شره، فإنه الغاسق إذا وقب) ٥/٤٨٩.

(٢) المحرر الوجيز: ٥/٥٠٤.

حدثه ثقة أنه رأى عند بعض الناس بصحراء المغرب خيطا أحمر قد عقدت فيه عقد على فصلان (وهي أولاد الإبل) فمنعها بذلك رضاع أمهاتها، فكان إذا حل عقدة جرى ذلك الفصيل إلى أمه فرضع في الحين، قال الزمخشري: إن في الاستعاذة من النفاثات ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يستعاذ من مثل عملهن وهو السحر ومن ائتمن في ذلك.

والثاني: أن يستعاذ من خداعهن للناس وفتنتهن.

والثالث: أن يستعاذ مما يصيب من الشر عند نفثهن، والنفاثات بناء مبالغة والموصوف محذوف تقديره: النساء النفاثات، أو الجماعة النفاثات، أو النفوس النفاثات، والأول أرجح؛ لأنه روي: أنه إشارة إلى بنات لبيد بن الأعصم اليهودي، وكن ساحرات سحرن هن وأبوهن[1] رسول الله ﷺ وعقدن له إحدى عشر عقدة، فأنزل الله المعوذتين إحدى عشر آية بعدد العقد وشفى الله رسوله ﷺ، **فإن قيل**: لم عرف النفاثات بالألف واللام ونكر ما قبله، وهو غاسق وما بعده وهو حاسد مع أن الجميع مستعاذ منه؟ **فالجواب**: أنه عرف النفاثات ليفيد العموم؛ لأن كل نفاثة شريرة بخلاف الغاسق والحاسد فإن شرهما في بعض دون بعض.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ الحسد خلق مذموم طبعا وشرعا، قال رسول الله ﷺ[2]: «**الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب**» وقال بعض العلماء: الحسد أول معصية عصي الله بها في السماء والأرض، أما في السماء: فحسد إبليس لآدم، وأما في الأرض: فقتل قابيل لأخيه هابيل بسبب الحسد، ثم إن الحسد على درجات:

الأولى: أن يحب الإنسان زوال النعمة عن أخيه المسلم وإن كانت لا تنتقل

---

(١) هذه الحادثة معروفة مروية في الصحاح البخاري الحديث رقم: (٥٤٣٠)، ومسلم الحديث رقم: (١٧٦٥١)، وغيرهما.

(٢) أخرجه ابن مردويه عن أبي هريرة. الدر المنثور: ٨/٦٩١.

إليه، بل يكره إنعام الله على غيره ويتألم به.

الثانية: أن يحب زوال تلك النعمة لرغبته فيها رجاء انتقالها إليه.

الثالثة: أن يتمنى لنفسه مثل تلك النعمة من غير أن يحب زوالها عن غيره، وهذا جائز وليس بحسد وإنما هو غبطة.

والحاسد يضر نفسه ثلاث مضرات:

أحدها: اكتساب الذنوب؛ لأن الحسد حرام.

الثانية: سوء الأدب مع الله تعالى، فإن حقيقة الحسد كراهية إنعام الله على عبده واعتراض على الله في فعله.

الثالثة: تألم قلبه من كثرة همه وغمه، فنرغب إلى الله أن يجعلنا محسودين لا حاسدين فإن المحسود في نعمة والحاسد في كرب ونقمة، ولله در القائل:

وإني لأرحم حسادي لفرط ما ... ضمت صدورهم من الأوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم ... في جنة وقلوبهم في نار

وقال آخر[1]:

إن يحسدوني فإني غير لائمهم ... قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

فدام لي ولهم ما بي وما بهم ... ومات أكثرنا غيظا بما يجد

ثم إن الحسود لا تزال عداوته ولا تنفع مداراته وهو ظالم يشاكي كأنه مظلوم ولقد صدق القائل[2]:

---

(١) البيت لبشار بن برد: ديوان الحماسة: ١٥٣/١.

(٢) في موسوعة الشعر الإسلامي: كتب ابن المبارك الى علي بن بسر المروزي هذه الأبيات:

كل العداوة قد ترجى إماتتها ... إلا عداوة من عاداك من حسد

فإن في القلب منها عقدة عقدت ... وليس يفتحها راق الى الأبد

إلا الإله فإن يرحم تحلّ به ... وإن أباه فلا ترجوه من أحد

كل العداوة قد ترجى إزالتها إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال حكيم الشعراء[١]:

وأظلم خلق الله من بات حاسدا لمن بات في نعمائه يتقلب

قال ابن عطية: قال بعض الحذاق: هذه السورة خمس آيات وهي مراد الناس بقولهم للحاسد الذي يخاف منه العين: الخمسة على عينك.

فإن قيل: لم قال إذا وقب وإذا حسد فقيد بإذا التي تقتضى تخصيص بعض الأوقات؟ **فالجواب**: أن شر الحاسد ومضرته إنما تقع إذا أمضى حسده، فحينئذ يضر بقوله أو بفعله أو بإصابته بالعين، فإن عين الحسود قاتلة، وأما إذا لم يمض حسده ولم يتصرف بمقتضاه فشره ضعيف، ولذلك قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث لا ينجو منهن أحد الحسد والظن والطيرة»**[٢]، فمخرجه من الحسد أن لا يبغي، ومخرجه من الظن أن لا يحقق، ومخرجه من الطيرة ألا يرجع[٣]، فلهذا خصه بقوله ﴿إِذَا حَسَدَ﴾، وكذلك الشر المخوف في الليل إنما هو إذا أظلم فلذلك خصه بقوله: ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ **فإن قيل**: إن قوله من شر ما خلق عموم يدخل تحته كل ما ذكر بعده فلأي شيء ذكر ما بعده؟ **فالجواب**: أن هذا من التجريد للاعتناء بالمذكور بعد العموم، ولقد تأكد ما ذكر في هذه السورة بعد العموم بسبب السحر الذي سحر اليهود رسول الله ﷺ وشدة حسدهم له.

---

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي: وهو من قصيدة مطلعها:

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

موسوعة الشعر الإسلامي، ص: ١٢٠.

(٢) كنز العمال الحديث رقم: (٤٣٧٨٩)، وتخريج أحاديث الإحياء: ٣/١٥٥، وكشف الخفاء الحديث رقم: (٢٢٠٨).

(٣) جاء في الأثر: فى الإنسان ثلاثة الطيرة والظن والحسد فمخرجه من الطيرة أن لا يرجع ومخرجه من الظن أن لا يحقق ومخرجه من الحسد أن لا يبغي (البيهقى فى شعب الإيمان عن أبى هريرة) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٦٣، رقم: ١١٧٣).

سورة الناس

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ إن قيل: لم أضاف الرب إلى الناس خاصة وهو رب كل شيء؟ فالجواب أن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فخصهم بالذكر لأنهم المعوذون بهذا التعويذ والمقصودون هنا دون غيرهم.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ هذا عطف بيان، فإن قيل: لم قدم وصفه تعالى برب ثم بملك، ثم بإله؟ فالجواب: أن هذا على الترتيب في الارتقاء إلى الأعلى وذلك أن الرب قد يطلق على كثير من الناس، فيقال: فلان رب الدار وشبه ذلك، فبدأ به لاشتراك معناه، وأما الملك: فلا يوصف به إلا أحد من الناس وهم الملوك، ولا شك أنهم أعلى من سائر الناس، فلذلك جاء به بعد الرب، وأما الإله فهو أعلى من الملك ولذلك لا يدعى الملوك أنهم آلهة، فإنما الإله واحد لا شريك له ولا نظير فلذلك ختم به، فإن قيل: لما أظهر المضاف إليه وهو الناس في المرة الثانية والثالثة فهلا أضمره في المرتين لتقديم ذكره في قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ أو هلا اكتفى بإظهاره في المرة الثانية؟ فالجواب: أنه لما كان عطف بيان حسن فيه البيان، وهو الإظهار دون الإضمار، وقصد أيضا الاعتناء بالمكرر ذكره كقول الشاعر[1]:

لا أَرَى المَوْتَ يَسْبِقُ المَوْتَ شَيءٌ نَغَّصَ المَوْتُ ذَا الغِنَى وَالفَقِيرَا

﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ هو مشتق من الوسوسة وهي الكلام الخفي، فيحتمل أن يكون الوسواس بمعنى الموسوس فكأنه اسم فاعل وهذا يظهر في قول ابن عطية، والوسواس من أسماء الشيطان، ويحتمل أن يكون مصدرا وصف به الموسوس على وجه المبالغة كعدل وصوم، أو على حذف مضاف تقديره: ذي الوسواس، وقال الزمخشري: إنما المصدر وسواس بالكسر.

(١) البيت للشاعر عدي بن زيد العبادي. المحرر الوجيز: ٥/٥٩٥، والطبري: ٧/٩٩، وشعراء الجاهلية: ٤٦٨، وسيبويه: ١/ ٣٠، وخزانة الأدب: ١/ ١٨٣، ٢/ ٥٣٤، ٤/ ٥٥٢.

﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ معناه الراجع على عقبه المستمر أحيانا وذلك متمكن في الشيطان، فإنه يوسوس فإذا ذكر العبد الله وتعوذ به منه تباعد عنه، ثم رجع إليه عند الغفلة عن الذكر، وهو يخنس في تباعده ثم في رجوعه بعد ذلك.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ وسوسة الشيطان في صدر الإنسان بأنواع كثيرة منها: إفساد الإيمان، والتشكيك في العقائد، فإن لم يقدر على ذلك أمره بالمعاصي، فإن لم يقدر على ذلك ثبطه عن الطاعات، فإن لم يقدر على ذلك أدخل عليه الرياء في الطاعات ليحبطها، فإن سلم من ذلك أدخل عليه العجب بنفسه واستكثار عمله، ومن ذلك: أنه يوقد في القلب نار الحسد والحقد والغضب حتى يقود الإنسان إلى شر الأعمال وأقبح الأحوال، وعلاج وسوسته بثلاثة أشياء:

واحدها: الإكثار من ذكر الله.

وثانيها: الإكثار من الاستعاذة بالله منه، ومن أنفع شيء في ذلك قراءة هذه السورة.

وثالثها: مخالفته والعزم على عصيانه.

فإن قيل: لم قال: ﴿فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ ولم يقل: في قلوب الناس؟ فالجواب: أن ذلك إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالة في القلب بل هي محومة في الصدر حول القلب.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هذا بيان لجنس الوسواس، وإنه يكون من الجن ومن الناس، ثم إن الموسوس من الإنس يحتمل أن يريد به من يوسوس بخدعه وأقواله الخبيثة، فإنه شيطان كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ أو يريد به نفس الإنسان إذ تأمره بالسوء، فإنها أمارة بالسوء، والأول أظهر، وقيل: إن الناس معطوف على الوسواس كأنه قال: أعوذ من شر الوسواس من الجنة ومن شر الناس، وليس الناس على هذا ممن يوسوس، والأول أظهر وأشهر.

فإن قيل: لم ختم القرآن بالمعوذتين؟ وما الحكمة في ذلك؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

الأول: قال شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: لما كان القرآن أعظم نعم الله تعالى على عباده، والنعم مظنة الحسد، فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني: يظهر لي أن المعوذتين ختم بهما؛ لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: أنزلت على آيات لم ير مثلهن قط، كما قال في فاتحة الكتاب: «لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها»[1] فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما، ليجمع حسن الافتتاح والاختتام، ألا ترى أن الخطب والرسائل والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الوجه الثالث: يظهر لي أيضا أنه: لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين؛ ليحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعن آخر ما يقرأ من القراءة، فتكون الاستعاذة قد اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، وليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول أمره إلى آخره، وبالله التوفيق لا رب غيره[2].

(كمل كتاب التسهيل لعلوم التنزيل بعون الله وتوفيقه، فله الحمد كما هو أهله، فالخير بيده كله، ليس للعبد إلا إحسانه وطوله ورحمته وفضله، وأنا أرغب إليه كما أعانني بفضله على هذا الكتاب، أن يجعله موجبا لدخولي الجنة من غير حساب ولا عتاب، بحرمة القرآن العظيم، وشفاعة محمد رسوله المصطفى الكريم، عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وكان تمام تقييده في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الثاني عام تسعة وثلاثين وسبع مائة، والحمد لله رب العالمين)[3].

---

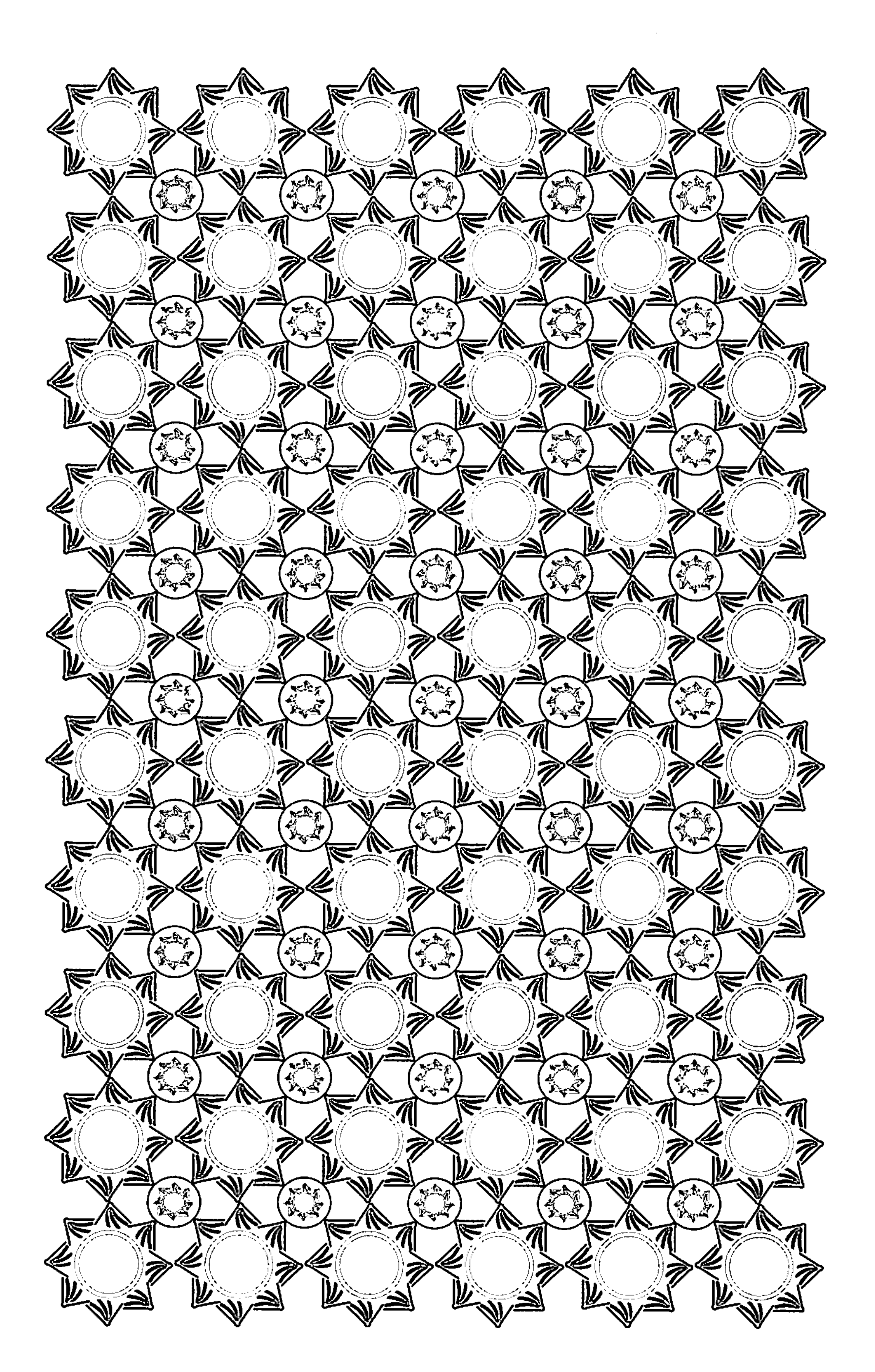
(١) سبق تخريجه.

(٢) هنا انتهى الموجود في المطبوعات.

(٣) ما بين القوسين ساقط من المطبوعات، وهو مثبت في كل النسخ المخطوطة عندنا.

الفهارس العامة

* فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار
* فهرس الأعلام
* فهرس الموضوعات



فهرس الأحاديث القدسية والنبوية والآثار

الحديث أو الأثر	الصفحة
«يقول الله تعالى يشتمني ابن آدم وليس له أن يشتمني ويكذبني وليس له أن يكذبني أما شتمه إياي فقوله: إن لي صاحبة وولدا، وأما تكذيبه إياي فقوله: لا يعيدني كما بدأني»	١١٨٤
«ينادي مناد يوم القيامة لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فيتبع الشمس من كان يعبد الشمس، ويتبع القمر من كان يعبد القمر، ويتبع كل أحد ما كان يعبد، ثم تبقى هذه الأمة وغبرات من أهل الكتاب معهم منافقوهم، فيقال لهم: ما شأنكم؟ فيقولون: ننتظر ربنا، قال: فيجيئهم الله في غير الصورة التي عرفوه، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، قال: فيقول: أتعرفونه بعلامة ترونها؟ فيقولون: نعم، فيكشف لهم عن ساق، فيقولون: نعم أنت ربنا، ويخرون للسجود، فيسجد كل مؤمن، وترجع أصلاب المنافقين عظما واحدا فلا يستطيعون سجودا»	١٥٨١

❊❊ ❊❊ ❊❊

فهرس الأعلام

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

فهرس الموضوعات

❊❊ ❊❊ ❊❊